الجمهوريّة الجزائريـة الدّيمقراطيّة الشّعبيّـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– قسنطينـة–

كلية: أصول الدين

قسم: الدعوة والإعلام والاتصال

تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

الخطاب الدعوي

بين عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث ل م د تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إعـداد الطـــالب:

أسامة بركاني

إشـراف الأستاذة الدكتورة:

زكية منزل غرابة

أعضـاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/عيسى بوعافية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د/ زكية منزل غرابة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مقررا
د/ وردة بوجلال	محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	ممتحنا
د/سهام بوزيدي	محاضر أ	جامعة الحاج لخضر،باتنة1	ممتحنا
د/كريمة عرامة	محاضرأ	جامعة باجي مختار،عنابة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442هـ – 1443هـ / 2021م – 2022م

The People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of High Education And Scientific Research

Emir Abdul Kader University
For Islamic Sciences
-Constantine -

Faculty Of Ossoul Eddine
Department Of Daawah And
Information And communication

Serial number: …….
Registration number:……

ADVOCACY SPEECH BETWEEN ABD EL HAMID BEN BADIS AND MOHAMED BEN ABD EL WAHEB

A Dissertation Submitted For Abtaining PHD Degree In The Third Phase Of LMD In The Speciality Of Daawah And Islamic Culture

Candidate:
Oussama Berkani

Supervisor:
prof. Zakia Menzel Gheraba

The examination committee:

Name and Surname	Degree	University	Character
Aissa bouafia	Professor of higher education	Emir abdul kader university	President
Zakia Menzel Gheraba	Professor Of Higher Education	Emir abdul kader university	Supervisor
Ourda boudjellale	M.C.A	Emir abdul kader university	Member
Sihame bouzidi	M.C.A	Hadj lakhder– batna university	Member
Karima arama	M.C.A	Badji moukhtar anaba university	Member

University Year: 2022 – 2021 / 1443 – .1442 .

الإهداء

إلى من كانا سببا في وجودي..

إلى من رباني وعلماني..

إلى من كانا سرّ نجاحي.. إلى من قرن الله عبادته بالإحسان إليهما، وجعل رضاهما سببا في رضاه..

إلى أمي الحبيبة وأبي العزيز.. أدام الله عزّهما ورزقني برّهما..

إلى إخوتي وأخواتي بلال ،أميرة،هاجر،زينب،فاطمة الزهراء،زوليخة،ماجدة،تينهنان

إلى إخوة الدين وأصدقاء الدرب.. إلى كل من أحبهم ويحبونني..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

الحمد لله أولا وآخرا، والشكر له جلّ شأنه على تفضله وإنعامه ثم إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

إننا نتقدم بشكرنا وامتنانا العظيم إلى الوالدين الكريمين على حسن ترتيبهما ورعايتهما وقيامهما على مصلحتنا فلهما كل الشكر والتقدير.

كما نقدم وافر شكرنا وجزيل امتنانا وتقديرنا إلى السادة الأساتذة الذين حظينا بشرف كتابة أسمائهم في الأطروحة وهم:

الأستاذة الفاضلة: الدكتورة زكية منزل غرابة التي تكرمت بقبول الإشراف على هذا البحث وحرصها الشديد وعنايتها المعهودة وتوجيهاتها الصائبة وملاحظاتها القيمة التي ساهمت في إخراج هذا البحث على هذا الشكل فجزاها الله عنا كل خير وبارك الله فيها.

وأساتذتنا الأفاضل اللذين شرفونا بقراءة هذه الأطروحة وموافقتهم على مناقشتها لتقييمها وتصويب أخطائها.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أعاننا من قريب أو من بعيد على إخراج هذا البحث.

مقـــــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

أما بعد؛

فيشكل الخطاب أبرز أسباب النهوض الفكري، والعلمي للأمم والحضارات، وقد كانت الحضارة الإسلامية ولا تزال تمتاز عن غيرها من الحضارات والأديان بملامح خطابها الم نفرد عن غيره شكلا ومضمونا.

وقد انبرى خاصة الأمة لتمثيل هذا الخطاب، وتقلدّ الدعاة والعلماء منابر الخطاب الإسلامي والدعوي، فقعدوا وبوّبوا ونظروا للخطاب والدعوة، وكانت لهم أدبياتهم وأجواؤهم الفكرية والعلمية، وتركوا من خلفهم تراثا حضاريا إسلاميا رائدا في الإصلاح والدعوة ،ولا تزال آثار ذلك الإرث شاهدة عليهم وعلى جهودهم إلى يومنا هذا.

وظهرت الكثير من تجارب الخطاب الدعوي في المشرق والمغرب، في الفترة المعاصرة والحديثة، وكان لتلك التجارب الأثر البالغ في إصلاح المجتمع وترشيده ،ويعتبر عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب من بين النماذج التي برز خطابها الدعوي، وأدركت بثاقب بصرها وبصيرتها عظم المسؤولية الملقاة على صاحب الخطاب الدعوي، فاجتهد كل واحد منهما في إنتاج وتخريج خطاب دعوي يعمل على المساهمة في القيام بالدور المنوط به صاحب الخطابين، في تبليغ الرسالة الإسلامية، والقيام بمهام الدعوة والإسلام.

ولدراسة تجربة هذين العلمين فقد جاء موضوع البحث على النحو التالي:

تطرقنا في **المقدمة** إلى عرض بطاقة تعريف عامة بموضوع البحث، بينما جاء **الفصل الأول حول موضوع البحث وإجراءاته المنهجية** ليفصل في معطياته، حيث تطرق المبحث الأول منه لموضوع البحث من حيث بيان المشكلة البحثية، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ،و أهدافه وضبط المفاهيم وجملة الدراسات التي أسست للموضوع ،في حين جاء المبحث الثاني ليفصل الحديث في

الإجراءات المنهجية التي اتبعها البحث وذلك بتوضيح المناهج المعتمدة في دراسة الموضوع، وإبراز حدوده الموضوعية والزمنية، والمكانية إلى شرح بعض الخطوات المنهجية في التعامل مع المصادر و المراجع .

أما **الفصل الثاني المعنون بـ العصر وحياة الشخصيتين**، فكان المبحث الأول منه عن البيئة والأوضاع التي ساهمت في تكوين صاحبي الخطابين ،وتناول المبحث الثاني حياة كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب،و جاء المبحث الثالث لمقارنة المعطيات البيئية بين الشخصيتين والتي أثرت في الخطاب الدعوي لكل منهما .

وأما **الفصل الثالث فكان حول مضامين الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب** ،حيث تطرق المبحث الأول لمضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس في مجالاته المختلفة الديني، والتربوي التعليمي، والسياسي ،في حين تناول المبحث الثاني لذات المضامين عند محمد بن عبد الوهاب ،أما المبحث الثالث فكان للمقارنة بين الخطاب الدعوي بين الشخصيتين من حيث أوجه الاتفاق و الاختلاف .

وأما **الفصل الرابع فجاء بعنوان آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب** ، وقد تطرق المبحث الأول لآليات ومناهج الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ،في حين تناول المبحث الثاني آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب، و أما المبحث الثالث فقد خصص للمقارنة بين آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند الشخصيتين من حيث الاتفاق و الاختلاف .

وأما **الفصل الخامس** الذي خصص للحديث عن خصائص الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب ،فقد تطرق المبحث الأول منه إلى خصائص الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ،والثاني لخصائص الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب، سواء من حيث الرسالة والمضمون، أو من ناحية صاحب الخطاب والمرسل لكل منهما ،ثم تطرقنا في المبحث الثالث للمقارنة بين خصائص الخطابين.

وفي الأخير **خاتمة** تضمنت مجموعة النتائج والتوصيات.

ونود التنبيه إلى مسألة تقديم الخطاب الدعوي لابن باديس عن الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب رغم الأسبقية التاريخية لهذا الأخير، والسبب في هذا التقديم راجع إلى عامل البدء بالمدرسة أو بالخطاب المحلي الذي يمثله ابن باديس قبل الخطاب الوافد المتمثل في خطاب ابن عبد الوهاب فمسألة الترتيب إذن متعلقة بالمعيار المكاني للدراسة، وليس المعيار الزمني.

وختاما فهذا جهدنا ولقد بذلنا في ذلك غاية الوسع، ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا لذلك فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وحسبنا أننا اجتهدنا نرجو الأجر ونتحرى الصواب،وعلى الله التكلان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

موضوع البحث و إجراءاته المنهجية

المبحث الأول: موضوع البحث

-المشكلة البحثية

-أهمية البحث

-أسباب اختيار الموضوع

-ضبط المفاهيم

-الدراسات السابقة

المبحث الثاني: الإجراءات المنهجية للبحث

المنهج المستخدم

حدود البحث

خطوات منهجية في البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يرتكز أي بحث علمي على جملة من الخطوات المنهجية التي تساعد الباحث على معالجة المشكلة البحثية، وتحقيق الأهداف المبتغاة، وكلما حرص الباحث على تطبيق هذه الخطوات المنهجية بشكل سليم كلما ساهم ذلك في الوصول إلى نتائج علمية دقيقة تساهم في إثراء المعرفة العلمية ،وبناء على ذلك سيتطرق هذا الفصل إلى جميع المعطيات المرتبطة بموضوع البحث، وإجراءاته المنهجية، وهوما تعرضه هذه المباحث بالشرح و التفصيل .

المبحث الأول:موضوع البحث:

1- المشكلة البحثية:

خص الله سبحانه وتعالى هذه الأمة دون سائر الأمم بدين الإسلام ،هذا الدين العالمي جاء كخاتمة للأديان التي سبقتها، ومثل الإسلام الدين الشرعي الوحيد الباقي من بعد ظهور آخر نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم،قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾ آل عمران: ١٩،وكان هذا الدين متميزا عن غيره بخصائص وسمات أبرزها العالمية، فقد كانت الأديان السابقة متعلقة بأقوام دون غيرهم-بخلاف الدين الإسلامي – الذي جاء كديانة لجميع البشر، بل للثقلين جميعا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي :نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا،فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ،وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي،وأعطيت الشفاعة،وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة،وبعثت إلى الناس عامة [1]"، فرسالة الإسلام جاءت لتبليغ جميع البشر عربهم وعجمهم، أسودهم وأبيضهم،وليست خاصة بالإنس فحسب بل هي رسالة كذلك لعالم آخر غير عالم البشر،وهو عالم الجن، والأدلة والآيات تترى في ذلك،قال

[1] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري:صحيح البخاري،تحقيق: مصطفى ديب البغا،دار التراث،بيروت، ط3، 1987م، رقم الحديث: 335.

الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ الجن: ١وقال تعالى:﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ الأحقاف: ٢٩ ،وكون هذه الرسالة كانت موجهة للثقلين، وكونها كذلك تمثل دين الله الذي ارتضاه لخلقه، فهي ناسخة لغيرها من الرسالات السماوية، وأنها الرسالة الشرعية الوحيدة المحفوظة من عند الله تعالى ،فقد وجب إحاطتها بالحفظ والحماية، وإعمال الجهد وبذل النفس والنفيس لنشر الدين الإسلامي والدعوة إليه-كواجب شرعي، رغم أن الله تعالى قد تولى دينه وشريعته بالحفظ والتمكين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ الحجر: ٩،ومع ذلك فإنه من الواجب القيام لهذا الدين بالنصرة ،و المجاهدة في سبيله ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ۝٧٨﴾ الحج78، وقوله كذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ آل عمران: ٨٥

إن الدعوة إلى رسالة الإسلام هي عمل جليل، يرجى من ورائه ثواب جزيل، قال الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾فصلت23: وكما أن الدعوة إلى الله وإلى دينه تمثل مهمة جليلة ،ومسؤولية جسيمة ،فإنها تحتاج إلى من يكون بحجم، وقدر وعظم تلك الهمة، التي اضطلع بها الداعية الأول ،والمصلح الرائد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وتوارثها من بعده أحبار هذه الأمة وعلماؤها، وحملوا ألوية الدعوة والإصلاح، ونذروا أنفسهم ونفائسهم لخدمة هذا الدين ،واستطاعوا بفضل من الله ورحمة، ثم بفضل خطاباتهم الدعوية، أن يكونوا سببا في هداية خلق كثير من الناس، وأن يكونوا سببا في تعليم أمة الإسلام هذا الدين ، وصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم،"إن الله يبعث لهذه

الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[1]"،فكانت بذلك الدعوة إلى دين الله سلسلة متواترة من رجال وهبوا أنفسهم وأعمارهم لخدمة دين الله ،وبقيت آثارهم وسيرهم تخلد جهودهم وخطاباتهم الدعوية،تلك الخطابات التي كانت سببا في حفظ الدين،وبقاء الشريعة حية بين الناس.

ومن منطلق سمة الإصلاح التي تميز بها الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب؛ ولما لهذين المصلحين من أثر في البيئة التي اختص بها كل واحد منهما، والتوسع الذي عرفه الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب، والأثر الذي خلفه كل منهما، فإنه يحق لنا طرح التساؤل التالي: **ماهما الخطابين الدعويين اللذين وضعهما كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب؟**.

ويندرج تحت هذا التساؤل أسئلة فرعية أخرى من بينها:

- ما طبيعة البيئة التي نشأ فيها كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب،وما هو مسار حياتهما؟.
- ماهي مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب؟.
- ماهي آليات و مناهج الخطاب الدعوي عند كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب؟.
- ما هي خصائص الخطاب الدعوي عند كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب؟.
- ما أوجه الاتفاق، والاختلاف بين الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب ؟

[1] أبو داوود: صحيح سنن أبي داوود،تحقيق:ناصر الألباني،مكتبة المعارف،الرياض،ط 1 ،1997،حديث رقم4291.

2-أهميّة البحث:تتجلى أهمية البحث في كونه:

1/ يتعلق بدراسة أشرف العلوم، وأجل الوظائف، وهي الدعوة إلى الله، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فصلت33

2/ ينبع من أهمية موضوعه :و موضوع البحث هو الخطاب، وماله من أهمية في الدعوة، ودور في نشر الرسالة الإسلامية وتبيانها، وتشكيل الوعي الفردي والجماعي، وتبيان خطر انحراف الخطاب الدعوي عن جوهر الرسالة وروح الإسلام، وما قد يترتب عن ذلك من آثار سلبية.

3/ويكتسب البحث أهميته كذلك في كونه يرتبط بدراسة شخصيتين بارزتين في تاريخ الدعوة، قدمتا آثارا علمية ودعوية جليلة، يتعلق الأمر: بشخصية عبد الحميد بن باديس،هذه الشخصية التي تعد بحق الشخصية الرائدة في الإصلاح، والشخصية الأنموذج في الدعوة بالجزائر وبالمغرب العربي.

وأما الشخصية الثانية فهي تتمثل في شخصية محمد بن عبد الوهاب ،وهي الأخرى شخصية ساهمت بالكثير في مجال الدعوة، وقدمت مضامين دعوية هادفة بلغ مداها خارج المملكة العربية السعودية وحتى خارج شبه الجزيرة العربية.

4/في المقارنة بين الخطابين الدعويين، ومدى توافقهما واختلافهما بشكل يجعل من الخطاب الدعوي ثريا بتجارب ونماذج دعوية ،يمكن من خلالها الاستفادة منها وتطبيقها في واقع الدعاة اليوم.

5/في ما يمكن أن يقدمه الموضوع من نتائج علمية يمكن أن يستفيد منها المهتمون بالخطاب الدعوي المرتبط بالشخصيات الدعوية في العالم الإسلامي في الممارسة الدعوية.

3-أسباب اختيار الموضوع:

دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب أهمها:

- **أسباب ذاتية:**
- الميل الشخصي لمثل هذا النوع من الدراسات المتعلقة بالدعوة، والدعاة.
- هذه الدراسة مندرجة ضمن التخصص الأكاديمي الذي تلقيته في الجامعات الجزائرية.
- رغبتي في إثراء مكتبة الدعوة بدراسة ترتبط بالخطاب الدعوي لدى الشخصيات الدعوية .
- **أسباب موضوعية:**
- أهمية البحث في الخطاب الدعوي باعتباره يمثل حجر الأساس في التواصل مع المدعوين، ومن ثم التعرف على زوايا القصور ،والإيجاب في خطاب الشخصيين،و الإفادة منهما في تطوير الخطاب الدعوي حسب متطلبات كل مرحلة .
- الحاجة إلى البحث عن الحقيقة العلمية في جوهر الخطاب الدعوي لكل من الشخصيتين.

4-أهداف البحث:

- ✓ معرفة الوسط والتاريخ اللذان شهدا ميلاد الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ،ومحمد ابن عبد الوهاب.
- ✓ استكشاف مضامين الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب.
- ✓ دراسة الوسائل والآليات التي ارتكز عليها كل من الشخصيتين في وضع أسس الخطاب الدعوي الخاص بهما.
- ✓ معرفة أوجه الاتفاق و الاختلاف بين الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد ابن باديس و محمد ابن عبد الوهاب .

5-ضبط المفاهيم :

يعد تحديد المفاهيم، وضبطها في أي بحث علمي من الخطوات التي يجب على الباحث أن يعطيها أهمية بالغة ،حتى يتمكن من وضع القارئ في المسار الصحيح عما يريد أن يوصله. وقد ورد في هذا البحث مجموعة من المفاهيم التي نرى ضرورة رفع اللبس عنها و هي :

-مفهوم الخطاب:

ذاع استخدام لفظة "الخطاب"في الدراسات العربية الأدبية، والفكرية، والثقافية، والدينية ،والسياسية، والإعلامية بين الباحثين والنخب على مستوى هذه الدراسات، وبالأخص مع مطلع القرن الميلادي الجديد، ورغم أصالة وعراقة هذا المصطلح، واستخدامه قبل عشرات القرون لغويا، إلا أنه اصطبغ بمفاهيم أكثر اتساعا، وتداولا مما كان متعارفا عليه قبل ذلك، ولاسيما في الدراسات الأكاديمية.

***الخطاب لغة:**

الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، والخطبة مصدر الخطيب، واسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب"[1].

والخطاب: " كل كلام بينك وبين الآخر"[2].

وجاء في الكليات: ورد الخطاب على أنه " الكلام الذي يقصد به إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا"[3].

فصل الخطاب: " الكلام الذي ينبه المخاطب إلى أمر واضح لا لبس فيه"[4].

---

[1]- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب،دار صادر ،لبنان،ط1،2000م ،ج5،ص98.

[2]- أحمد ابن فارس :مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،مؤسسة الرسالة ،لبنان،ط2،1986م،ج1،ص295.

[3]- أيوب أبو البقاء الكفوي: الكليات،مؤسسة الرسالة،تحقيق: عدنان دروش ومحمد المصري ، لبنان، دط، 1998م،ص419.

[4]- شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسي البغدادي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي،لبنان،دط،دت،ج23، ،ص179.

أما في الأدبيات الغربية فيُعرَّف الخطاب على أنه: le discours والذي يعني " الجري هناك وهنالك[1]"، ويعبر أيضا عن الجدل Dialectique، والعقل أو النظام Logos[2].

***الخطاب في القرآن الكريم:**

ورد مصطلح الخطاب بصفة عامة في القرآن الكريم في تسعة مواضع مثل قوله تعالى:﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ الحجر: ٥٧ و: : قال تعالى:﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾" القصص: ٢٣

- وردت بصيغة " خطاب" في ثلاثة مواضع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ ص32

قال تعالى:﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ ص: ٢٠

قال تعالى:﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ النبأ: ٣٧ من خلال عملية استقراء للآيات الثلاث التي تحدث عن " الخطاب" فإنه تبين لنا أن مصطلح الخطاب جاء في مناسبات التمكين في الملك، وكذا الدعوة إلى نصرة الحق، ثم الخضوع لله. وهو مصطلح – أي الخطاب– ورد في المعارف الإسلامية منذ قرابة خمسة عشر قرنا، بل إن العلماء الأصوليين قرنوا

[1]Manfred Frank . Sur le Concept de Discours chez Foucault.1989 .p125.

[2]الزواوي بغورة:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكوياما،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة ،ط 1 ،1999م،ص90.

الحكم الشرعي المنزّل من عند الله بلفظة " خطاب الله" فقالوا أن الحكم الشرعي هو: " خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التمييز أو الوضع[1]".

ونجد الخطاب القرآني منفردا عن غيره من الخطابات بالكمال من ناحية الصدق في نقل الحقائق والمضامين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يونس: ٣٧، كما تميز الخطاب القرآني أيضا بالإعجاز الخارق الذي لا يقدر عليه إنس ولا جن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: ٨٨

فالخطاب القرآني إذن هو الخطاب المنزه عن الأخطاء، المثالي في خصائصه والمعجز في مضامينه وأطروحاته.

***الخطاب في السنة النبوية:**

وردت لفظة "خطب" في السنة النبوية في مواضع كثيرة، و كان أبرزها تلك المتعلقة بالجانب الفقهي، و في باب الخطبة و النكاح قال رسول الله عيه الصلاة و السلام « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل[2] ».

وقد وردت في ذلك أحاديث و روايات مختلفة تحمل هذا المعنى . وجاءت لفظة الخطاب بمعنى الكلام والخطبة في أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم، ولكنها مروية بلسان أصحابه رضوان الله عليهم فعن أبي زيد عمرو ابن أخطب الأنصاري قال :« صلى بنا رسول لله صلى الله عليه و سلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل و صلى ثم صعد المنبر حتى حضرت

[1] سيف الدين الآمدي،الإحكام في أصول الأحكام،،تحقيق: إبراهيم العجوز،دار الكتب العلمية،القاهرة ،دت،ج1 ،ص136.

[2] أبو داوود ، مصدر سابق،حديث رقم 2082.

العصر»[1]، وحديث جابر رضي الله عنه قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم : فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهل له » [2]، وغير ذلك من الأحاديث التي تحمل ألفاظا ودلالات عن كلمة الخطاب، وأما عن تطبيقات الخطاب النبوي للخطاب كمفهوم تواصلي فإن سيرة النبي صلى الله عليه و سلم كانت كلها تعبر عن خطابه صلى الله عليه وسلم، بدءا من أقواله صلى الله عليه و سلم ،وهو الذي أوتي حسن الكلم و جوامعه وأوتي فصل الخطاب و بيانه، إلى أفعاله صلى الله عليه وسلم ، كقوله صلى الله عليه و سلم « صلوا كما رأيتموني أصلي [3] »، وقوله كذلك «خذوا عني مناسككم[4]» ففعله صلى الله عليه وسلم كان يحمل رسائل شرعية تعليمية للبشر بل إن حتى صمته، وتقريره على أمر ما يمثل خطابا معينا ، موجها إما لأصحابه خاصة أو للأمة عامة .

لقد اشتملت السنة النبوية على الكثير من الآليات الخطابية التي كان يمارسها النبي صلى الله عليه وسلم، في إيصال رسالة الإسلام من خلال الأقوال، أو الأفعال، أو الإقرارات التي كانت تظهر على النبي صلى الله عليه وسلم كالصمت والتبسم، أو حتى الغضب الذي يدل على عدم إقرار النبي صلى الله عليه وسلم، سواء مع من أسلم واتبع دعوته، أو مع من أراد النبي صلى الله عليه وسلم إبلاغه بدعوة الإسلام.

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وموانعه إلا أن خطابه لم يقتصر على الجانب اللفظي بل شمل حتى الإيحاءات، والإشارات وحتى الصمت في بعض المواقف، وكما أن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل قدوة في العبادات والأخلاق والمعاملات فهو يمثل أيضا قدوة ومدرسة في الخطاب والوعظ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١ ،وقال صلى الله عليه وسلم "بعثت بجوامع

---

[1] مسلم بن الحاج القتيري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد الفارابي، طيبة ، السعودية،ط1، 1427هـ ، 2006م، 186 /54 .

[2] المصدر نفسه، 867

[3] محمد ناصر الألباني: صحيح الجامع، المكتب الإسلامي، عمان، ط1، 2006م، ص893،

[4] مسلم بن الحاج القتيري ،مصدر سابق،1297.

الكلم[1]"،فأوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا مبينا جمع بين الصدق والحكمة والبلاغة،وفي ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قولها: " ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يسرد سردكم هذا،ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل ،يحفظه من جلس إليه[2]" .

✓ وعليه فإن الأمة الإسلامية في تعاملها مع السنة النبوية تكون أمام مطلب إلزامية كشف وفهم البعد البلاغي والدعوي للخطاب الإسلامي الذي أودعت فيه جهود النبي صلى الله عليه وسلم، وبينت قواعده، وخصائصه ومضامينه[3]".

–الخطاب اصطلاحا:

***الخطاب في الدراسات العربية:**

عرفه طه عبد الرحمان على أنه:"كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه، مقصودا، مخصوصا"[4]، فصاحب التعريف يشير إلى الخطاب المباشر التقليدي الحاصل بين المرسل والمستقبل بغرض الإفهام، وإيصال رسالة معينة إلى المستَقبِل.

وعرف الخطاب أيضا بأنه " كل كلام تجاوز الجملة الواحدة، سواء كان مكتوبا، أو ملفوظا... وإذا كان الخطاب هو ما تؤديه اللغة من أفكار الكاتب ومعتقداته فإنه لابد من القول أن الخطاب يقوم بين طرفين أحدهما مخاطِب، وثانيهما مخَاطب"[5].

في هذا التعريف توسيع لمعنى الخطاب القائم على الكلام، والمنطوق وأعطاه حيزا أكبر ليتم إضافة الجانب المكتوب كالمؤلفات لتكون ضمن تعريف الخطاب.

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري:مصدر سابق،ج4،رقم2977.

[2] سليمان أبي داود :صحيح سنن أبي داود،تح ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف للنشر ،ط 1، الرياض،1998م،ج 1،4839.

[3] برغوث بن عبد العزيز بن مبارك:المنهج النبوي والتغيير الحضاري،مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية ،قطر،دط ، 1995م،ص44.

[4] – طه عبد الرحمان:اللسان والميزان،المركز الثقافي العربي،المغرب ،ط 1 ،1998،ص15.

[5] –رزان محمود ابراهيم،خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة ،دار الشروق،القاهرة ،ط 1 ،2003م،ص17.

فالخطاب إذن هو:"عبارة عن لغة يتم من خلالها الاتصال بالآخر، وقد يتخذ الاتصال اللغوي الصّيغة التحريرية كما هو الحال في الكتاب والصحيفة، أو يتخذ الصّيغة الشفوية كما هو الحال في الاتصال الحادث بين شخصين أو أكثر، أو بين شخص واحد وجماعة :كما هو الشأن بين الإذاعة والمستمعين، أو بين المرسل التلفزيوني والمستقبل المشاهد، وقد يكون الاتصال غير لغوي، أي لا توجد هنالك لغة منطوقة بل تكون لغة تعتمد بالدرجة الأساسية على الصورة أو الإيماءة أو الإشارة أو الحركة، يهدف من ورائها المرسِل إلى إخبار أو تبليغ المستقبل بشيء ما أو بحدث ما، أو إقناعه بوجهة نظر معينة[1]".

يشار أن هناك من قام بالتفريق بين النص والخطاب فعرف الخطاب على أنه:"عملية متواصلة من التعاطي المستمر بين طرفين أحدهما مرسل والآخر مستقبل، أو بين فكر وواقع إنساني فالخطاب ليس هو النص وإنما النص مضاف إليه سلسلة من التفاعلات بين مرسل الخطاب ومصدره، وبين مستقبل الخطاب، والمتفاعل معه، هذه السلسلة تؤدي في التحليل الأخير إلى إحداث تعديل وتطوير وإضافة أو حذف من ذلك النص الذي يبدأ بالخطاب[2]".

وهناك من عرف الخطاب انطلاقا من وظيفته في إيصال، ومناقشة أفكار معينة دون التركيز على تعريفه الصوري والشكلي فقال أن الخطاب هو:" مجمل الرموز والإشارات التي تصدر عن مرجعية معينة، تشكل صورتها ومظهرها العام، وتبرز خطوطها الفكرية، عبر عملية تواصل بين هذه المرجعية الفكرية والجمهور، في عملية تفاعلية يكون فيها الخطاب وسيلة لا غاية[3]".

[1]-محمود شمال:خطاب الأزمة ومحنة الآخر،دار الآفاق العربية، القاهرة ،ط1 ،2006م،ص7.

[2]كمال عبد اللطيف،نصر محمد عارف:إشكاليات الخطاب العربي المعاصر في إبستيمولوجيا الخطاب المعاصر،دار الفكر المعاصر ،بيروت،ط2001،1م،ص65.

[3]-محمد يونس:الخطاب الإسلامي،دار الأرقم،الإمارات ،ط1 ،دت،ص82.

***الخطاب في الدراسات الغربية:**

بدأت أول محاولة تهدف إلى ضبط حدود الخطاب فلسفيا في الفكر الغربي القديم وشحنه بدلالته الخاصة مع أفلاطون الذي عمد إلى ضبط حدود العلاقة بين المقال والخطاب، أو ما يمكن إطلاقه عليه بعقلنة الخطاب، ومثلت تلك المحاولة البداية المهمة لتبلور ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية، ثم جاء كتاب "خطاب في المنهج" للفيلسوف رينيه ديكارت (1596_ 1650م) كمؤشر على العناية بالمصطلح في هذا الميدان، ولعل أبرز من طرح إشكالية الخطاب وأضفى عليه صبغة جديدة في الأدبيات الفكرية هو ميشل فوكو (1936_ 1984)، ويعتبر في نظر الكثير من الباحثين من أهم المنظرين للخطاب بمفاهيمه الحديثة، أين خصص له الكثير من دراساته ومؤلفاته وعرفه على أنه: " مجموعة من المنطوقات التي تمثل الوحدة الاولية للخطاب، وتشمل أيضا عناصر آخرى تتطلب التحليل، وهي ميدان الخطاب والممارسة الخطابية[1]".

فالخطاب عند ميشيل فوكو: "لا يقوم على النصوص الصورية والجمل فحسب، بل يتأسس على القواعد التي تستنتج كلاما، ونصوصا بعينها [2]" فهو يركز على السياق الذي طرح فيه الخطاب، والمعاني المراد إيصالها للمستقبل.

وبناء على ما سبق فإن الخطاب عند ميشيل فوكو يمثل "شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج من خلالها الكلام كخطاب[3]".

وهناك تعاريف أخرى للخطاب نذكر منها :"الخطاب هو كل منطوق أو فعل كلامي ،يفترض وجود راو و مستمع، و في نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما " بمعنى أن الخطاب هو عملية تشاركية تحدث بين طرفين: الأول متكلم (الراوي) و الثاني مستمع (متلقي)و تكون هذه العملية ذات معنى

[1] – الزواوي بغورة:مرجع سابق،ص95.

[2] سارة ميلز:الخطاب،ترجمة: عبد الوهاب علون،المركز القومي للترجمة،القاهرة،ط 1 ،2015م،ص19.

[3] نعمان بوقرة:المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للنشر والتوزيع ،الأردن،ط 1 ،2009م،ص15.

و ذات تأثير و هو أي الخطاب: «ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة ،يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية" [1] .

واستنادا إلى كل ما سبق من تعاريف للخطاب في الدراسات الغربية فإنه يتبين ما يلي:

-الخطاب في صورته الأولية هو عبارة عن عملية تواصلية بين طرفين كحد أدنى بحيث يكون هذا التواصل ذو تأثير ومعنى .

وقد يحمل الخطاب خلال صورته الظاهرية المتمثلة في التواصل أبعادا أخرى كالبعد الاجتماعي، السياسي والثقافي ، وهنا يرتقي الخطاب من دوره التواصلي إلى الدور الفلسفي الذي يتجاوز فهم النصوص و معانيها ، إلى دراسة الأبعاد و تحليلها .

2-مفهوم الدعوة

***الدعوة لغة:**

جاء بمعجم مقاييس اللغة أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد[2].

كما تعددت المعاني اللغوية للفظة الدعوة في المعاجم العربية فوردت بمعنى:

1- النداء: دعا فلان. فلانا إذ ناداه؛ ودعوت الرجل إذا صحت به واستدعيته[3].

2- الطلب: بمعنى الطلب إلى الطعام والدعوة إليه فيقال دعيت إلى وليمة فلان[4].

3- الابتهال: دعوت الله دعاءا، ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير[5].

---

[1] سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ،ط1، 1989 ،ص 17.

[2] ابن فارس:مصدر سابق،ص237.

[3] ابن منظور:مصدر سابق ج14،ص258.

[4] أحمد بن محمد الفيومي:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،تحقيق عبد العظيم الشناوي ،دار المعارف،القاهرة، ط 2 ،1977م،ج1،ص195.

[5] - المصدر نفسه ،ص 194.

4/الدفاع عن قضية: في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ الرعد: ١٤

5/الدعاء بمعنى طلب الخير أو طلب الشر: دعا لفلان أي طلب الخير له ودعا على فلان طلب له الشر[1]. قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾ القصص: ٤١

6/الحث على الشيء: دعا إلى الشيء حثه على قصده[2] وغيرها من المعاني المختلفة والمتعددة. فالدعوة في اللغة إذن تكون غالبا بمعنى الابتهال والطلب وتكون بمعنى النداء لأمر ما والدفاع عن رأي أو مذهب والحث عليه.

***الدعوة اصطلاحا:**

يطلق لفظ الدعوة في الاصطلاح على معنيين بارزين؛

-المعنى الأول للدعوة في الاصطلاح يأتي مرادفا لدين الإسلام والرسالة:

فتكون الدعوة "هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية[3]".

" دين الله الذي ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهم وتسييرا لضرورتهم ووفاءً بحقوقهم وإشاعة للحق والعدل بينهم[4]".

---

[1] ابراهيم مصطفى وآخرون:المعجم الوسيط،دار الشروق ،القاهرة،ط5 ،2011م،ص286.

[2] مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي:القاموس المحيط،تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط 3 ،1310هـ،ج1،ص104.

[3] أحمد غلوش:الدعوة الإسلامية،أصولها ووسائلها،دار الكتاب المصري ،القاهرة،د.ط،1987،ص 12.

[4] محمد الراوي:الدعوة الإسلامية دعوة عالمية،مكتبة الرشد للنشر ،الرياض،ط3 ،1991م،ص4.

وعرّفها ابن تيمية بقوله:" الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله ،بتصديقهم فيما أخبروا به ،وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[1].

ثم أشار ابن تيمية بعد ذلك إلى أن الدرجات الثلاثة التي ذكرها في تعريف الدعوة تشمل الإسلام والإيمان، والإحسان وهي مراتب في الدين مذكورة في حديث جبريل عليه السلام في التعريف بالإسلام .

والدعوة عند أحد الباحثين هي"برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين مع الله [2]" وهي: " النظام العام، ومنهاج السلوك للإنسان ،والتطبيق الشامل لأمور الحياة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة[3]".

-المعنى الثاني للدعوة فهو يأتي مرادفا للنشر والتبليغ:

فتكون الدعوة مرادفة لـ: "حث الناس على الخير، والهدى والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل[4]".

وهذا التعريف تأسس على حث الناس على الخير: أي بمعنى النشر؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويندرج ضمن ذلك التبليغ.

فالدعوة إذن نشر وتبليغ.

وهناك من جمع بين المعنيين الأوليين فقال أن الدعوة هي:" تبيلغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة[1]"، وقد شمل هذا التعريف المراحل الدعوية الثلاثة المنصوص عليها في الآية

---

[1]-أحمد بن تيمية:مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،تحقيق:عبد الرحمن بن محمد الحنبلي،مطابع الرياض ،الرياض،1385هـ،ج15،ص157.

[2]محمد الغزالي:مع الله دراسات في الدعوة والدعاة،دار الهدى،قسنطينة ،الجزائر،ط5 ،1981،ص12.

[3]محمد سعيد البارودي:الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان،دار الوفاء ،جدة،ط1987،1م،ص25

[4]علي محفوظ:هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة،دار الكتاب العربي ،القاهرة،ط1952،5م،ص17.

الكريمة: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ الجمعة: ٢، فشمل قوله تعالى: "يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ" عنصر البيان والتبليغ وهو القاعدة الأولى في الدعوة، وشمل قوله تعالى: "وَيُزَكِّيهِمۡ " عنصر التربية والتعليم. ،وشمل قوله تعالى: " وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ " فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة فيعمل الداعية بذلك على تطبيق الكتاب والسنة في حياته ويدعو الناس إلى تطبيق ذلك في حياتهم.

والتعريف الإجرائي للدعوة هو:عبارة عن مجموعة من الجهود المنظمة والمبذولة من طرف فرد أو هيئة باستخدام أساليب وطرق شرعية لتمرير رسالة الدين الإسلامي التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وتوضيح تعاليمها السمحاء للمسلمين وغير المسلمين ابتغاءً لمرضاة الله.

3-الخطاب الدعوي:

إن الخطاب الدعوي في صورته الشاملة هو الذي يلتزم بمقاصد الدين وقيمه حتى وإن لم يحمل المضامين الدينية الصريحة كالآيات أو الأحاديث النبوية [2]،وقد عرف على أنه: "مجمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية- من وسائل وأساليب ومناهج ومواقف- المجندة والمستخدمة في العمليات التغييرية المخططة، أوالعفوية الرسمية أو الشعبية الفردية أو الجماعية الهادفة إلى نصرة الإسلام كمنهج وكتاريخ وكمستقبل وكحضارة[3].

وهو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين كانوا أو غير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام و تعليمه لهم، وتربيتهم عليه عقيدة و شريعة وعبادة و معاملة وفكرا و سلوكا ويهدف هذا

---

[1] محمد أبو الفتح البيانوني:المدخل إلى علم الدعوة،مؤسسة الرسالة ،لبنان،ط3،1995م،ص17.

[2] همي هويدي:السياسة هي التي تتخل في الدين وتحدد له مساراته، توحيد،موقع : http.//www.eltwhed.com/ ،تاريخ الدخول:2020/5/22.

[3] الطيب برغوث:الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه،دار الامتياز ،الجزائر،ط1،1990م،ص11.

البيان إلى شرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم سواء كانت هذه العلاقة فردية أو اجتماعية أو روحية أو مادية نظرية أو علمية[1].

4-الخطاب الدعوي و المفاهيم المشابهة:

*الخطاب الديني:

يشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من ا لأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي تتبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزاء هذا العالم. وينطوي مصطلح الخطاب الديني على تنوعات عديدة منها خطاب ديني مغلق وهو الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر، وخطاب ديني مفتوح وله عدة مستويات، فقد يكون في إطاره إبداء القيادة الدينية الرأي في أسئلة تتعلق بقضايا شخصية توجه إليه[2].

فمهموم الخطاب الديني هنا يشير إلى مصطلح شامل لكل الأديان،الدين اليهودي ، الدين المسيحي ،الدين الإسلامي بما فيها الأديان الوضعية ، ويختلف الخطاب الدعوي عنه في كونه يرتبط بمستوى معين، وهو المضامين المتعلقة بمجال الدعوة إلى الله التي يؤطرها هنا الدين الإسلامي حسب مسار البحث .

*الخطاب الديني الإسلامي:

قبل تعريفنا للخطاب الإسلامي فإننا أولا نسلم بمبدأ أن مصطلح الدين هو مرادف لمصطلح الإسلام، وذلك من منطلق الآية الكريمة « إن الدين عند الله الإسلام » و الآية الكريمة « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين »، وبحكم تخصص العلوم الإسلامية

---

[1] يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق ،القاهرة،ط 1 ،2004م،ص16.

[2] -الشريف حبيلة،الخطاب الديني و إشكاليات المفهوم ،مجلة الآداب و اللغات،إصدار جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، ،ع 1 جوان 2015،ص78.

فإن الأمر محسوم بالنسبة لمصطلحي الدين والإسلام فهما اسمان، ومصطلحان لمعنى واحد ،وكذلك الحال في ما يخص العلاقة، والتداخل الحاصل بين مفهوم الدعوة ،والدين ،والإسلام فالدعوة هي المناداة بتطبيق الدين الذي هو الإسلام في حياة الناس، ومنه فإن الخطاب الديني هو نفسه الخطاب الإسلامي،وما ينطبق عليهما من مفاهيم فهو ينطبق على مفهوم الخطاب الدعوي، ولا فرق بين الثلاثة في المفهوم،أي أن الخطاب الإسلامي هو كل خطاب يتم توجيهه، وإرساله باسم الإسلام، وفي خدمة الإسلام، ولإيصال رسالة الإسلام بمعناها الصحيح، والسليم إلى المسلمين وغير المسلمين، وهذا ما ذهب إليه "كثير ممن عرف الدعوة على أنها الإسلام" [1]،و الذي يعني بشكل أوضح بأنه " هو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين كانوا أو غير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام و تعليمه لهم، وتربيتهم عليه عقيدة و شريعة وعبادة و معاملة وفكرا و سلوكا ويهدف هذا البيان إلى شرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم سواء كانت هذه العلاقة فردية أو اجتماعية أو روحية أو مادية نظرية أو علمية[2]" .

-**التعريف الإجرائي** للخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبدالوهاب:

اخترنا التعريف الإجرائي للخطاب الدعوي والمناسب لموضوع البحث،من غير إخلال بمقومات التعريف الأصلي للخطاب والدعوة،فكان التعريف كالآتي: هو تلك الآلية التواصلية :كلام –خطب، دروس، كتب، ومؤلفات،رسائل ومكاتبات–،والتي تحمل بين ثناياها مسؤولية نشر الدين الإسلامي الصحيح الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم،وبذل الجهد من خلال استعمال الوسائل والأساليب المشروعة لإيصال مضمون رسالة الإسلام إلى الناس ودعوتهم إلى تطبيقها في حياتهم،و الذي يتجسد هنا في نموذجين من الشخصيات الدعوية و هما عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب ،مع الإشارة أنه لا يدخل ضمن بحثنا دراسة الإيحاءات والإيماءات وغيرها من الرموز التي لم نجد لها أي أثر ضمن المصادر الأصلية لعناصر الموضوع.

[1] منهم ابن تيمية في كتاب فتاوى شيخ الإسلام.

[2] يوسف القرضاوي:مرجع سابق، ص16.

-الدراسات السابقة:

من خلال إطلاعنا على ما دوّن وكتب في موضوع الرسالة فقد وجدنا أن ما دون من الدراسات ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول:وهو يخص الدراسات المتعلقة بالخطاب الدعوي ،ويمثل الشق الأول من موضوع الرسالة ،والكتب والدراسات في هذا الموضوع كثيرة ومتعددة،و من هذه الدراسات نذكر:

الدراسة الأولى : الخطاب الدعوي المعاصر في وسائل الاتصال الجماهيري المرئية[1]:

استهدفت هذه الدراسة بيان عناصر الخطاب الدعوي المعاصر وأشكاله والقضايا التي يتناولها هذا الخطاب، ثم بيان أحد أهم وسائل الدعوة الحديثة المرئية" التلفزيون" ونماذج لاستخداماته من شخصيات دعوية معاصرة ساهمت من خلال هذه الوسيلة المرئية في إيصال أو شرح هذا الخطاب بكل أمانة ومسؤولية إلى جميع أنحاء العالم .

و قد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي في دراسة الموضوع .

و توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها :

1-إن الخطاب الدعوي الإسلامي المرئي المعاصر قد نجح في الوصول إلى الجمهور عريض من الناس لتبليغهم دين الإسلام وتعليمهم إياه لتطبيقه في واقع الحياة.

2-إن وسائل الدعوة الحديثة المرئية "التليفزيون" يقوم بالخطاب الدعوي المعاصر على أحسن وجه إن أحسن استخدامه وذلك من خلال ما يقوم به من إقامة علاقات إنسانية طيبة بين جمهور عريض من الناس، ومن خلال استخدامه لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية في إصلاح القلوب والتأثير فيها، ومن خلال مكافحته للفساد والأوهام، والدعوة إلى العلم والإيمان.

[1]- وصفي محمد أحمد بني أرشيد ،الخطاب الدعوي المعاصر في وسائل الاتصال الجماهيري المرئية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الدراسات الفقهية و القانونية جامعة آل البيت ،الأردن،2008م.

3-إن النماذج الدعوية المختارة في هذه الدراسة كانت نماذج مرغوب فيها وتحقق رضى جماهير الناس، وذلك بسبب ما حققته هذه النماذج من نتائج ملموسة في نفوس الناس.

التعليق على الدراسة: استطاع الباحث من خلال هذه الدراسة الوصول إلى العلاقة التي تربط الخطاب الدعوي بالواقع المعاصر،الذي يشهد ثورات علمية وتكنولوجية خاصة في مجال الإعلام والاتصال،ومن خلال هذه الدراسة فقد بين الباحث أثر هذه الوسائل-وسيلة التلفزيون كنموذج للدراسة- في تمرير الرسالة الدعوية إلى الناس،والقيام بمهمة التبليغ والدعوة إلى دين الله تعالى،ومع أن هذه الدراسة كانت تمثل الشق العملي في الدراسات الدعوية،إلا أنها في الوقت ذاته تعبر عن الفارق الكبير الحاصل بينها وبين موضوع دراستنا،ذلك أن موضوع دراستنا متعلق بدراسة الخطاب الدعوي لشخصيتين لم يكتب لهما أن يعيشا زمن الخطاب الدعوي الممارس بوسيلة التلفزيون،وبالتالي فإن هنالك فوارق في خصائص وآليات ومناهج الخطاب الدعوي الممارس بوسيلة التلفزيون، وخصائص، وآليات، ومناهج الخطاب الدعوي المتعلق بشخصيتي الدراسة التي قمنا بهما، ومع كل هذا فإننا استفدنا من الدراسة في موضوع البحث،خصوصا فيما تعلق في استخدام وسائل الإعلام للمنهج القرآني والنبوي لإصلاح المجتمع.

الدراسة الثانية:الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي[1]:

استهدف البحث دراسة الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء، عن طريق اختيار نموذجين من أعلامها، وهما الشيخان عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي، اللذان يعدان من ألمع الرموز الجزائرية التي نافحت عن المقومات الوطنية .

[1]-شهرة شفري، الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس و البشير الابراهيمي،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية،جامعة الحاج لخضر باتنة،الجزائر، 2008-2009م.

اعتمد الباحث على مجموعة من المناهج تمثلت في المنهج المسح الوصفي؛ لوصف الأعمال وجهود قام بها كل من بن باديس والإبراهيمي مع إدراج الملابسات والأسباب والدوافع التي ساعدهما في ذلك. والمنهج المقارن؛ لاستخراج أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف الموجودة في خطاب الشيخان. والمنهج التاريخي للاستئناس به؛ على اعتبار أن الباحث بصدد الحديث عن مسيرة الشخصيتان الذاتية والدعوية خلال فترة زمنية محددة؛ وهي فترة تصاعد مد الاحتلال الفرنسي من بداية العمل الدعوي لابن باديس سنة 1913 إلى سنة 1956 م؛ السنة التي حلت فيها الجمعية من طرف السلطات الاستعمارية الحاكمة.

وقد توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج العلمية من أهمها:

-أن المصلحين ابن باديس والإبراهيمي اللذان فتحا أعينهما على الوطن وهو يئن تحت وطأة الاستعمار الاستيطاني، وهما يعدان بحق من الأسماء الريادية في بلاد المغرب العربي. هدفا من عملهما الإصلاحي المتكامل إلى تكوين الشعب الجزائري، وتخليصه من التبعية الثقافية وإعداده ليوم المواجهة العسكرية الفاصلة ضد المستعمر الفرنسي الذي طال ليله وكثر خبثه.

-تميز خطابهما الدعوي بجملة من الخصائص، منها المبدئية: فقد وفقا إلى حد كبير في ترسيخ مفهوم الكتاب والسنة في قلوب الجزائريين وإلمام شمل الأمة حولهما. كما أفلحت جمعية العلماء في إحياء الاجتهاد وثارا ضد التقليد والجمود الذي من آثاره السيئة؛ التعصب المذهبي بدل الاستقلال الفكري القائم على أساس الرجوع إلى القرآن والسنة، وآثار العلماء المستقلين في فهم هذين المصدرين، ودعا إلى الممازجة بين المعرفة النقلية مصدرها الوحي بإحداثياته الكتاب والسنة، والمعرفة العقلية مصدرها الكون بشقيه الطبيعي والبشري، وذلك وفق قاعدة موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ودرء تعارض العقل والنقل.

-أما فيما يخص مضامين خطابهما الدعوي، فقد تناولا موضوعات كثيرة مست الميدان العقدي، والتربوي، والاجتماعي، والسياسي. ففي الأول؛ عملا على تجديد العقيدة التي أصابها

الدخن من جراء المفاهيم الفاسدة والأفكار الجامدة والمعتقدات الخاطئة التي عمدت إليها الطرقية، وأضلت بها عقول العامة؛ وذلك بتبيين أركان العقيدة الإسلامية وتناولها علمياً وشرحها وتبسيطها وإيجازها وإيضاحها للعامة والخاصة على الطريقة السنية. وفي الثاني؛باهتمامها بالأخلاق الفاضلة وتنفيرها من سيئها إلى جانب اهتمامهما بموضوع المرأة، الشباب، الاستعمار، والقضية الفلسطينية.

التعليق على الدراسة :تعتبر الدراسة شاملة لأهم عناصر الخطاب الدعوي ،وقد استطاعت الباحثة من خلال هذه الرسالة دراسة الخطاب الدعوي من خلال التطرق إلى مضامين ووسائل وخصائص الخطاب الدعوي،إلا أن هنالك جزءا هاما في الخطاب الدعوي لم يتم ذكره في الرسالة وهو مناهج الخطاب الدعوي،وهو عنصر هام وضروري في موضوع الخطاب الدعوي،وعند تمحيص هذه الدراسة فقد وجدنا أن الباحثة لم تجر أي وجه من أوجه المقارنة بين الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس ،والخطاب الدعوي للبشير الإبراهيمي، وإنما كانت الدراسة عبارة عن سرد لجزء من الخطاب الدعوي المتعلق بكل واحد منهما ،دون ذكر نقاط الاشتراك والافتراق بين هذين الخطابين،مع أن الباحثة قد أوردت في موضوع الرسالة مسألة المقارنة كما هو موضح في موضوع رسالتها.

الدراسة الثالثة: الخطاب الدعوي المعاصر وموانع الاستجابة السلوكية عند الفرد المسلم دراسة نظرية، وميدانية[1] .

انطلقت المشكلة البحثية لهذه الدراسة من أن تبليغ الخطاب الدعوي وتنوع الأساليب والوسائل الناقلة له، واستماع الفرد المسلم له وتأثره به لم يجعل للممارسة الشرعية تحققا كافيا على أرض الواقع يكفل للمرء تقوية مداركه والاطمئنان له كحل جذري لأزماته. و على هذا الأساس ترتكز إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيس: ما هي موانع الاستجابة السلوكية للخطاب الدعوي المعاصر؟.

[1] –فيروز صوالحي، الخطاب الدعوي المعاصر، وموانع الاستجابة السلوكية عند الفرد المسلم دراسة نظرية، وميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية ،جامعة باتنة ،2010/2009.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي حيث أن البحث لن يقف عند حد وصف إشكالية الدراسة ومظاهرها فحسب، بل يتعداه إلى تحليل وتفسير الأسباب والأبعاد المرتبطة بها. و قد طبقت الدراسة في شقها الميداني على عينة قوامها 250 من الطلبة الجامعيين بولاية باتنة بالاعتماد على استمارة الاستبيان.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها :

-أن الخطاب الدعوي المعاصر وبفضل دقة مقاصده ووضوح أهدافه وتنوع أساليبه ووسائله التي تتيح له الوصول إلى جميع شرائح المجتمع دون استثناء، يعد من أقوى المتغيرات المتحكمة في نوعية ومستوى الاستجابة السلوكية للفرد المسلم بلا منازع؛ فالخطاب الدعوي يعمل على تجميع جهود الأمة الإسلامية نحو هدف واحد،كما يعمل على ترشيد سلوك أفرادها، وهذا ما يجعل الأهداف السلبية للمتغيرات الأخرى المتحكمة في سلوك الفرد المسلم- الإعلام الغربي، العادات والتقاليد الاجتماعية المخافة لتعاليم الإسلام، أهواء وشهوات الإنسان- تتساقط أمام قوته .

-أن مجرد وضوح المثل الأعلى غير كاف لجعل الفرد المسلم يستجيب للخطاب الدعوي لوجود موانع تتعلق بالمدعو تحول بينه وبين رؤيته وإدراكه للمثل الأعلى الواضح.

-جاءت الدراسة الميدانية لترتيب موانع الاستجابة السلوكية لدى الفرد المسلم حسب أهميتها وأولوية عملها:حيث أثبتت المرتبة الأولى للموانع المتعلقة بالداعية وبالضبط لمانع عدم استعمال آليات قياس الجمهور والتعرف على مستوياتهم وأحوالهم من طرف الدعاة، ثم يليه مانع عدم الأداء الفعلي لما يدعو إليه الداعية أو ينصح به ويرشد إليه. ثم تليها في المرتبة الثانية الموانع المتعلقة بالمدعو، ونذكر منها مانع كِبْرُ ،وعُجْبُ المدعو بنفسه،ومانع ميل نفس المدعو عن صفة اليقظة إلى صفة الغفلة.

التعليق على الدراسة : جاءت هذه الدراسة في صبغة إعلامية وميدانية ،وقدمت الكثير من الفوائد الدعوية في تحسين الخطاب وكيفية استثمار وسائل الإعلام والاتصال في إيصال المضامين الدعوية المستوحاة من الكتاب والسنة إلى أكبر قدر ممكن من الجماهير.

غير أن هذه الدراسة كانت دراسة ميدانية متعلقة بدراسة الجمهور وآرائه حول البرامج الإعلامية التي تضم الخطابات الدعوية،ومكامن الخلل في تلك البرامج التي تشكل بالنسبة للجمهور عوائق في فهم الرسالة الدعوية . فالدراسة إذن تعنى بالشق الإعلامي والميداني،وهي تخضع لآراء الجمهور وتوجهاته، ولا تهتم بدراسة الخطاب الدعوي من حيث مضامينه ومناهجه، وخصائصه ،ولم تطرح نماذج عن الخطاب الدعوي كما هو الحال بالنسبة لموضوع دراستنا، والمتعلق بدراسة نموذجين لشخصيتين هما ابن باديس، وابن عبد الوهاب،هذين المتغيرين بالنسبة لموضوع دراست نا لم يكونا ضمن موضوع هذه الدراسة ، وإنما كان موضوع الدراسة هو معرفة وقياس آراء الجماهير حول بعض البرامج الإعلامية التي تتناول الخطاب الدعوي.

الدراسة الرابعة :التجديد في الخطاب الدعوي: معناه ودوافعه ووسائله وملامحه[1] :

استهدفت مشكلة البحث التعرف على ماهية التجديد في الخطاب الدعوي و الوسائل التي يستخدمها، وملامح هذا التجديد .

-وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث حسب الباحث الاعتماد على المنهج الوصفي التقريري في مواضع كثيرة منه؛ لتقرير الواقع الفعلي للخطاب الدعوي، وما ينبغي أن يكون عليه حسب رؤية الباحث للتجديد فيه . مع تخلل المنهج التحليلي في مواضع قليلة، وكذا المنهج الاستنباطي.

و قد توصل البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

-ضرورة النهوض بالخطابة والخطباء؛ لما تمثله الخطابة من محور ارتكاز للخطاب الدعوي كله بما أنها من شعائر الدين.

-أن التجديد في الخطاب الإسلامي يعني إعادة النظر والفهم الجديد المتطور بشكل مستمر لما يوجه من خطاب إسلامي، بما يضمن الفهم السليم والقويم لنصوص الشريعة بما يهدي المسلم لمعالجة مشكلات مجتمعه وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه معالجةً نابعةً من هدي الوحي.

[1] -هشام يسري العربي، التجديد في الخطاب الدعوي:معناه ودوافعه ووسائله وملامحه ،بحث مقدم ضمن ندوة الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،المملكة العربية السعودية،12-13مارس 2014م.

-أن التجديد في الخطاب الدعوي لابد له من وسائل ينهضا؛ولذلك ينبغي على القائمين به أن يطوروا الوسائل القديمة والتقليدية، وأن يوظفوا الوسائل التكنولوجية المعاصرة من فضائيات وإنترنت بكل ما يشمله من نوافذ، مع ضرورة الاهتمام بالقائمين على هذا الخطاب وتنمية مهاراتهم ودعمهم من أجل القيام بمهمتهم.

التعليق على الدراسة: اهتمت هذه الدراسة كما هو واضح بكيفية التجديد في الخطاب الدعوي ، ومع أنها تهتم بالخطاب الدعوي غير أنها جعلت توظيفه أمرا ثانويا ،و هو في بحثنا ركن أساسي في إطار الشخصيتين المختارتين للدراسة ،و مع كل ذلك فقد استفدنا منها في التعرف على بعض من معطيات الخطاب الدعوي .

الدراسة الخامسة :الخطاب الدعوي في القنوات التلفزيزنية : دراسة تقويمية لبعض البرامج الدعوية بتلفزيون السودان 2015 -2016 [1].

استهدفت هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على الخطاب الدعوي في التلفزيون القومي في جمهورية السودان كنموذج للتلفزيونات الرسمية في ادارة وإنتاج الخطاب الدعوي وتوجيهه في خدمة الدعوة الإسلامية، و الكشف عن اتجاهات الخطاب الدعوي وأهم الموضوعات التي يركز عليها والأساليب المستخدمة في الإقناع .

وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي ،و في إطاره تم تصميم استمارة تحليل مضمون لتوصيف خصائص شكل ومضمون ستة من البرامج الدعوية في التلفزيون القومي السودان .

و قد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج:

-ضعف نسبة المساحة المخصصة للبرامج الدعوية في التلفزيون السوداني ضمن الخارطة البرامجية لنسبة لا تتجاوز 10.7 %يدل على ودني الاهتمام بالخطاب الدعوي، وربما ذلك يعود لأولويات البرنامج العام للتلفزيون في وتغطية ومعالجة القضايا السياسية والاجتماعية.

[1] -السر سعد علي محمد، الخطاب الدعوي في القنوات التلفزيزنية : دراسة تقويمية لبعض البرامج الدعوية بتلفزيون السودان 2015 -2016 ،موقع :https://www.researchgate.net / ،تاريخ الدخول: 2019/5/14م.

-اهتمام متزايد بالإشكال الحوارية والحديث المباشر في صياغة الرسالة الإعلامية، يدل على قصور في استخدام التقنيات الحديثة في معالجة الخطاب الدعوي.

-أغلبية مضامين البرامج الدعوية وصنف ضمن القضايا الفقهية و تحديدا فق العبادات وذلك يظهر بوضوح في طبيعة البرامج مثل الفتاوى ونور على نور الخ.

-تركيز كبير بالترفي ، بزيادة المساحة المخصصة للمديح النبوي، وذلك لسهولة انتاج المدائح النبوية والتي لا تحتاج اكثر من كاميرا واحدة، ونادرا ما تخضع لعمليات المونتاج.

-غالبية الخطاب الديني باختلاف البرامج وأنماطها وتقسيماتها البرامجية يعاني من الجمود في طرح القضايا وتكرارها.

التعليق على الدراسة : تعتبر هذه الدراسة من بين الدراسات الإعلامية الوصفية والتحليلية لمضامين الخطاب الدعوي ،فقد جاءت هذه الدراسة لتقويم بعض من الخطابات الدعوية، انطلاقا من تحليل مضامين تلك الخطابات عن طريق استخدام الاستمارات ومعرفة نتائج تلك الخطابات وأثرها في الجمهور، ومع أن هذه الدراسة قد قامت بالتطرق إلى موضوع الخطاب الدعوي،وحاولت معرفة الأسباب الرئيسة لعدم انفعال المدعويين مع مضامين الرسالة والخطاب الدعوي،إلا أنها-أي هذه الدراسة- كانت مقتصرة على بعض البرامج التلفزيونية السودانية، هذا التخصيص والتقييد لموضوع الدراسة جعلها تفترق مع موضوع دراستنا البحثية ،وإن اجتمعتا –أي الدراستين- في دراسة الخطاب الدعوي، وتوحدتا في محاولة تقديم الحلول الناجعة والآليات والمناهج السليمة لإفادة الأمة بمضامين الخطاب الدعوي.

القسم الثاني: وهو يخص الدراسات المتعلقة بشخصيتي الرسالة–عبد الحميد بن باديس،ومحمد بن عبد الوهاب ،وهو يمثل الشق الثاني من موضوع الرسالة،ومن أبرز الدراسات المتعلقة بهذا الشق:

أولا: دراسات حول عبد الحميد بن باديس:

الدراسة الأولى:"حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية"[1]

اسنهدف الدراسة التعرف على حركة ابن باديس الاصلاحية في المجال التربوي ،و قد اعتمد الباحث لدراسة الموضوع على المنهج التاريخي و التحليلي و المقارن .

و قد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

–التزام أصول الدين و العلم و اصول المنهج السلفي ،و أصول المذهب المالكي مع التفتح على المذاهب الأخرى و الحرص على ربط الفروع بالأصول و النتائج بالمقدمات ،مما ينم عن روح علمية و حرية في التفكير .

–الاعتماد على الحجة و الدليل في إثبات الحقائق ،سواء كان الدليل عقليا أو نقليا أو حسيا ومشاهدة و تجربة ،والتزام الحق في الجدال بالتي هي أحسن كما جاء في القرآن الكريم .

–الثبات في المواقف، والشجاعة في إعلان الرأي، والدفاع عن الحقيقة ،والجرأة في طرح القضايا المصيرية مهما كانت حساسيتها و خطورتها .

التعليق على الدراسة:

رغم أن الباحث قد قام باختيار موضوع هام في مجال الإصلاح والتربية،ودور ابن باديس الإصلاحي ،إلا أن الباحث قد أعطى مساحة كبيرة للباب الأول الذي يعتبر كمدخل وبوابة لدراسة موضوع الرسالة،هذا الباب الذي أخذ حيزا كبيرا من موضوع الدراسة جعل الباحث في حرج من

[1]–علي علواش ،حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية،رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية بالخروبة ، جامعة الجزائر ،1984/1983.

الإحاطة بالكثير من حركة ابن باديس التربوية،وأهدافها الإصلاحية التي غيبت في أجزاء كثيرة من الدراسة باستثناء مبحث واحد فقط كان متعلقا بدراسة أهداف التعليم بمدارس جمعية العلماء المسلمين،وأما غيرها من الأنشطة التابعة لحركة ابن باديس فإننا لانجد أي أثر لأهدافها الإصلاحية.

وأما من جانب علاقته بموضوع دراستي فإنه ورغم وجود بعض نقاط التقاطع مع موضوع الدراسة والتي استفدت منها في موضوع الرسالة،إلا أن هذا الموضوع ناقش جانبا واحدا فقط من جوانب الخطاب الدعوي الشامل لابن باديس، وهو الجانب التعليمي والتربوي.

الدراسة الثانية:عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1940-1989)[1].

استهدفت الدراسة التعريف بالعلامة ابن باديس ودوره الرائد في الإصلاح، والنهوض بالمجتمع في الجزائر، وقد اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي لمعالجة الموضوع .

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

-تبين من خلال الدراسة أن ابن باديس يعد علما من أعلام الجزائر المجاهدين في المغرب العربي الكبير ،و يصنف ضمن الأعلام البارزين في الشرق و الغرب.

-كان ابن باديس منفتحا على العصر، ومناوئا للتقليد، لكنه في الوقت نفسه لا يتقدم عليه أحد بتمسكه بالثوابت الإسلامية من عقائدية، وخلقية،وحسية .

-كانت لجهود ابن باديس الإصلاحية والتجديدية على الحياة الدينية، والاجتماعية، والفكرية داخل الجزائر، ومحيطها القريب، والبعيد آثار باقية لا تمحى حسب الباحث .

[1]- فهمي توفيق محمد مقبول، عبد الحميد بن باديس رائد النهضة رائد الإصلاح و النهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1989-1940)،مجلة الدرعية،السعودية، ع20 ،س5 ،مارس 2003م،ص ص228-2281..

-حظي ابن باديس بمكانة مرموقة داخل مجتمعه و خارجه ،كشخصية إسلامية أثيرة استطاعت بسلاح الاسلام، والعروبة أن تسترد للجزائر هويتها و عروبتها و إسلامها .

التعليق على الدراسة :اهتمت الدراسة حسب مضمونها بإبراز حياة عبد الحميد بن باديس، وجهوده الإصلاحية، ومع أهمية الدراسة فإنها أغفلت جانبا مهما يتعلق بمناهج الخطاب الدعوي لابن باديس ،بالإضافة إلى كون الدراسة الحالية اهتمت بالخطاب الدعوي بشكل أساس بمقارنته مع إحدى الشخصيات ذات الصيت العالمي و هي شخصية محمد بن عبد الوهاب.

الدراسة الثالثة:الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس و أثره في استقلال الجزائر[1].

-إن أي فكر تحرري يجب يراد له النجاح لابد أن يتضمن أمرين :الأول إصلاحي لتغيير المجتمع من حالته المتردية إلى حالة أكثر صلاحا تتجاوب مع متطلبات التحرير و مقتضياته ،و الثاني سياسي لتحديد الرؤية التي سيفضي إليها.

-إنه لإحياء الأبعاد القومية كاللغة، وامتداداتها، التاريخ على سبيل المثال تعزيز فكرة النفور من الآخر و المضي في طريق التحرير مهما بلغت التكاليف .

-إن التركيز على القرآن الكريم و السنة النبوية و اعتبارهما ركيزة الفكر التحرري لأي مفكر و أي شعب إسلامي يعني ترسيخ أيديولوجية الجهاد في نفوس النشء الذي لا يرضى للتحرر من قيد الاستعمار بديلا.

التعليق على الدراسة : تناولت هذه الدراسة البعد التحرري في الفكر الباديسي،وأثر ذلك البعد في تحقيق استقلال الجزائر من قيود الاستعمار الفرنسي، فالدراسة إذن تطرقت إلى الجانب السياسي في فكر وخطاب عبد الحميد بن باديس، واعتمدت على البحث في جزئية واحدة من

[1]-فراس حمد فرسوني ، الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس و أثره في استقلال الجزائر ،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الإنسانية،جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا،الأردن،2009م.

الجانب السياسي-وهي البعد التحرري-،والذي يعتبر- أي البعد التحرري والجانب السياسي- جزءا من الكل في الخطاب الدعوي الذي قدمه عبد الحميد بن باديس.

ثانيا:دراسات حول محمد بن عبد الوهاب:

الدراسة الأولى:دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي[1]

استهدفت هذه الدراسة البحث في دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب،و الأثر الذي تركته على مستوى العالم الإسلامي .

واعتمدت الدراسة في تناول الموضوع على المنهج الاستقرائي التحليلي ،و قد توصلت إلى جملة من النتائج أهمها:

-أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية إن لم تكن قد أثرت تأثيرا مباشرا على الحركات الإصلاحية التي ظهرت بعدها فلا أقل من أن تكون قد مهدت لها، وقوت عزائم القائمين عليها.

-إن تأثر أي دعوة بالأخرى لا يعني اعتناقها لجميع مبادئها الأساسية والفرعية، بل يكفي أن تتأثر ببعض أو أهم هذه المبادئ، ونستطيع القول: إن جميع الدعوات الإصلاحية التي تأثرت بالدعوة كانت تدعو إلى أهم أسس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهما) :إخلاص التوحيد الله تعالى - وفتح باب الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى باتباع الكتاب والسنة)، أما المسائل الفرعية للدعوة فقد تخالفها.

-بذل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لدعوته جهوده وقواه، وخاطر بحياته ليدفع بدعوته إلى الحياة حتى جمع حولها الأتباع والأعوان، وبقوة إيمانه بدعوته، وبالغاية التي يسعى إليها استطاع أن يدفع بها إلى النجاح.

[1]-أحمد بن عطية الزهراني:دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي،رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،1982.

التعليق على الدراسة: بعد قراءتي لهذه الدراسة وتمحيصي لها ،وجدت أنها تحتوي الكثير من الفوائد والآثار العلمية في الجانب العقدي،خصوصا ما تعلق بمسائل توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية،ومع ذلك فإنني وجدت أن الدراسة قد قامت على التركيز على بعض مسائل التوحيد – توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية،ومسألة الشفاعة والتوسل-،ولم يذكر الباحث أجزاء كبيرة من الجهود الدعوية لابن عبد الوهاب في جانب العقيدة مثل ضوابط التكفير عند ابن عبد الوهاب،ومسائل الإيمان مثل القضاء والقدر،والغيبيات.

كما أن الدراسة تناولت قسما واحدا فقط من علم الدعوة وهو قسم العقيدة،رغم أن موضوع الدراسة كان أوسع وأشمل من ذلك وهو"دعوة ابن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي".

الدراسة الثانية: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية[1]:

استهدف البحث دراسة حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،و البحث في آثاره العلمية في مختلف العلوم ،و قد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي .

وتوصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

-أكد البحث مدى تأثر محمد بن عبد الوهاب بابن تيمية من خلال آرائه و حججه، ومن خلال المسائل لخصها له .

-كانت دعوته التي ضمنها دراساته وفتاويه، وخطبه، ورسائله دعوة إلى العودة إلى دين الله، والاستمساك بكتاب الله، وسنة رسوله والوقوف عندهما و تحرير العقائد مما خالطهما من شوائب ،و العقول مما تفشى فيها من عادات و خرافات .

التعليق على الدراسة: بالنظر في معطيات هذه الدراسة فقد اتجهت إلى التركيز على حياة محمد بن عبد الوهاب، وهو شق يتقاطع مع دراستنا، بيد أنه يختلف عنها في التركيز على مضامين

[1]- التهامي نقرة، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية،بحث مقدم إلى مؤتمر أسبوع بحوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،مركز البحوث ،جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية،الرياض،1983م،ج1 ،ص ص-35-72.

الخطاب الدعوي الذي غاب بشكل كبير في هذه الدراسة، والتي تناولت بشكل خاص مسائل التوحيد، ولم يضمنها أيا من الإشارات المتعلقة بآليات و مناهج الدعوة التي هي جزء رئيس في دراستنا الحالية .

الدراسة الثالثة:"دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و دعوة الشيخ عثمان بن فودي"[1]

استهدفت هذه الدراسة البحث في دعوة كل من محمد بن عبد الوهاب و عثمان بن فودي في إطار مقارنة بين نشاطيهما الدعوي ،وذلك من خلال الحديث عن أوضاع المجتمعات العربية و الاسلامية التي عاش فيهما الداعيتان ،و إبراز المضامين و المبادئ التي قامت عليها دعوة كل منهما .

و استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي ،بالإضافة إلى المنهج المقارن .

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

-اتضح من دراسة دعوتي الشيخين محمد بن عبد الوهاب، وعثمان بن فودي،التشابه في النشأة الدينية حيث نشأ كل منهما في بيت علم ودين،فأثرت هذه النشأة الدينية على الشيخين،فقاما بمحاولة إصلاح مجتمعاتهما ونجحا في ذلك،كما تشابها في إثراء المكتبة العربية والإسلامية بالمؤلفات ،حيث ألف كل منهما مجموعة من الكتب في مختلف المجالات ،وبخاصة في العقيدة،والعبادات،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ومحاربة البدع،فكانت مؤلفاتهما محاولة جادة لإصلاح أوضاع مجتمعاتهما المتردية.

-اتضح أيضا من نتائج الدراسة تشابه الشخصيتان كذلك في بعض المبادئ،ففي الفروع اتبع كل منهما إماما واحدا من الأئمة الأربعة،ولم يخرج عنه إلا في بعض المسائل التي يرى فيها مخالفة إمامه، كما تشابها في نجاح دعوتيهما حيث استطاع كل منهما أن يبني دولة إسلامية في مجتمعه،فالشيخ محمد بن عبد الوهاب أقام الدولة الإسلامية في نجد بمؤازرة من أمير الدرعية الإمام

[1]- محمد بن علي بن محمد السكاكر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و دعوة الشيخ عثمان بن فودي، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الرياض،2000م.

محمد بن سعود،والشيخ عثمان بن محمد فودي أنشأ دولة إسلامية في بلاد الهوسا بعد أن فرض سلطانه على جميع ممالك الهوسا وما جاورها.

-أكدت الدراسة تشابه الداعيتين في مجال انتشار دعوتيهما خارج حدودهما ،فالشيخ محمد بن عبد الوهاب وصلت دعوته إلى خارج نجد،ووحدت معظم أرجاء الجزيرة العربية،فامتدت حدودها من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا،ومن حدود بادية الشام شمالا حتى الربع الخالي واليمن جنوبا،أما الشيخ عثمان بن فودي فقد نشأ في بيئة غلب على علمائها انتسابهم إلى الطرق الصوفية،فغلب هذا الجانب على حياته العلمية والعملية،فانضم إلى الطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، كما انتسب إلى عقيدة الأشاعرة، وإلى مذهب الإمام مالك في الفقه،وعندما بدأ دعوته قام بعدة رحلات إلى بلاد الهوسا، وزنفرا، وزوم،وألف المؤلفات،وكتب الرسائل لتوضيح الإسلام والدعوة إليه،ثم نجحت دعوته لتمتد إلى حدود الصحراء شمالا إلى منطقة الغابات جنوبا،ومن المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد برنو وكانم شرقا.

-شكلت أهم نقاط الاختلاف بين الدعوتين في كون ظهور الدعوتين في مجتمعين متباينين في اللغة والعادات،ثم اختلاف التكوين العلمي بين المذهب السني،والتأثر بمنهج ابن تيمية وابن القيم بالنسبة لشخصية ابن عبد الوهاب،وبين الانتساب إلى الطريقة الصوفية على مسلك الطريقة القادرية والتأثر بمشايخها.

التعليق على الدراسة: أحاطت الدراسة التي قدمها الباحث بالكثير من الجوانب الدعوية مثل العقيدة،السياسة،الفقه...،وقد خصص الباحث فصلا للحديث عن دعوة ابن عبد الوهاب وجهوده في التبليغ،وكان جل تركيز الدراسة حول الجانب السياسي لدعوة ابن عبد الوهاب، بينما لم يؤخذ الجانب الديني والعقدي إلا مجالا ضيقا من الدراسة،كما أن هذه الدراسة تختلف عن موضوع دراستنا في ما يتعلق بدراسة الخطاب، الذي نجده مغيبا في هذه الدراسة من وجه آليات، ومناهج وكذا خصائص الخطاب،وعموما فقد حاولنا الأخذ من هذه الدراسة ما أمكننا الاستفادة منه لخدمة موضوع دراستنا.

المبحث الثاني:الإجراءات المنهجية:

أولا:منهج الدراسة:

بما أن طبيعة الدراسة وإشكاليتها تتحكمان في نوع المنهج المستخدم في الدراسة،فقد كان لزاما على الباحث تبني المناهج التالية:

- **المنهج التاريخي**: وهو منهج قائم على استعراض الوقائع والأحداث التاريخية المستندة إلى عنصر الزمن الماضي، وما لدراسة تلك الوقائع من أهمية في فهم الأفكار ،وتحليل المضامين، ومعرفة الأسباب للوصول إلى النتائج والثمرات،وكانت الحاجة ملحة لاستخدامه خصوصا عند دراسة الأوضاع السائدة قبل وأثناء حياة شخصيتين تاريخيتين عاشتا في الزمن الماضي، هما ابن باديس،وابن عبد الوهاب.
- **المنهج الاستقرائي التحليلي**: وذلك حينما استدعى الأمر إلى تتبع مضامين ووسائل الخطاب الدعوي للرجلين ،والنظر فيها،ومن ثم تحليل تلك المضامين والوسائل .
- **المنهج المقارن**: وهذا راجع إلى طبيعة الإشكالية التي تفرض علينا دراسة كل خطاب على حدة ،وتحليل ووصف معطياته، ومن ثم إجراء المقارنة بين الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ،ومحمد بن عبد الوهاب.

-حدود البحث :

- ***الحدود الموضوعية** : تحددت في الخطاب الدعوي دون غيره من الخطابات الأخرى .
- ***الحدود الزمنية** : تم تحديد الخطاب الدعوي في هذا البحث في الفترة الزمنية التي تغطي حياة كل من عبد الحميد ابن باديس و محمد ابن عبد الوهاب .
- ***الحدود المكانية** : هنا بمكان منشأ الخطاب الدعوي لكل من الشخصيتين وتتمثل هنا في الجزائر ،و نجد وماجاورها .

ثانيا:خطوات منهجية في إعداد الدراسة:

هناك جملة من الخطوات البحثية التي قمت باتباعها في كتابة وإعداد هذه الرسالة، وهي متسقة ومتماشية مع أسس البحث العلمي، ولأهمية تلك الخطوات فقد ارتأينا أن نبرز أهمها:

-حاولت قدر المستطاع أن أوازن بين مباحث الدراسة من حيث الحجم المتفاوت، وذلك لما يقتضيه مقام كل مبحث وأهميته في البحث، ومراعاة الوفرة العلمية في ذلك.

-تخريج الآيات القرآنية وعزوها إلى مصحف المدينة برواية ورش عن نافع.

-مراعاة الخطوات الآتية في تخريج الأحاديث: إن كان الحديث في البخاري ومسلم اكتفيت بهما، وإن كان خارجهما ذكرت درجة الحديث، ووثقت تخريج الحديث بذكر اسم الكتاب، ورقم الحديث والجزء والصفحة.

-في حالة الاقتباس وضعت النص المقتبس بين شولتين، أما إذا كان الاقتباس بالمعنى أو فيه شيء من التصرف أحيله إلى الهامش مع الإشارة إليه بقول ينظر أو بتصرف. اخترت في التهميش الطريقة الآتية:

* عند ذكر المصدر أو المرجع للمرة الأولى: أذكر اسم ولقب المؤلف: ثم عنوان الكتاب، ثم المحقق أو المترجم إن وجد، ثم دار النشر، ثم مكان النشر، ثم الطبعة، ، ثم سنة النشر، ثم الجزء، ثم الصفحة.

الفـــــــصل الثانـــــــي

عصر و حياة الشخصيتين

المبحث الأول : عصر و حياة عبد الحميد بن باديس

المطلب الأول : الأوضاع العامة في الجزائر

المطلب الثاني: حياة عبد الحميد بن باديس

المبحث الثاني : عصر و حياة محمد بن عبد الوهاب

المطلب الأول : الأوضاع العامة في نجد و الحجاز

المطلب الثاني : حياة محمد بن عبد الوهاب

المبحث الثالث: المقارنة بين عصر و حياة الشخصيتين

المطلب الأول: أوجه التشابه

المطلب الثاني : أوجه الاختلاف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تلعب البيئة دورا كبيرا في صقل شخصية الانسان،وتوجيه قناعاته، ومن ثم فإن دراسة الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس، ومحمد بن عبد الوهاب لا يمكن دراسته بمعزل عن المعطيات البيئية في جوانبها المختلفة، وسيتعرض هذا الفصل لمختلف الأوضاع التي عاصرها صاحبا الخطابين و من ثم حياتهما ضمن هذه المباحث.

المبحث الأول: عصر وحياة عبد الحميد بن باديس:

شكلت الجزائر إطارا مكانيا لخطاب عبد الحميد بن باديس الدعوي، وتقع الجزائر في وسط شمال غرب القارة الإفريقية بين خطي طول 9° غرب غرينتش و 12° شرقه، وبين دائرتي عرض 19° و 37° شمالا، مساحتها 2.381.741 كم مربع، يبلغ امتدادها الشمالي الجنوبي 1900 كم ،أما امتدادها الشرقي الغربي فيتراوح بين 1200 كم على خط الساحل و 1800 كم على خط تندوف غدامس، يحد الجزائر من جهة الشرق تونس وليبيا، ومن جهة الغرب المملكة المغربية والصحراء الغربية، ومن الجنوب النيجر ومالي وموريتانيا، ومن جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط[1].

المطلب الأول : الاوضاع العامة في الجزائر :

أولا:الأوضاع الاجتماعية في الجزائر :

لقد كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية قائمة على ضرب كيان المجتمع الجزائري وعلى بذل الجهود في تفكيكه من خلال النفي والتهجير والتجهيل وتشجيع استهلاك الخمور وإثارة النعرات للتفرقة بين أفراده[2]. كما تعرض الأفراد للتعذيب والتنكيل، وأبيدت قرى عن بكرة أبيها باستخدام أشنع وأبشع الأساليب والوسائل كما شهد على ذلك بعض الجنود الفرنسيين أنفسهم فعبر أحدهم

[1] محمد الهادي لعروق:أطلس الجزائر،دار الهدى ،الجزائر،د.ط ،دت،ص17.

[2] -بشير بلاح:تاريخ الجزائر المعاصر،دار المعرفة ،الجزائر،ط1 ،2006م،ج1،ص156.

قائلا: "وقد تتخذ اجراءات ردعية لتدمير قرى باستخدام قوات كبيرة ويكون الهروب أثنائها مستحيلا لتحديث المفاجأة عن قصص الهنود الحمر[1]".

ويتم قطع الرؤوس والتمثيل بالجثث وإرسال الجماجم إلى المتاحف في فرنسا كما حصل مع الكثير من الشخصيات الجزائرية البارزة والشريفة مثل: الشريف بوبغلة وغيره. الذين لم يتم استرجاع جماجمهم إلا في سنة 2020 م أي بعد قرابة ستين سنة منذ الاستقلال "ولم ينج من التعذيب والقتل حتى النساء والأطفال بل هناك من يذكر أنه تم تقطيع بعض الرضع على صدور أمهاتهم[2]".

وتجاوزت الاعتداءات مستوى الأفراد لتمس الأراضي والأملاك فقامت السلطات الفرنسية بانتزاع الكثير من العقارات والأراضي الخصبة من الملاك الجزائريين والتي كانت مصدر رزق لهم، ثم منحتها للمستوطنين وعملت على زيادة عددهم في الجزائر بما يسمى سياسة الاستيطان.

فخططت لجعل الجزائر مأوى للعاطلين عن العمل الفرنسيين والأوروبيين كالأيرلنديين والإيطاليين والإسبانيين. وحاولت تجنيسهم مع اعطاهم الامتيازات على حساب الشعب والدولة الجزائرية ،وأرادت أن تتشبه في ذلك بالحركة الاستعمارية التي قامت في أمريكا الشمالية والتي تم فيها الاستيلاء على أراضي الهنود الحمر، فبدأت السلطات الفرنسية بعملية حصر لمساحة تبلغ 343 ألف هكتار-وذلك بموجب قانون1851م-، احتفظت منها الدولة بما يزيد عن 60 ألفا، وأخذت ببيع هذه الأراضي وتوزيعها مع إعطاء صكوك الملكية التامة لها دون اشتراط زراعتها، وحصلت شركة جينيفوار من فرنسا سنة 1853 على 20 ألف هكتار. ووزعت الحكومة الفرنسية في فترة 1860 – 250 ألف هكتار على ما يقارب 51 ألف مستوطن[3].

وكل هذه الأراضي كانت تعتبر ملكا للشعب الجزائري أو للدولة الجزائرية وتمثل في أغلبها أملاكا للأوقاف تم غصبها دون أي حق.

---

[1]-الكولونيل أسكوت:من مذكرات العقيد اسكوت من إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م،ترجمة إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والإشهار،الجزائر،1981م،ص9.

[2]-حمدان بن عثمان خوجة،المرآة،تحقيق:محمد العربي الزبيري،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،دط ،2006م،ص248.

[3]-جلال يحي:السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830إلى 1960،مطبعة المعرفة ،القاهرة،د.ط ، د.ت،ص58.

وقد بدأت عملية غصب الأراضي بالاستيلاء على أملاك البايلك الواسعة (أملاك الدولة العثمانية) وأراضي العرش. وأممت بقرار 08 سبتمبر 1830، وضمت إلى أملاك الدولة الفرنسية، كما أممت أوقاف مكة والمدينة والتي كانت تقدم خدمات اجتماعية جمة لتصبح من مداخيل ميزانية الدولة الفرنسية[1]؛ وكانت الأملاك المغتصبة على النحو التالي:

1- أملاك البايلك- الدولة -:وعددها خمسة آلاف ملكية، قيمتها تقدر بأربعين الف فرنك عندئذ

2- أملاك بيت المال: كانت تشمل كل الإيرادات التي تؤول إلى بيت المال. و الأملاك المحتجزة والأملاك التي لا يعرف أصحابها كانعدام تواجد الورثة،و لم تذكر المصادر قيمتها.

3- الأملاك الخاصة: التي يملكها الأفراد وتشمل العقارات

4- أملاك الأوقاف[2].

ولتصل مساحة الأراضي المغتصبة التي تم منحها للمستوطنين إلى ثلاثة ملايين هكتار موزعة على حوالي خمسة وعشرون ألف مستعمر [3] وبالطبع فإن باقي المستوطنين لم يكن لهم ميول نحو الزراعة واغتصاب الأراضي بقدر مالهم توجه تجاري ، أو لهم أطماع في تقلد مناصب إدارية مرموقة في الجزائر على حساب الشعب الجزائريين.

وبسبب عمليات الاغتصاب تلك تحول الفلاحون الجزائريون الذين كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان إلى مجرد خماسين أو أجراء موسمين أو أناس عاطلين عن العمل يعيشون من التسول أو الاقتيات من الأعشاب والنباتات التي تجود بها الطبيعة[4].

وأما بالنسبة للمنتجات الرئيسة التي كانت تمثل الغذاء الأساسي للمجتمع الجزائري كزراعة القمح والحبوب. فقد تم تحويل أغلب تلك الأراضي الزراعية إلى منتجات أقل أهمية من الحبوب

---

[1]-مقلاتي عبد الله:المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،دط ،2013م،ص107.

[2]- أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1 ،1992م،ج1،ص174.

[3]- محمد العربي الزبيري :تاريخ الجزائر المعاصر،منشورات ألفا للكتاب العربي،الجزائر،ج1 ،1999م،ص19.

[4]- المصدر نفسه،ص19.

كزراعة الحوامض والكروم. وتم استغلال مساحات شاسعة على مستوى السهول والهضاب وحتى الجبال لإنتاج الخمور انطلاقا من زراعة الكروم نظرا لما تدر عليه هذه المنتجات غير الجائزة في الدين الإسلامي من أرباح في الأسواق العالمية ليضرب المستعمر الفرنسي عرض الحائط كل القيم والأعراف والمعتقدات التي كان يتبجح بادئ الأمر بها وذلك قبل دخوله الجزائر بل إنه" تم إحصاء قرابة 400.000 عامل جزائري في محاصيل الكروم موزعون بين عمالات الجزائر وهران قسنطينة، مابين العمال الرسميين الدائمين والعمال غير الرسميين والمؤقتين سنة 1931م[1]" وهذا بعد أن تم الاعتداء على أملاكهم وأراضيهم، وتركهم عرضة للمجاعات والأوبئة. فلم يجد الكثير من الفلاحين والعمال الجزائريين من بد إلا التوجه إلى الضيع والمزارع والعمل ولو بأجر زهيد لتوفير ضروريات الحياة لأسرهم.

لم يعدم الاستعمار الفرنسي وسيلة من الوسائل إلا واستخدمها في حق الشعب الجزائري. ونهب أموالهم دون مراعاة لأحوال الشعب الذي أنهكه الفقر والمجاعة وكان أن تبيده الأمراض والأوبئة والقتل.

وتم إنهاك كاهل الشعب الجزائري بالضرائب والتي كانت في تزايد مستمر دون مراعاة للأزمات التي كانت يمر بها الشعب الجزائري كالأزمات الاقتصادية أو الصحية.من المجاعات، الأوبئة، وشملت الضرائب في العادة: الأراضي، والمواشي والمنازل، وقد بلغ متوسط الضريبة التي يدفعها الفرد الجزائري 12 فرنك سنويا سنة 1960 م ويضطر الكثير من الفلاحين الجزائريين إلى اقتراض الأموال والتعامل بالربا لدفع الضرائب ويصل الحد بكثير منهم إلى بيع اراضيه للمعمرين ولليهود خاصة[2].

وأدت كل هذه الضرائب إلى افقار الشعب الجزائري من جهة وملء الخزينة الفرنسية من جهة ثانية فبلغت مداخيلها من الضرائب 22 مليون فرنك فرنسي عام 1870، وما بين

[1]-عبد الرحمان العقون:الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر-الفترة الأولى من 1920إلى1936،المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط،الجزائر،1984،،ج1 ،ص360.

[2]- مقلاتي عبد الله:مرجع سابق،ص110.

1885_1890 تضاعفت قيمة الضرائب لتصل إلى 40.800.000 وتبلغ 45 مليون فرنك عام 1912 رغم ازدياد نسبة البطالة والفقر في المجتمع الجزائري[1].

وقد كانت الضرائب المفروضة على الشعب الجزائري مقسمة إلى الضرائب العربية مثل الزكاة أو(العشور) ضريبة المساكن- ضريبة اللزمة.والضرائب الفرنسية، مثل ضريبة الاحتلال.

وتبع كل هذا سنوات عجاف مرت على الجزائر بين فترات 1841_1851 اتسمت خلالها بانتشار الأوبئة الخطيرة، ومرور أسراب من الجراد والجفاف، ووباء الكوليرا سنة 1849 إلى 1851"[2]، كل هذه كانت من الابتلاءات والرزايا التي مرت بها الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وتمثل في الشعب الجزائري آنذاك قوله تعالى:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ البقرة: 155

ثانيا:الأوضاع الدينية والثقافية في الجزائر:

بعد أن عرض الفرنسيون المجتمع الجزائري لكل أصناف الاضطهاد الذي يتنافى والأخلاق ،و بعد أن تبين لهم هيمنتهم ، و تسلطهم على رقاب الجزائريين الذين انفلتت خيوط الحضارة من أيديهم، "اعتمد منظرو الاستعمار خططا كثيرة، واستراتيجيات عديدة تظهر نتائجها على مدى الزمن البعيد، وتساعد بشكل أكبر في تأكيد وجودهم بالجزائر، وفي تثبيت ركائز الاستعمار بها ،و كل تلك المخططات في جوهرها تهدف بالدرجة الأولى إلى تغيير معالم الثقافة العربية الإسلامية ،و المساس بمقومات و معالم الشخصية الوطنية الجزائرية ، فهؤلاء المنظرون الاستعماريون كانوا يعوون تمام الوعي أن فرض السيطرة العسكرية لا تفي بالغرض لوحدها من أجل جعل الجزائر قطاعا تابعا لفرنسا ،إذ مهما طال الزمن أو قصر فلابد أن ينتهي ذلك الاستعباد ما لم يتم الاستثمار في الإنسان الجزائري بهزمه فكريا كما تمت هزيمته عسكريا من قبل ، و قد استوعب الفرنسيون الدرس و حاولوا تجنب أخطاء أسلافهم الرومان الذين حكموا البلاد و استعبدوا أفراد مجتمعها لما يزيد عن ثلاثة

[1]- شارل روبير روجير: تاريخ الجزائر المعاصر،ترجمة عيسى عصفور،منشورات عويدات ،بيروت،ط1 ،1982م،ص111.

[2]-محمد العربي زبيري:مرجع سابق،ص51.

قرون، لكن بعد هذا الردح الطويل من الزمن جاء الوقت الذي انتهت فيه صلاحية هذا الحكم ، لأن أصحابه كانوا ينظرون له نظرة سطحية ، قائمة على الجانب العسكري و المادي دون الفكري، والديني[1].

فألجأ المكر والخداع الديني الفرنسي إلى إتباع الاستغلال الديني، والثقافي بالاستغلال الاجتماعي و العسكري .وبذلت فرنسا كل ما بوسعها لمحو شخصية المجتمع الجزائري وتفكيك بنيته عن طريق محاولات تصفية اللغة العربية وآدابها والدين الإسلامي بمؤسساته وعقيدته وشريعته وأخلاقه وثقافته[2].

وظهر جليا أن الحرب الفرنسية ضد الجزائر ما هي إلا امتداد للحروب الصليبية التي كانت تكن العداء وترجو الخراب للدين الإسلامي، وتعتبره العدو الأول الذي وجب تصفيته ومنع انتشاره وامتداده، مخافة اندثار المسيحية وشيوع الإسلام، كونه يحمل رسالة الحق الواضح الذي لا لبس فيه ،بخلاف الدين المسيحي الذي يحمل في طياته الكثير من الأباطيل والخرافات التي لا يمكن لعاقل أن يتقبلها وهذا بعد أن أصبحت تلك الأباطيل الدخيلة على كتب الإنجيل تطغى على بعض التعاليم السمحة التي جاء بها النبي عيسى عليه السلام.

لقد عمدت فرنسا إلى محاربة الدين الإسلامي في الجزائر من خلال هدم المساجد وتدشين الكنائس بدلا منها " فقد بلغ عدد الكنائس 327 كنيسة ،مقابل 166 مسجدا فقط لحوالي ستة ملايين نسمة"[3]، فكما أنّهم حولوا الكثير من المساجد إلى كنائس فإنهم قد عملوا أيضا إلى تحويل بعضها إلى مكاتب وإدارات وثكنات عسكرية ولم يفتهم أن يحولوا البعض الآخر إلى اسطبلات يدوس حرمتها الخيل والبغال والحمير[4].

---

[1]- عبد الملك مرباض:الصراع بين العربية والفرنسية في نهضة الأدب العربي المعاصر، الجزائر ش ، و ، ن ،ط 1،1981 ،ص.21

[2]- بشير بلاح:مرجع سابق،ص269.

[3]-رابح تركي:الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر،دط ،1974م،ص47.

[4]- الفضيل الورثيلاني:الجزائر الثائرة،دار الهدى،قسنطينة ،الجزائر،دط،2009م،ص100.

وعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ فقد تم تحويل مسجد كتشاوة إلى كتدرائية تحمل اسم "سان فليب"، بعد أن تم ارتكاب أبشع مجزرة في تاريخ المراكز الدينية الجزائرية وتم قتل آلاف المصليين في ذلك المسجد وكذلك الحال بالنسبة لمسجد "علي بتشيني" الذي حول إلي كنيسة " سيدة الانتصار"، وبهذا أكد الاستعمار الفرنسي للعالم وحشيته وعدم احترامه للحريات بالاعتداء على المراكز والمؤسسات الإسلامية، وأن هدفه في احتلال الجزائر لم يقتصر على الاعتداءات المادية والنهب والسطو على ممتلكات الشعب الجزائري بل تعدى إلى أن داس على حرمة الدين ،ومحاولة فرض عقيدته ومذهبه على الشعب الجزائري بالقوة، لكنه في مقابل ذلك لقي استماتة قوية من طرف الشعب الذي أبان عن تمسكه بدينه الإسلامي الحنيف[1].

ولم تقتصر محاربة فرنسا للدين الإسلامي في الجزائر على طريق الاعتداء على حرمة المساجد ومراكز التعليم الإسلامي، بل أنها جندت القساوسة لنشر الدين المسيحي وبث الحركات التنصيرية وسط المجتمع الجزائري.

و أسست فرنسا "سنة 1883 أسقفية الجزائر التي باركها الفاتيكان، كما استغلت هذه الأسقفية الأطفال اليتامى لتلقينهم أسس المسيحية وغرس الأفكار التبشيرية في أذهانهم [2]"، وكذلك القصة الشهيرة المعروفة بقصة تنصير عائشة بنت محمد والتي أثارت زوبعة المجتمع الجزائري المتمسك بقيمه وتعاليم دينه، وما تحمله هذه القصة من مضامين تقوم على الشرف والدين والعرف، أين ضربت بهم عائشة عرض الحائط وتجردت منهم، فبعد أن طلقت زوجها وما فتئت تتم عدتها، حتى لاذت بالفرار إلى صديقها اليهودي، وبإيعاز من المحاكم الفرنسية التي أرادت حذف الأحكام الإسلامية من قوانين المحكمة الجزائرية واستبدالها بالأحكام الفرنسية بدعوة حرية الرأي والمعتقد [3]، فقد تم حماية عائشة مع صديقها اليهودي، وتم ترحيله إلى فرنسا وكأن شيئا لم يحدث، بل إنها رسالة واضحة إلى مرضى القلوب والعقول أن فرنسا ستحمي كل من يريد الانسلاخ عن دينه ووطنه ،ويريد

[1] أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية ،مصدر سابق،ج1،ص82.

[2] مقلاتي عبد الله: مرجع سابق،ص112.

[3] – أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،المصدر السابق،ج1،ص85.

الارتماء في حضن فرنسا والدين النصراني، وهي رسالة أخرى تعبر عن محاولة فرض التشريع الفرنسي النصراني على المجتمع الجزائري المسلم.

وبما أن أغلب المدارس التعليمية كان مرتبطا بالمساجد والعلوم الشرعية ،بل أنّ الكثير من الكتاتيب والمدارس كان جزءً من تلك المساجد، لذلك فقد لحق هذه المدارس ما لحق بالمساجد من هدم ومحاربة ومضايقة ومن بينها مدرسة"الجامع الكبير الذي حولها الفرنسيون إلى حمام فرنسي، وهدموا مدرسة الأندلس، ومدرسة جامع السيدة مريم، ومدرسة جامع السلطان، وتعرض العديد من المشايخ والعلماء الذين اشتغلوا بتدريس أبناء الجزائر العلوم الشرعية والفقهية واللّغويّة إلى العديد من المضايقات والمراقبة المستمرة لبرامج تدريسهم، وتم فصل الكثير منهم، وتم منعه من التعليم الشّرعي واللّغوي خوفا من انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي بين أبناء المجتمع الجزائري[1]".

وقد تم وضع مخططات فرنسة المجتمع الجزائري لغويا قيد التنفيذ في فترة ليست بطويلة من بعد الاحتلال، وجهزت الإدارة الاستعمارية كل ما أمكن لها من وسائل، و ما تتوفر عليه من طاقات حتى تنجح في تغييب اللغة العربية من المنهج الثقافي بالجزائر خاصة بعد أن تعالت الأصوات و كثرت تصاريح و تقارير القائمين على الحملة الفرنسية، و التي كانوا يلمحون و يقرون فيها بضرورة محاصرتها إلى أن تتثبت ركائز الاستعمار، ويتم إلحاق الجزائر بفرنسا ،وقد ذكر على سبيل المثال لا الحصر الكاتب الفرنسي **أوغست برناند** معبرا عن إحدى أهم الأهداف الحقيقية التي كانت وراء الحملة العسكرية الفرنسية[2] بما حملتها معها من آفات ما يلي : "إننا لم نحضر إلى الجزائر لإقرار الأمن ،بل لنشر الحضارة و اللغة و الأفكار، وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية ، و لكنها جزء من فرنسا

[1]- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية،مصدر سابق، ج1،ص84.

[1]- إبراهيم معيوش:التأثير الثقافي للنخبة الدينية في الجزائر بين الكفالة و الفاعلية ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذج (1941 -1956)،رسالة دكتوراه علوم غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة الجزائر ، 2017م،ص 260 .

كما كانت أيام روما إننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة و العادات وسيتم هذا بعد الانتهاء من نشر لغة فيكتور هوغو" [1] .

وتماشيا مع ما تم ذكره ،فإن الاستعمار الفرنسي ، قد رسم أمامه خارطة القضاء على الشخصية الجزائرية العربية من خلال التسويق لأفكار، ومبادئ الثقافة و اللغة الفرنسية ، و إعطائها هالة ضخمة، في مقابل تقزيم وتشويه اللغة و الثقافة العربية، "واللغة تسقط أكثرها و تبطل بسقوط دولة أهلها ودخول لسان غيرها عليها" [2] ، فتعمد الدول الغازية إلى الانتقام من الدول المستعمرة ، و تحاول أن تجعل منها تابعة لها ، و خاضعة إليها في كل أحوالها و أوضاعها في ما لها ثقافتها ،شعبها ، حكمها ،وسياستها ،فلا ترى الدول المستعمرة نفسها إلا مرتبطة بالدول التي استعمرتها، وفي أثناء ذلك تذوب كل مقومات شخصيتها، وهويتها في اسم و شخصية الدول المستعمرة لها ، و قد كان أول الأمر، وبادئه في سياسة المستعمر الفرنسي اللغوية التي أراد من خلالها استباحة لغة الجزائريين الأصلية ،هدم كل مراكز الإشعاع العلمية بمختلف أنواعها من كتاتيب، ومساجد ومدارس ومعاهد و غيرها ، وفي أقل الظروف تم تحويلها عن وجهتها التي أسست لها إلى الوجهة التي تتنافى مع مقصدها الشرعي والعلمي ،و تركت المدارس تسقط ،وتم إهمال وإطفاء الأنوار من حول تلك المؤسسات التعليمية ،وحول المجتمع المسلم إلى مجتمع أكثر جهلا و بربرية ،و تم إحراق الكتب و المدونات باللغة العربية، وكلفت كل المؤسسات الثقافية، و المكتبات ،و نهب كبار الضباط المتعلمين نفائس المخطوطات و الكتب و جمع هواة الوثائق التاريخية الكثير منها ليعاودوا بيعها في المتاحف الأوروبية بأموال باهضة"[3]، وذلك لكي يحصل لهم النفع مرتين، نفع مالي من عوائد بيع تلك النفائس العلمية، ونفع حربي من خلال الإبقاء على أبناء المجتمع الجزائري في حالة من التخلف الفكري و الضياع الحضاري، ويصبح بذلك فريسة سهلة أمام المد الفرنسي الغربي الذي يسعى إلى إقناع الشعب

[1] –طيب بن براهيم ، الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامها خاصة بالجزائر، دار المنابع للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004 ،ص47 .

[2] – نفس المرجع و الصفحة .

[3] – رابح تركي،التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، ط2 ، 1976 ، ص 94 .

الجزائري بتفوق الحضارة الفرنسية و قوتها و أن الخير كل الخير في إتباع تلك الحضارة ، و البقاء في ظل صانعها و هو المستعمر الفرنسي ، وشجعت السلطات الفرنسية في الجزائر الشعب الجزائري على تعلم اللغة الفرنسية، وشددت الخناق على المدارس العربية ، و منعت تدريس اللغة العربية في كثير من المدارس .

وذهبت الإدارة الاستعمارية الفرنسية أبعد من ذلك حين تسللت في قضية إنكار عروبة الجزائر عبر مسألة الهوية و الانتماء، و توجهت بشكل مركز إلى الأعراش، والقبائل الأمازيغية بعد أن درج أكثر من ثلاثين خيالا من أجدادهم على الاستعراب، و أصبحوا لا يتكلمون إلا بالعربية و يتأدبون بأدبها، فأثارت النعرات و شحذت الحمية في غير موضعها لا لشيء إلا لوئد اللغة العربية[1].

وقد تم وصف هذا الوضع المتردي و الذي يظهر بشكل واضح و فاضح الأضرار التي مست اللغة العربية في بلدها و بين أهلها ،على أنه: "ضرب من العبث و مضيعة للوقت بحكم أنه من المشهور أنه ما حل الاستعمار بقوم إلا علا صياحهم ، و علا نواحهم ،واستباح حرماتهم،وأخنى على مقوماتهم الحسية و المعنوية [2]"، ومع كل ما خطط له الفرنسيون ،ووضعوه من إستراتيجيات قيد التنفيذ و التطبيق لمحو اللغة العربية من عقول الجزائريين و لإيقاف جريانها على ألسنتهم ،و ذلك منذ أن وطئت أقدامهم أرض الجزائر إلى غاية مغادرتهم لها ، إلا أنه قد عمد علماء الجزائر المتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية على إرساء الوعي بين أفراد المجتمع ،و تنبيههم إلى خطورة الوضع الذي يعيشونه تحت تسلط المستعمرين قبل فوات الأوان و قبل أن تصير الجزائر تترآى ضمن ذاكرة مغتالة و تاريخ لا يذكر إلا في الوثائق و الكتب و المجلات يطويه النسيان [3]، فتحرك هؤلاء النخب و جمعوا شتات الأمة ووحدوا صفوف التيارات الفكرية الجزائرية المتناثرة شرق البلاد و غربها شمالها

[1]-أحمد ابن النعمان ،فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف،الوسائل والبدائل،دار الأئمة،الجزائر،ط 1 ،1998م،ص37 .

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم:أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1،1997م ج5 ،ص267 .

[3] - إبراهيم معيوش :مرجع سابق، ص 302 .

وجنوبها ،و كونوا جمعية واحدة من العلماء و الأدباء و سموا أنفسهم باسم واحد "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " و ناصروا الثقافة العربية و الدين الإسلامي و الوطن الجزائري، وكثفوا من جهودهم ووحدوا مراميهم فحاربوا الجهل و الأمية ،و اللغة الفرنسية ،وأسسوا اللبنات الأولى للشخصية الجزائرية المسلمة .

ولم تقتصر الجهود و المساعي لإنقاذ اللغة العربية و الدين الإسلامي على العمل الجماعي بل تخلل ذلك جهود فردية، مثلت لوحدها مدارس في الدعوة و الإصلاح و في تقويم ما أفسده الاستعمار الفرنسي، وتجديد ما تم إماتته ، لبعثه في عقول و أفئدة الشعب الجزائري .

وكان من بين تلك الشخصيات عبد الحميد بن باديس ، البشير الإبراهيمي و غيرهما ، أولئك الأفذاذ الذين وهبوا للأمة نفسا جديدا و أحيوا فيهم تاريخهم و دينهم و لغتهم .

وأما من جانب حرية الممارسة الدينية ،فقد عبث الاستدمار الفرنسي في الكثير من الأحكام الشرعية وحال بين تطبيقها في وسط الشعب الجزائري،فراح يفرض القوانين الفرنسية الوضعية في المحاكم الجزائرية،وسارع إلى محو نصوص الأحكام الإسلامية من مراكز القضاء والمحاكم في الجزائر ،فكان الأميرال "قويدون" gueydon يصرح قائلا: يجب أن يُمحى القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي، فنحن الفاتحون فلنعرف كيف نفرض إرادتنا، وعمد بعد ذلك إلى خفض عدد محاكم القضاء الشرعي من مئة وأربعة وثمانون إلى مئة وواحد وستون سنة 1890م، وانتزع من القضاء الشرعي صلاحية النظر في جميع القضايا العقارية وأصبح القضاء الفرنسي المؤسسة الوحيدة المخولة لها بالفصل في هذا النوع من القضايا بعد صدور مرسوم 10 أيلول 1886م[1].

ورغم كل هذه الحملات الشرسة ضد الإسلام والهوية الجزائرية العربية والمحاولات الخبيثة لطمس آثارهما في المجتمع الجزائري، إلاّ أنّ ذلك كله لم يزد الشعب الجزائري إلا تمسكا بالدين الإسلامي وبهويته الجزائرية العربية، وحتى مع بساطة إمكاناته وقلتها، فإنه راح يتشبث بأصول دينه ومعالم هويته،

[1]- شارل روبير:مرجع سابق ،ص108.

مجتهدا في تثبيتها بين أبنائه من خلال إرسالهم إلى الكتاتيب والمدارس العربية الإسلامية، وحثهم على ارتياد المساجد وغرس حب الدين الإسلامي في قلوب الأطفال قبل الشباب والشيوخ، وبغض المستدمر الفرنسي وثقافته ومعتقده الخاطئ، انطلاقا من أن الدين الصحيح هو دين الإسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يوسف: ١٠٨، وهكذا استطاع الجزائريون أن ينقذوا أنفسهم من أشراك الجهالة التي نصبها لهم الفرنسيون وأن يحافظوا على لغتهم ودينهم ،رغم أنّ هذه المدارس العربية والإسلامية لم تكن لتفي بالغرض؛ لأن تعليمها كان مقتصرا على تعليم اللغة والدين فقط دون العلوم الدنيوية الأخرى ولم يكن أيضا من السهل أن يحصل عربي على رخصة بفتح مدرسة، بل إنّ مجرد المطالبة بذلك كان يعدُّ ثورة [1]، ومع ذلك فاجتهاد مشايخ الكتاتيب والمساجد وتواضع علماء الجزائر فكانوا يشرفون على تدريس وتعليم الأطفال بعض المتون، وتحفيظهم بعض السور القرآنية خلال الحقبة الاستعمارية ، ما حفظ للجزائر تواجد دينها ولغتها في ظل المكر الفرنسي المسيحي الذي عمل على استئصال الدين الإسلامي وانقراض اللغة العربية في الجزائر وهيهات له ذلك.

ثالثا:الأوضاع السياسية في الجزائر قبل وأثناء حياة عبد الحميد بن باديس:

جعل الاستعمار الفرنسي من بلد الجزائر بعد احتلالها مباشرة حقلا لتجريب سياسته، فراح يفرض قوانينه على ذلك البلد الواحد تلو الآخر، وكان من بين هذه القرارات السياسية التي طبقها في الجزائر أثناء تواجده بها:

1-تقسيم البلاد إلى ثلاث عملات في الشمال، ومنطقة عسكرية في الجنوب تمثلت هذه العملات في عمالة الجزائر : - عاصمة البلاد- ويوجد بها مقر الحاكم العام ومساحتها 54087 كم،و عمالة قسنطينة التي تعد من أكبر العملات من حيث المساحة حيث تبلغ مساحتها87548كم، والعمالة الثالثة هي عمالة وهران وتتربع على مساحة 55675 كم[2].

[1]-محمد بهي الدين سالم:ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير،دار الشروق ،القاهرة،ط1،1999م،ص24.

[2]أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،ط 1 ،1984م،ص249.

وقد قسمت كل عمالة إلى دوائر وكل دائرة إلى بلديات، والبلديات ثلاثة أنواع: بلديات ذات صلاحيات كاملة حيث يتواجد بها نسبة أكبر من الأوروبيين، تنظم على مستواها كامل الخدمات ، بلديات مختلطة ويتواجد بها نسبة أقل من الأوروبيين تحصل على خدمات ذات مستوى أدنى، وتتمتع بصلاحيات أدنى من الصلاحيات التي يحصل عليها النوع الأول من البلديات، وبلديات أهلية وهي بلديات محدودة الصلاحيات وتفتقر للكثير من الخدمات، أمّا الأرياف فكانت تخضع للمكاتب العربية منذ 1848[1].

2-تأسيس المكاتب العربية عام 1844، وكانت تمثل الإدارة المحلية التي تحكم بواسطتها النواحي العسكرية، وتعمل على جمع الضرائب ومراقبة الأسواق ومحاربة العصاة والمتمردين ويترأس المكتب فرنسي برتبة عقيد، ويساعده حارس ومترجم وكاتب وقاضي وجابي الفرائض [2]. "وتعتبر المكاتب العربية إدارات محلية تتحكم في السكان الجزائريين، وبلغ عدد المكاتب العربية سنة 1865م في عمالة قسنطينة 15 مكتب، وفي عمالة الجزائر 14 مكتب، و 12 مكتب في عمالة وهران[3]"،وهذا التقسيم الإداري لم تعهده الجزائر أيام كانت ولاية في الحكم العثماني، بل إن ذلك كان من السياسة التي ساهمت في التأثير على المجتمع الجزائري بشكل أو بآخر.

و في سنة 1871 فرض المستوطنون على الجمهورية الثالثة نظام الارتباط المدني بفرنسا، و بذلك خرج مصير الجزائريين من العسكريين، وحقق المستوطنون انتصارا آخر أدى بهم إلى زيادة إقصاء الجزائريين من المسؤوليات و الحرمان من الحقوق ،"وأصبح وجه المعارضة متمثلا في عدم كفاية الممثلين الوطنيين في المجالس و عجزهم من ناحية أخرى بسبب طردهم من المجالس البلدية ، فقد كان النظام الانتخابي تحت السيطرة الكاملة للإدارة الفرنسية " [4] ، و الحقيقة أن المستوطنين هم

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف:الفكر العربي الحديث والمعاصر-محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا،دار مداد نيوفرسيتي، الجزائر ، ط1 ،2009م،ص68.

[2] أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية،مصدر سابق،ج1،ص15.

[3] المصدر نفسه ،ص17.

[4] - André Julien , wistose d'Algérie, Contemporaine , Conquete et les Debuts de la Colonisation (1827-1871)Edition , Alger , 2005 , p 456 .

أشد الناس عداوة للجزائريين و أكثرهم حقدا عليهم ، حتى من الفرنسيين العسكريين أنفسهم ، و بعد إجراء هذه المراسيم ، ووضع هذه القوانين فإن حرية الشعب الجزائري أصبحت أكثر تقييدا ، و أصبحت ممارسة الحرية و شكل المشاركة السياسية معدوما، وصار مصير الجزائريين بين يدي المستوطنين هذا المغتصب للأرض و الوطن جعل من صاحب الديار و البلد يبدو غريبا بين أهله ووطنه، ولم يكتف المستوطن باستباحة الأرض و المال بل إنه أصبح يقرر مصائر الشعب و يتصرف في شؤونهم كيفما يشاء .

فالاستعمار الاستيطاني الذي قررته فرنسا إذن لم يكن مجرد سلب سيادة شعب أو إسقاط نظام حكم، ولكنه كان نظام طرد و إحلال عناصر أجنبية على الأرض محل السكان الأصليين، وبذلك تم تطبيق مفهوم الدولة المتغلبة بالقوة و القهر .[1]

أدى رجال الإصلاح وعلماء الأمة الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية للجزائر دورا بالغ الأهمية في حفظ الثقافة، والدين، واللغة ،ورغم المآسي، والفتن التي أحاطت بالشعب من قبل المستعمر الفرنسي الذي لم يرقب في الجزائريين عهدا، ولا ذمة و عاث في أرضهم فسادا و طغيانا، وعاشت الجزائر في تلك الأثناء أعسر أيامها، وأمرها، وعانت الويلات قبل أن تعلن، وبعد مخاض عسير عن ميلاد اسم بارز من بين أسماء أبنائها ،إنه عبد الحميد بن باديس، هذه الشخصية التي ساهمت بالكثير في بناء الفرد الجزائري.

3-وضع نظام خاص يقال له نظام إدارة المستعمرات أومايعرف بقانون الأهالي سنة 1881م، ويضم سلسلة من العقوبات غير المألوفة في القانون العام تضم 41 مخالفة، غرضها الاحتفاظ بالصلاحيات الزاجرة لفائدة الحكام الإداريين لكي يفرضوا أنفسهم على القبائل "[2]، والمتطلع على بنود هذه المخالفات يدرك مدى استخفاف السلطات الفرنسية بالشعب الجزائري

[1]- قاسي فريدة ، الصحافة الجزائرية وقضايا الوطن العربي 1939 - 1947 م ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب و الحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر ،2018-2019، ص 26 .

[2]عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1997،1م ص130.

ومحاولة إذلاله من خلال فرض عقوبات تأديبية أقل ما يقال عنها أنها مثل العقوبات التي تفرض على صبيان المدارس مثل :"النسيان أو التأخر لأكثر من ثمانية أيام في التصريح كالولادات أو الوفيات والتهاون في الحضور والمثول أمام القاضي بعد الاستدعاء ولو بشكل شفوي .[1]"وهي صورة من صور تكريس الطغيان والديكتاتورية السياسية في حق الشعوب المستعمرة.

4-المشاركة السياسية: رغم إلحاح الكثير من المثقفين والنخب الجزائريين على الإدارة الفرنسية بحق الشعب الجزائري في المشاركة السياسية داخل الجزائر، وفي محاولة من السياسة الفرنسية في احتواء بعض من النخب الجزائرية . فقد جاء كيلمانصو [*] بقانون سياسي في ظاهره منح الامتيازات للشعب الجزائري، وإعطائهم حقوقهم في اختيار من يمثلهم في المجالس المحلية، وباطنه يعمل على إقصاء السواد الأعظم من الشعب الجزائري في التصويت، فهذا القانون يمنح هذا الحق لمن يثبت ولائه للسلطات الفرنسية، فمن بين الشروط التي وضعها الاستعمار الفرنسي للجزائري من أجل السماح له بالتصويت مايلي:

" أنه لا يقل أي مصوت على 25 سنة.

أ- أن لا يكون قد ارتكب مخالفة أو قام بعمل معادي لفرنسا.

ب- أن يكون قد عمل في الجيش الفرنسي

ج- أن يعرف القراءة والكتابة باللغة الفرنسية[2]"

5- توقيع مرسوم التجنيد العسكري للأهالي يوم 3 فيفري 1912 الذي يقضي بتجنيد كل شاب يبلغ العمر ثمانية عشر سنة مقابل منحه بعض الحقوق السياسية[3].

---

[1] أنظر تفاصيل ذلك في بوعلام نجادي:الجلادون من 1830إلى1962م،ترجمة محمد العراجي،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار،الجزائر،2007م،ص ص69،إلى217.

[*] هو:جورج كيلمانصو رئيس الحكومة الفرنسية سنة1919م.

[2] -عمار بوحوش:مرجع سابق،ص218.

[3] - محفوظ قداش،جيلالي صاري،الجزائر صمود ومقاومات –من 1830م إلى1962م-،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ط، 2012م،ص24.

وفي عام 1914 كان إخلاص الأهالي مفاجأة سارة للمسؤولين الفرنسيين في الجزائر فلم تثر ضد هذا القانون تقريبا سوى منطقة الأوراس المغلقة ،ولكن الاضطرابات بقيت محدودة في باقي المناطق،وقدم التجنيد الأهلي 173000 عسكري منهم 87.500 متطوع ،و سقط في ساحات القتال 25000 جندي مسلم و 22 ألف فرنسي جزائري ، وفي عام 1918 كان أكثر من ثلث سكان الجزائر الذكور يستخدمون في فرنسا[1].

وبهذه الإحصائيات تكون السلطات الفرنسية قد حققت مكاسبها من هذه المراسيم واستطاعت فرض التجنيد على الشباب الجزائري، ودفعت به وسط المعارك ضد أعدائها فاستطاعت بذلك الحفاظ على أرواح الجنود الفرنسيين والتضحية بشباب المستعمرة التي كانت تود التخلص من الكثير من أبنائها سلفا.

6- محاولة إدماج الجزائر في فرنسا، وإغراء بعض ضعاف القلوب بمنحهم الجنسية الفرنسية وكان كل هذا يتطلب إجراءات إدارية طويلة جدا تنتهي بإصدار مرسوم إمبراطوري – أي في عهد الإمبراطورية النابوليونية –نابليون الثالث–تم الحصول على الجنسية الفرنسية إلا بعد زمن طويل ولا تعطى إلا لخاصة الخاصة والمقربين من فرنسا "[2].

إنّ هذه المراسيم والقوانين السياسية التي انتهت تارة بالترهيب وأخرى بالترغيب ولم تثن من عزيمة بعض الشخصيات السياسية البارزة في الجزائر، ولم تجعلهم يستسلمون للسياسية الفرنسية المفروضة في حق الشعب الجزائري، بل إنهم واجهوها بأنواع من المقاومات عرفت بالمقاومة السياسية.

كما تصدى الكثير من الشخصيات الوطنية للسياسة الاستعمارية بالرفض الكلي وعملت على طرد المستعمر من خلال مواجهته عسكريا وعدم الاعتراف بوجوده في أرض الجزائر مثل الأمير عبد القار وأحمد باي.

---

[1] شارل روبير:مرجع سابق،ص116.

[2] -Paul-Emile Viard,les Droits Politique des Indigenes Dalgeier,Libraire de Recuil Sirey,Paris1937.p.16.

أما بالنسبة للنضال السياسي فقد كان من أبرز الشخصيات المعروفة في تلك الفترة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، والذي أسس " جماعة النواب" وأصدر جريدة الإقدام.

ولم يكتف الأمير خالد بالنضال السياسي داخل الجزائر بل نقله إلى منفاه في فرنسا فعقد فيها عدة مؤتمرات، وقام بالتواصل مع المهاجرين من أبناء الشمال الإفريقي والمنفيين السياسيين من المستعمرات الفرنسية،و كافح من أجل منح الجزائريين كامل حقوقهم. وعارض بشدة قانون التجنيد الإجباري، وناضل من أجل إلغائه ،وقد تم تعيينه رئيسا شرفيا لحزب نجم شمال إفريقيا [1]،وتقدم برسالة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون يطالب فيها بضرورة تمثيل الجزائر ضمن عصبة الأمم وهو ما يعني سياسيا قيام دولة الجزائر ذات شخصية مستقلة[2].

ومن الشخصيات السياسية التي كان له الأثر الكبير أحمد مصالي الحاج، فإنه مارس العمل السياسي منذ صغره، أين شارك في عدة مظاهرات شعبية ضد قانون التجنيد الإجباري ،و تم من خلال ذلك استدعاؤه بالقوة إلى الخدمة العسكرية سنة 1918، وأسس حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926م، وكان من أهم مبادئه العمل على تحرير بلدان المغرب العربي من قبضة الاستعمار الفرنسي، كما ساهم في نشر فكرة الاستقلال في صفوف الجزائريين داخل الجزائر وحتى في فرنسا، وأسس حزب الشعب الذي جاء كبديل لحزب نجم شمال إفريقيا" بعد أن تم حله من طرف السلطات الفرنسية، تعرض للسجن والمضايقات مرات عدة بسبب نضاله السياسي[3].

ولم تتوقف الجزائر عن إنجاب غير هذين المناضلين فقط بل إنها كانت ولادة للنخب التي نذرت نفسها لخدمة وطنها عن طريق النضال السياسي أو العسكري.

إن ممارسات الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري من حروب إبادة ومصادرة للأملاك والأراضي، وفرض الضرائب والأتوات كانت تمثل أعباءً إضافية وأثقالا تضاف إلى الأثقال التي ألقيت على عائق الشعب الجزائري من محاربة الدين الإسلامي ومحاولة طمس معالم لغته وهويته،

[1]- بشير بلاح: مرجع سابق،ص369.

[2]-المرجع نفسه،ص371.

[3]-المرجع نفسه،ص402.

والعمل على التفريق بين أفراد مجتمعه بما يسمى سياسة " فرق تسد" كما عملت على فرض الهوية والثقافة الفرنسية، وبذلك فقد جمع الاستعمار الفرنسي بين الاستعمارين التقليدي الحربي القائم على قتل الشعب الجزائري وتعذيبه وبين الاستعمار الحديث الفكري والثقافي القائم على استهداف الهوية والدين والثقافة.

ولولا الله ثم المقاومة الباسلة التي تحلى بها الشعب الجزائري،و بتوجيه من رجالاته وعلمائه لما بقي للجزائر المسلمة والعربية اسم ولا رسم، وإن من بين هؤلاء العلماء الذين برزت أسماؤهم في ساحات المقاومة " الشيخ عبد الحميد بن باديس".

المطلب الثاني: حياة عبد الحميد بن باديس.

مرت الجزائر خلال ظهور عبد الحميد بن باديس بمرحلة عسيرة، كانت أيامها مظلمة على الشعب الجزائري الذي عانى الويلات من الاستعمال الفرنسي ،وبالمقابل فإن حياة ابن باديس قد مثلت مشهدا هاما من مشاهد التاريخ الجزائري، كون هذه الشخصية قد ساهمت بالكثير في بناء جزائر اليوم.

-المولد والنسب:

ولد عبد الحميد بن باديس بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس يوم الحادي عشر من ربيع الثاني سنة سبع وثلاثمائة وألف للهجرة (1307 هـ) ،الموافق لـ الرابع من شهر ديسمبر سنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف بعد الميلاد (1889 م) بمدينة قسنطينة،وهو الابن البكر لوالديه الكريمين"[1].

والده هو السيد محمد المصطفى بن مكي بن باديس كان حافظا للقرآن الكريم مشتغلا بالتجارة والفلاحة، ويعد من أعيان مدينة قسنطينة ،وهو ذو مكانة سياسية، وتقلد مناصب هامة في

[1]- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان:إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس،دار الأمة،الجزائر،ط 1 ،1998م،ص26.

السلطات الفرنسية ،فكان نائبا في عدة مجالس مثل: نائب ولائي، ونائب في المجلس المالي للولاية العامة، والمجلس الجزائري[1].

وأمه:"هي السيدة الفاضلة زهيرة بنت علي بن جلول، من أسرة اشتهرت بالعلم والتدين وتنتسب لأسرة عريقة في قسنطينة هي أسرة عبد الجليل[2].

وينحدر ابن باديس من أسرة تاريخية لها مكانة مرموقة في تاريخ الجزائر والمغرب العربي، وكانت منذ القدم ذات نفوذ، ومسيرة لدواليب السياسة، والحكم في المغرب الإسلامي، ومن بين شخصيات هذه الأسرة بلكين بن زيري[3] ، الذي كان يفتخر به عبد الحميد ويعتز به، والأمير زيري بن مناد هو أمير صنهاجة التلية وابنه يوسف بن زيري الملقب ببولغين ومن بين شخصيات الأسرة العربية أيضا: المعز لدين الله بن باديس الذي قاوم البدعة، ودحرها وأزال مذهب الشيعة الباطنية، وأعلن مذهب السنة والجماعة كمذهب للدولة وانفصل عن الدولة الفاطمية في حدود سنة 404 هـ"وأبو العباس حميدة وهو قاضي قسنطينة المشهور وعرف عنه غزارة العلم وحسن الفقه والدين[4].

- **البناء والتكوين:** [شيوخه وتلامذته]:

كانت بداية التعليم عند عبد الحميد بن باديس قائمة على التعليم التقليدي الموروث عن الآباء والمرتكز أساسا على التعليم المسجدي.

حفظ ابن باديس القرآن على الشيخ محمد المداسي، وأتم حفظه في السنة الثالثة عشر من عمره. ومن شدة إعجاب المؤدب بذكائه وسيرته الطيبة قدمه ليصلي بالناس التراويح ثلاث سنوات

---

[1]-الزبير بن رحال:الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية- 1940-1989م،دار الهدى،قسنطينة، الجزائر،ص3.

[2]-عبد الحميد بن باديس:آثار ابن باديس،مصدر سابق ،ج1 ،ص73.

[3]-فقيه إباضي،نسابة ،أنشأ معهدا للعلوم و الشريعة في مسقط رأسه. أنظر عادل نويهض ،أعلام الجزائر ،مؤسسة نويهض الثقافية،بيروت،ط2 ،1980م،ص45.

[4]-تركي رابح:الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية والإسلامية،دار موفم للنشر،الجزائر،دط،2003م،ص29.

متتابعة في الجامع الكبير[1]. ووالد عبد الحميد بن باديس السيد محمد المصطفى بن مكي رغم تعامله مع السلطات الفرنسية معاملة إدارية وتبوئه مناصب سياسية فيها، إلاّ أنه لم يقدم ابنه للمدارس الفرنسية المنتشرة في قسنطينة، بل إنه عمد إلى تنشأته تنشأة إسلامية على الطريقة الجزائرية، انطلاقا من مدرسة المسجد وتعلم مبادئ العلوم الشرعية، فانتقل الغلام ابن باديس بعد اتمامه حفظ القرآن سنة 1903م إلى المربي والعالم الجليل حمدان لونيسي، واختار بذلك طريق العلم والدين وفضله على طريق التجارة والمنصب[2]".

وقد كان الشيخ حمدان لونيسي من أبرز الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم عبد الحميد ابن باديس وكان من أبرز المشايخ الذين كان لهم التأثير الكبير في تكوين ابن باديس وتوجيهه، وكان ابن باديس بنفسه يشيد بفضل شيخه في ذلك ويقرّ له بالمكانة العلمية المرموقة، فهو الذي قال عنه " وإني لأذكر للأول – حمدان لونيسي– وصية أوصاني بها، وعهدا عهد به إلي ،وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله، فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يبلغها الشكر فهو من أوصاني أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت، وأن لا أتخذ علمي مطية لها[3]".

–زواجه:

زوجه والده حين بلوغه خمسة عشر ربيعا ،وأنجب ولدا أسماه عبده إسماعيل،وتوفي هذا الولد الوحيد لعبد الحميد بن باديس، وانفصل بعدها ابن باديس عن زوجته، ولم يفكر بعدها في الزواج لتفرغه في سبيل الدعوة وإصلاح الأمة[4].

[1]–عبد القادر فضيل ،محد الصالح رمضان: مرجع سابق،ص27.

[2]–تركي رابح:الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم،الشركة الوطنية للنشر،د.ط،الجزائر،د.ت،ص159.

[3]–عبد الحميد بن باديس :جريدة البصائر، ع16،الجمعة 2صفر 1355هـ،24أفريل1932م،الجزائر،ص3.

[4]عبد الحميد بن باديس ،آثار بن باديس،مصدر سابق،،ج1ص75.

-السفر للتكوين:

بعد أن سافر الشيخ حمدان لونيسي إلى المدينة المنورة متبرما من الاستعمار الفرنسي وسلطته، مجاورا بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم،و مدرسا للحديث إلى أن توفاه الله ،جاء دور الرحلة في حياة الشاب ابن باديس، فسافر إلى مدينة تونس سنة 1908 وسنه إذ ذاك تسعة عشر عاما، وانتسب إلى جامع الزيتونة [1]،وكان حريصا فيها على طلب العلم ملازماً للشيوخ منكبا على قراءة الكتب. وقضى في جامع الزيتونة قرابة أربع سنوات [2]" حصل خلالها علما كثيراً، ودرس على أيدي علماء كبار ومفكرين أحرار كالشيخ محمد النخلي الذي درس على يده التفسير، ومحمد الطاهر بن عاشور الذي درس على يده الأدب العربي وديوان الحماسة ،والمؤرخ البشير صفر الذي أخذ عنه التاريخ العربي والإسلامي والشيخ محمد بلحسن النجار، وكللت جهود ابن باديس في الجد والتحصيل بحصوله على شهادة التطويع سنة 1911 م ،وقضى سنة أخرى يدرس بجامع الزيتونة بعد أن كان ترتيبه الأول على قائمة الناجحين [3]"، فقد كان هذا من التقاليد العلمية لجامع الزيتونة أين يتم إسناد التدريس سنة واحدة لأوائل الدفعات.

وبعد عودته من تونس حوالي عام 1912 م انتصب رحمه الله للتدريس بالجامع الكبير بفضل جهود والده في الحصول على رخصة من الإدارة الاستعمارية، فدرس كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله[4].

لقد كان ابن باديس منشغلا بتدريس أبناء وطنه؛ شبابا وصبيانا، شيوخا ونساء ،مستفيدا من العلم الذي أخذه في جامع الزيتونة، مسطرا برنامجا خاصا لطلبة العلم، وآخر لعامة الناس ،مقسما دروسه على الكتاتيب وبعض المساجد الموجودة في قسنطينة بدءً بالجامع الكبير الذي تعرض فيه لكثير من الشكاوى المقدمة من طرف بعض الحاسدين والناقمين على ابن باديس لكثرة طلبته

---

[1] محمد البهي سالم:ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير،دار الشروق ،مصر،ط1990،1،ص31.

[2] عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج1،ص76.

[3] عبد القادر فضيل ،محمد الصالح رمضان:مرجع سابق،ص28.

[4] عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،:مصدر سابق،ج1،،ص46.

ومريديه ، ما جعل ابن باديس يعزم الأمر على السفر إلى المشرق ويزور بلد الله الحرام لأداء فريضة الحج.

-الرحلة إلى المشرق:

ارتحل ابن باديس في موسم الحج لسنة 1913 م إلى الديار المقدسة لأداء هذا الركن، فالتقى هناك بأستاذه الأول الشيخ حمدان لونيسي، والتقى أيضاً بعالم الهند الكبير الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الذي أخذ بنصيحته فيما بعد بأن يعود إلى الجزائر ويمارس الدعوة الإسلامية الإصلاحية فيها وأخذ برأيه ومشورته.

كما التقى أيضاً في المدينة المنورة بالشيخ البشير الإبراهيمي، وتدارس معه الأوضاع العامة في الجزائر وضرورة التكاثف، والعودة إلى الوطن لإحياء سنة المصطفى، ومحاربة البدع والعمل على إخراج الجزائر من براثن الاستعمار الفرنسي، وكانت فترة تواجدهما في الحجاز كفيلة بأن تكلل بالإصلاحات المقدمة من طرف كل واحد منهما، والتي جمعتهما في الكثير من النوادي والجمعيات في الجزائر فيما بعد[1].

وألقى ابن باديس خلال الأشهر الثلاثة التي قضاها هناك دروسا في المسجد النبوي بالمدينة المنورة[2]".

وعند رجوعه إلى الجزائر ومرورا ببلد مصر زار ابن باديس مفتي الديار المصرية بخيت المطيعي في بيته، ثم كتب له هذا الأخير إجازة في دفتر إجازاته، وبالإسكندرية زار الشيخ محمد أبا الفضل جيزاوي شيخ علماء الإسكندرية فأجازه هو الآخر أيضاً"[3].

---

[1] عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج3،ص271 .

[2] تركي رابح:الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،ص171.

[3]- أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة ، دار البعث،،قسنطينة الجزائر، ط1، دت، ،ج1،ص85.

-العودة إلى الوطن:

ومع رجوعه إلى الجزائر بدأ في تعليم الصبيان والشباب والشيوخ والنساء في الكتاتيب والمساجد مرة أخرى، واعتكف على نشر المعارف والعلوم الشرعية وتثبيت العقائد الإسلامية الصحيحة. وفي سنة 1922 م تبلورت في الأوساط الإصلاحية فكرتان تختلفان في المنهج وتتفقان في الهدف، الأولى تقوم على أن السبيل للإصلاح هو توجيه الطاقات والجهود نحو ناحية التربية والتعليم وتكوين نخبة من الدعاة وتدريبها على مناهج الدعوة، وتسلح هذه النخبة بالعلم والمعرفة وسعة الاطلاع على أصول الدين والعقائد، وصاحب هذا الرأي هو البشير الإبراهيمي، والرأي الثاني يقوم على أساس ثوري يزلزل عرش سلطان البدع المتحكمة وصاحب هذا الرأي هو عبد الحميد بن باديس، الذي اتصل بعلماء الجزائر شمالا وجنوبا وتواصل مع النخب في الطبقات السياسية وشرع في الصحافة وأنشأ المنتقد لتكون أول خطوة في العمل التطبيقي بعد التخطيط والتنظير الذي استمر قرابة عشر سنوات، ليتم تأسيس هذه الجريدة المبنية على النقد كما هو واضح اسمها[1].

وجعل بذلك النشاط الصحفي وسيلة لتقديم إصلاحات دينية ودعوية وأخرى سياسية، وكذا نشر الوعي وتعليم المجتمع بمختلف أطيافه وشرائحه، كما دعا ابن باديس إلى إصلاحات سياسية ،و حاول أن يضم شمل كل النخب السياسية في الجزائر، وجمعها في مؤتمر سمي بالمؤتمر الإسلامي سنة 1940 م، وهو التوجه الذي قلما يتجه إليه رجال الدين أو علماء الدين ،في الجمع بين العلم الشرعي والسياسة خاصة في وقتنا المعاصر، وأثبت أن السياسة والعلم توأمان يخدم كل منهما الآخر، واستمر في تأسيس الجرائد والمجلات والكتابة فيها رغم المضايقات الكثيرة التي تعرض لها ،والتي وصل حد بعضها إلى توقيف الإصدار [2]، كما أسس عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين يوم الثلاثاء من شهر ذي الحجة الموافق لـ 5 ماي 1931، وهي دعوة منه إلى توحيد جهود العلماء الجزائريين وجمعهم تحت راية واحدة ،و توجيههم إلى الدعوة لإصلاح الدين والوطن.

---

[1] عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج1،ص80.

[2] محمد البشير الابراهيمي:،آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي،مصدر سابق،ج1 ،ص71 .

-شيوخه:

1) محمد المداسي: أول شيخ تتلمذ على يديه ابن باديس وحفظ عنه القرآن الكريم بمدينة قسنطينة"[1].

2) حمدان لونيسي: من أشهر علماء الجزائر، أرسله والده محمد المصطفى بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم ليتعلم على يديه اللغة العربية والعلوم الشرعية، وهو من طلب من ابن باديس وأخذ عليه ميثاقا ألا يقرب الوظيف، وأن لا يجعل من علمه مطية لارتقاء المناصب في الإدارة الفرنسية.

3) محمد النخلي القروي: ولد بالقيروان سنة 1862 وتوفي بتونس سنة 1924، من أعلام أساتذة الزيتونة، درس على يديه ابن باديس التفسير وكان ناصحا أمينا لابن باديس، وتأثر به ابن باديس وبتوجيهاته أيما تأثر، وكان سببا في انفتاح فكر ابن باديس أكثر على باقي الرؤى، مع التمحيص والنقد دون القبول بكل ما يرد منها[2].

4) البشير صفر: درّس ابن باديس التاريخ ويعود له الفضل في تكوين ثقافة وعلم بن باديس بالتاريخ العربي والإسلامي ،كما ذكر ذلك ابن باديس نفسه؛ حيث قال: " وأنا شخصيا أصرّح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم، الغزيرة العلم، هي التي كان لها الفضل في إطلاعي على تاريخ أمتي وقومي، وهي التي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر[3]".

5) محمد الطاهر ابن عاشور:

صاحب كتاب "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المعروف بتفسير التحرير والتنوير، قام بتدريس عبد الحميد بن باديس ديوان الحماسة ويقول عنه ابن باديس: "

---

[1]- عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس، مصدر سابق،ج1،ص217

[2]-رابح تركي:الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية الإسلامية،مرجع سابق،ص31

[3]عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، مصدر سابق،ج1،ص77.

وإن أنسى فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وقد كانت من أول ما قرأت عليه، وهو الذي حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب وبثّ فيّ فهم المنظوم والمنثور، وأحببت من دروسه الشعور بعزّ العروبة و الإسلام"[1].

6) الشيخ الهندي:

وهو من علماء المسجد النبوي ،التقى به ابن باديس عام 1332هـ/1914م أثناء سفره لأداء فريضة الحج،فاستجاز ابن باديس الشيخ —طلب منه الإجازة في الصحاح الستة،وغيرها مما تجوز له روايته من كتب المعقول والمنقول —،وأصر على ذلك،ولما لم يجد المجيز بدا عن إسعاف مقصده،أجازه بجميع ذلك،حسبما أجازه مشايخه الكرام بالشروط المعتبرة المعروفة بين العلماء العظام،وإنه يروي العلوم والكتب عن مشايخ كثيرين من رؤوس علماء الهند،وعلماء دار الهجرة والبلد الأمين بسنده المذكور وكان صاحب الرأي في عودة ابن باديس إلى أرض الوطن لخدمة الإسلام والوطن بعد أن تردد ابن باديس بين الرجوع إلى الجزائر أو المكوث في المدينة المنورة[2].

وقد كان صاحب الشفاء، القاضي عياض من بين أهم علماء الدين قرأ لهم ابن باديس وعمل على تدريس وشرح كتبهم في مدينة قسنطينة بالجامع الكبير[3].

كما كان ابن باديس متأثرا بالإمام أبي بكر بن العربي، أين قام بتحقيق كتابه " العواصم من القواصم" وكان يلقي دروسا بالمسجد لشرح هذا الكتاب.

—وفاته:

كان ابن باديس قد نذر نفسه للأمة ولم يأبه بصحته ولا ببدنه ،فقد كان لا ينام إلا وقتا يسيرا، ما جعل من جسده الهزيل عرضة للأمراض و بدأت مناعته تضعف بعد أن ثبتت إصابته بمرض عضال .

---

[1]—عبد الحميد بن باديس البصائر:السنة الاولى،عدد16،الجمعة 2صفر 1355هـ،أفريل1936م.

[2]عبد الحميد بن باديس:آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج1،ص73.

[3]— المصدر نفسه،ج4،ص71.

استمر ابن باديس في الدعوة والإصلاح والتعليم والتوجيه والنصح والوعظ، ليل نهار غير مكترث بجسمه وراحته، فكان همه الدين والوطن، وقد نذر نفسه وعلمه في سبيل ذلك، وبدأ الضعف والوهن ينخر جسده الضعيف شيئا فشيئا حتى أتاه اليقين، وانتقل إلى الرفيق الأعلى مساء الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359هـ، الموافق للسادس عشر من شهر أفريل عام 1940 م، وتحركت قسنطينة بأكملها لتشيع جنازته وكان يوما مشهودا ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة"[1].

-آثاره:

اشتغل ابن باديس بتأليف الرجال عن تأليف الكتب، ولو تفرغ للتأليف لبلغنا الكثير من كتبه، ولكن حجم المشاغل والمسؤوليات وعبء إيقاظ الأمة، و إحياء السنة وإماتة البدعة، ومحاربة الجهل، ومناوأة قوى الظلم الغاشم، ومع كل هذه الالتزامات والارتباطات التي كانت تشغل ليل ونهار ابن باديس إلا أن ذلك لم يمنع طلبته من جمع خطبه ومقالاته وملخصاته ودروسه، وتدوينها في كتب ومؤلفات ومن أهمها:

1/ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: وهو عبارة عن تفسير بعض آيات القرآن الكريم ،جمعت من مقالاته التي كتبها في مجلة الشهاب والدروس التي كان يلقيها في المسجد.

2/مجالس التذكير من حديث البشير النذير.

3/ العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية :ألفها وقام بالتعليق عليها تلميذه " محمد الصالح رمضان" وتشمل أصول العقائد الإسلامية.

4/-رجال السلف ونساؤه : قام بجمعها ونشرها محمد الصالح رمضان.

5/-مبادئ الأصول :حققه ونشره عمار طالبي

6/-أصول الفقه من آيات وأحاديث الأحكام:نشره تلميذه محمد الحسن فضلاء.

[1]- عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج1،ص95.

7/-تحقيق كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي.

والحقيقة أن الكثير من تراث وجهد ابن باديس الفكري لم يقيد في تأليف وكتب رغم الجهود العظيمة التي قدمها طلبته ووزارة الشؤون الدينية في تحقيق وجمع ما تأكد أثره عن ابن باديس، وهو ما يؤكده ويعترف به زميله البشير الإبراهيمي في شأن تفسيره للقرآن الكريم، حيث يقول: "الأخ الصديق لم يكتب أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثير منها، وضاع على الأمة كنز وعلم لا يقدر بمال"[1].

[1]-عبد الحميد بن باديس:مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية،الجزائر ،ط1 ،1982م،ص34.

المبحث الثاني:عصر و حياة محمد بن عبد الوهاب.

المطلب الأول الأوضاع العامة في نجد والحجاز

يجب التنويه بداية بأن الإطار المكاني الذي تحرك فيه الخطاب الدعوي لمحمد بن عبد الوهاب هو المملكة العربية السعودية – وذلك لأن الخطاب الدعوي الذي أسسه ابن عبد الوهاب قد تجاوز منطقة الدرعية ،وإقليم نجد،ليصل إلى الأقاليم الأخرى بنجد،وهذا ما سيتم الإشارة إليه لاحقا،كما أن المملكة العربية السعودية تضم إقليم نجد منطلق دعوة ابن عبد الوهاب،فالعلاقة بين المملكة العربية السعودية الحديثة وبين نجد هي علاقة العنصر بالكل،وعلاقة الخاص بالعام– ، و تقع هذه الأخيرة جنوب غرب قارة آسيا بين خطي طول 36 و56 شرق، وبين دائرتي عرض 20 و32 شمالا، وتتربع على مساحة 2,149.00 كم^2 وتمثل مانسبته80 % من مساحة شبه الجزيرة العربية البالغة2,7 مليون كم^2.[1]

يحدها شمالا الأردن والعراق والكويت، وجنوبا اليمن وعمان، . ويحدها شرقا البحرين وقطر والإمارات،وغربا البحر الأحمر.

تتفاوت تضاريس المملكة العربية السعودية عموما، وإقليم نجد خصوصا بين التضاريس الوعرة والقاحلة إلى التضاريس السهلة والخصبة ومن الصحاري الجداب إلى البساتين والواحات الغزيرة المياة[2]

تمتد في غربي بلاد العرب سلسلة من الجبال من اليمن جنوبا إلى العقبة شمالا وهذه السلسلة تخترقها أودية وشعاب كثيرة يشرق بعضها وبعضها يغرب على درجات متفاوتة من الارتفاع وهذه السلسلة تسمى حجازا، فهي حجزت بين الغور –منخفض متصل بالبحر–، وبين نجد –وهو أعالي الجزيرة المرتفعة ذات الأرض السهلة–.

و نجد تطلق على الأرض الصلبة الغليظة والمرتفعة من الأرض ،و هي تلك الأرض المرتفعة عن بطن الرمة[1].

---

[1] حسام جاد الرب:جغرافية العالم العربي،جامعة أسيوط،مصر ،دط ،2005م،ص67.

[2] أمين الريحاني:تاريخ نجد الحديث و ملحقاته،دار ريحاني للنشر ،بيروت،ط2،1954م،ص22.

وهي هضبة تتوسط شبه الجزيرة العربية ويغلب عليها الطابع الصحراوي الجاف. كما تضم الكثير من الوديان والواحات أهمها وادي حنيفة ووادي الرمة.[2]

وتعتبر قطعة عظيمة من جزيرة العرب حدها الشمالي جبل شمر وبر الشام ،وشرقا عراق العرب والأحساء، وجنوبا الأحقاف- الربع الخالي- واليمامة، وغربا الحجاز، وهناك أقوالا كثيرة متقاربة المعنى في ضبط حدود نجد لا تختلف كثيرا عن هذا القول[3]، وأطول سلسلة من جبالها هي التي كانت تدعى قديما العارض أو عارض اليمامة، وقد يطلق عليها أيضا اسم طويق والعارض بدلا من اليمامة ،وتشتمل على مدينة الرياض – عاصمة المملكة العربية السعودية اليوم-، وتشمل أيضا قرى كثيرة ونواحي متعددة. [4]

المطلب الأول:الأوضاع العامة لنجد والحجاز في عصر محمد بن الوهاب:

أولا:الأوضاع الاجتماعية لنجد والحجاز:

تأسست قبائل نجد والحجاز على أيدي الشعوب والقبائل العربية العريقة التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية بقارة آسيا، ومن أشهر القبائل العربية التي كان ينسب إليها أهل نجد والحجاز هي قبائل طسم وجديس وهما قبيلتان كبيرتان معروفتان في السجلات الخاصة بدراسة الترتيب التاريخي للأحداث، وكانت خلال العصر الجاهلي تتواجد بمنطقة اليمامة المعروفة بسافلة نجد،وخلفهما قبائل بنو لام من قبيلة طيء المشهورة في التاريخ العربي، وكذا قبائل آل عائد وقبائل بنو حنيفة التي تضم قبائل تغلب وبكر المعروفتان بحرب الأربعين سنة، أو حرب الناقة " [5] وكذا بنو تميم بمناطق سدير والوشم والمنطقة الجنوبية الشرقية من القاسم ". [6]

---

[1] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي:معجم البلدان،دار صادر،بيروت ، 1977م، م5،261.

[2] رأفت الشيخ:تاريخ العرب الحديث،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر، 1996م،ص95.

[3] محمود شكري الألوسي:تاريخ نجد،تحقيق:محمد بهجة الأثري،الوراق للنشر ،بغداد،ط1،2007م،ص12.

[4] أحمد الريحاني ،المرجع السابق،ص21 .

[5] عويضة بن متريك الجهني :نجد قبل حركة الاصلاح السلفية ،ترجمة:إحسان زكي،إثكا برس ،بيروت،دط ، 2015،ص55.

[6] عبد الله بن محمد بن خميس:المعجم الجغرافي للملكة العربية السعودية،مطابع الفرزدق، ط2،الرياض،1980م، م1،ص382.

كما ظهرت قبائل أخرى بداية من منتصف القرن الثالث الهجري- التاسع ميلادي-، لم تكن مستقلة أو لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ ،كقبائل بني تامر و بن صعصعة التي انتشرت في وسط الجزيرة العربية وشرقها ،وسيطرت على عالية نجد وأقاليم اليمامة ،كما ظهرت سلطة قبائل بنو عصفور . ثم أسرة بني جبر خلال القرن السابع هجري – أي الثالث عشر ميلادي –،و ظهر نفوذ قبائل الظفير وعنزة، وبدأت بذلك تتشكل الإمارات التي تحكم أجزاء نجد والحجاز من طرف هذه القبائل وشيوخها ،وتأسست بفضل تلك القبائل مجموعة من البلدان مثل: التويم، روضة، سدير، حريملاء، العيينة، الدرعية، الرياض، بريدة، القصيم ".[1]

كان النظام السائد في المجتمع النجدي والحجازي خلال القرون الماضية مجتمعا قبليا يخضع لقانون العشائر والقبائل "وكانت النظرة الاجتماعية لدى النجديين قبلية خالصة، ومن هنا فإن صوت الانتماء العربي الأصيل كان مهما جدا لتحديد مكانة الفرد أو الأسرة في المجتمع واتضحت هذه النظرة في قضية الزواج ومزاولة بعض الأعمال والحروف ".[2]

وقد كان السكان في هذه المنطقة يحافظون على الكثير من الأعراف والعادات القبلية العربية المعروفة، قديما ويظهر ذلك جليا من خلال المعاملات اليومية وكذا اللباس العربي الذي يرتديه كبارهم وصغارهم، وكذا الاعتزاز بالنسب والافتخار به وجعله مطية لطلب السؤدد والزعامة.

وأما من حيث طريقة المعيشة فإن المجتمع النجدي كان حينذاك منقسما إلى قسمين حضر وبدو، وقد كانت العوامل المناخية كالقحط وقلة المراعي والكلأ هي من أهم الدوافع التي جعلت من النجدين وأهل الحجاز يتركون حياة البداوة ويستقرون في الحواضر، وتغيير نمط الحياة إلى التجارة أو الالتفاف حول مصادر المياه للقيام بمهنة الزراعة، وأما حياة البدو فكانت قائمة على الرعي والبحث عن مناطق الرعي وكذا الصيد البري: وقد تضطر في بعض السنوات إلى الغزو بدعوى التنازع القبلي

---

[1] محمد بن عبد الله بن يوسف :تاريخ بن يوسف،تحقيق:بن متريك الجهني،مكتبة الملك فهد،المملكة العربية السعودية ،دط،1999م،ص18.

[2] عبد الله الصالح العثيمين:الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره،دار العلوم ،السعودية،د.ط ،1993م،ص12.

أو بسبب الفقر والقحط [1] ،ويرى أهل البدو أنهم يمتازون عن أهل الحضر بالشجاعة والأقدام وأن لهم القدرة على التكيف مع طبيعة الصحراء وجفافها دون أهل الحضر [2] وكذا الشأن بالنسبة لأهل الحضر الذين يرون في البدو على أنهم أجلاف غلاظ بعيدون عن اللين والتلطف في المعاملة والكلام، كما كان النجديون يتميز بدوهم وحضرهم عامة بالوفاء ،والصدق في العهود، والمحافظة على الأنساب والجذور القبلية والاعتزاز بها .

ولم يقتصر سكان نجد على الموردين الاقتصاديين السابقين فقط –الرعي والتجارة الداخلية–، بل كانت هناك مبادلات تجارية مع بعض الأقطار المجاورة، وكذا القوافل التي تأتي إلى الحج في الحجاز وكانت مناطق الحجاز، ونجد تقوم بتصدير بعض المنتجات الوفيرة كالتمر والإبل، وتستورد بعض الأطعمة كالسكر والتوابل وكذا الأواني والملابس وحتى الحديد وبعض الأسلحة البسيطة المتداولة في ذلك العصر[3] مع العلم أن هذه التجارة الخارجية لم تكن منظمة ،أو بتعبير آخر لم تكن آمنة فقد تتعرض بعض القوافل إلى السطو والنهب ما يجعل منها أقل حيوية وأضعف انتشارا.

و تتميز نجد بوجود ثلاثة أنماط من التجارة و هي :

1–التجارة المحلية : والتي كانت متجلية في التعامل التجاري الذي كان سائدا بين سكان الحضر في كل بلدة على انفراد ، وقد تمثلت في الغالب في المنتجات الزراعية و المنتجات المحلية .

2–التجارة الإقليمية : وهي التي كانت قائمة بين البلدان النجدية أو بين حاضرة نجد وباديتها، وتمثلت في الفائض من الإنتاج الزراعي أو الثروة الحيوانية أو المصنوعات البسيطة .

3–التجارة الخارجية :وهي التي كانت قائمة بين سكان نجد حاضرة و بادية ، وبين سكان الأقطار الأخرى خارج نجد، فكما أن نجد –على سبيل المثال– كانت غنية بالثروة الحيوانية ، حتى سميت بـ:" أم البل " كاختصار لكلمة أم الإبل، وذلك لوفرة الإبل فيها، فإنها كانت في الوقت ذاته

---

[1] عبد الله الصالح العثيمين:نجد قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،مكتبة الرشد،الرياض،ط 1 ،2010،ص28.

[2] حسين خلف الشيخ خزعل،تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب،دار الكتب،دط،بيروت،د.ت،ص18.

[3] محمد بن علي بن سكاكر:مرجع سابق،ص43.

تفتقر إلى الكثير من المنتجات الضرورية فكانت تضطر إلى بيع الفائض من ثروتها الحيوانية للحصول على ما تحتاجه من الأسلحة و الألبسة و بعض الأطعمة و كذلك بعض الأواني و الأدوات [1]

و كانت الوسيلة الوحيدة للاستيراد هي القوافل الجماعية التي كانت كثيرا ما تتعرض لمخاطر البادية و قطاع الطريق بالتعدي عليها ، و لذا يعمد أصحابها إلى دفع ضريبة باسم ،" الأتاوة " لشيوخ القبائل من أجل حمايتهم و حماية أموالهم أثناء مرور القوافل بأراضي تلك القبائل.

و تنتهي المسؤولية إذا دخلت القافلة حدود قافلة أخرى ما يستلزم دفع أتاوات أخرى حتى تبلغ القافلة مقصدها [2]

ومنه فإن المبادلات التجارية و المالية بإقليم نجد كان تتم بشكل يوضح لنا البساطة التي كان يعيشها سكان إقليم نجد من حيث نوعية المواد الرائجة في المبادلات التجارية ، و كذا من وجه طريقة التعامل التجاري بين الأطراف أين تصل في مواقف معينة إلى حد المبادلات – أي تبادل سلعة بمقابل سلعة –.

والجانب الأمني أثناء حدوث تلك المبادلات يشكل عائق أمام تطور الحركة التجارية في نجد ناهيك عن الاستغلال المادي الذي كان يفرضه رؤساء القبائل على التجار بدعوى التأمين، و الحماية ، كلها كانت عوامل مثبطة لتحقيق الرفاهية الاجتماعية، والاقتصادية ،بل حتى لتوفير بعض المواد الأساسية لسكان، وأهالي منطقة نجد .

و كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الحجاز ونجد تتأثر تأثرا مباشرا بالأوضاع المناخية والظروف البيئية التي كانت تمر بها البلاد، وقد عرفت المنطقة أحداث مناخية متغيرة ومتقلبة بين ندرة الأمطار، وتعرض البلاد إلى الفياضانات مثل فياضانات إقليم العارض سنة 1904 م، وجفاف سنة

[1] –عبد الله الصالح العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته و فكره،مرجع سابق، ص 13 .

[2] – محمد الشويعر : نجد قبل 250 سنة ، النخيل للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية،دط، 1992 ص 104 .

1654 م، وما صاحبه من ارتفاع في الأسعار، وهجرات متوالية خاصة بالنسبة لأهل البدو، وكذا جفاف سمدان بعالية نجد 1702 م[1]".

فهي سنة 1138 حل بالعيينة وهي منطقة بنجد وجاء وباء يقضي على غالبيتهم، ومات من بينهم رئيس العيينة عبد الله بن محمد بن معمر الذي لم يذكر في زمنه ولاقلبه في نجد من الرئاسة.

وفي سنة 1116 في ذي القعدة غرقت بلدة عييزة بالسيل وتسمى بعام غرقت السليمي وهناك من أرخها بقوله " طغا الماء " في تلك السنة.

كما لم تسلم أقاليم نجد والحجاز من بعض الأوبئة الخطيرة التي كانت سببا في هلاك الكثير من الأهالي، مثل وباء الجدري سنة 1462 م، وباء إقليم العارض سنتي 1680م و 1714م ، كما شهدت المحاصيل الزراعية التلف بسبب أسراب الجراد التي كانت تهاجم نجد وذلك سنوات : 1476 و1676 و1690 م. [2]

وقد كانت نجد موضعا للخلاف، والفتن بسبب القبائل والعشائر، فكانت مأوى الشرور، والمحن والقتل والنهب والعدوان بين أهل القرى والبلدان، و كانت حمية الجاهلية بين قبائل العربان سمة بارزة، وسببا مباشرا للقتال والنزاع في وسط البيوت والأسواق. [3]

وانتشرت الحروب والغارات بين القبائل الرحل في نجد فيما بينها، وبين تلك القبائل وبين أهالي البلدان ،والحملات والغزوات التي كان يقوم رؤساء الأحساء أو أشراف مكة على نجد [4].فأدت هذه الحروب إلى وفاة خلق كثير من الطرفين ،وتأثرت الحالة الاجتماعية، وكذا الاقتصادية والمالية بمنطقة نجد وضواحيها من هذه الصراعات والحروب فقد كان من أيسر الأمور بين القبائل العربية البدوية نشوب قتال إذا ما ثبت خلاف لم تتيسر تسويته بناء على قواعد الكرامة والشرف، أو إذا

---

[1] عويضة بن متريك الجهني:مرجع سابق،ص85.

[2] عويضة بن متريك الجهني:مرجع سابق،،ص86 .

[3] عثمان بن عبد الله ابن بشر:عنوان المجد في تاريخ نجد،تحقيق:عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ،مطبوعات دار الملك عبد العزيز ،الرياض ،ط4 ،1983م، ج2،ص8.

[4] محمد بن عبد الله بن يوسف ،مرجع سابق،45.

اشتعلت نار الحرب بينهم، وقتل أحدهم من تلك القبائل المتصادمة فإنها تؤدي بالضرورة إلى العداوة بين القبيلتين ويصبح من الواجب على كل قبيلة الأخذ بثأر قتلاها بدون صبر، وقد تتصالح الفئتان على الديات ولكن بعد صراعات دموية قد تطول في كثير من الأحيان ."[1]

ففي سنة 1084 هـ حدثت وقعة القاع المشهورة بين أهل التويم وأهل جلاجل، وقتل فيها محمد بن زامل رئيس بلد التويم، وكذا رئيس بلدة جلاجل إبراهيم بن سليمان ،وبعد سنة من ذلك حدثت حرب ببلدة أشيقر – التابعة لنجد – فيما بين أهالي البلدة، وفي سنة 1092هـ حدثت وقعة دلقة بين عنزة والظفير ،وقتل من عنزة خلق كثير [2]..وغيرها من المعارك والحروب، ولا يكاد المتتبع لتاريخ نجد وضواحيها يمر على سنة من السنوات إلا وقرأ عن وقعة أو حرب بين هذه القبائل، والتي راح ضحاياها الكثير من النجديين، لا شيء إلا لتنفيذ أوامر بعض زعماء القبائل وشيوخها الذين آثروا التوسع وبسط النفوذ على حماية أفراد القبيلة ،بل إنهم جعلوا أبناء بلداتهم قربانا لأطماعهم وشجعهم في الرئاسة ،وشحذوا هممهم باسم العروبة والانتماء للقبيلة والنسب، ورغم وجود الكثير من المشتركات بين هذه القبائل المتناحرة مثل الدين واللغة والجغرافيا وحتى الاشتراك في النسب والتاريخ الأوضاع الدينية ، إلا أن كل ذلك لم يمنع من قيام الحروب والصراعات في بين تلك القبائل والتي اتسمت بالدموية في الكثير منها.

ذهب الباحثون والدارسون لتاريخ العالم الإسلامي عموما وتاريخ نجد خصوصا خلال القرن الثاني عشر للهجري بأن تلك الفترة قد شهدت تدن في الانحطاط" [(3)]، وأن الدين الإسلامي وتطبيق الشريعة التي جاء بها خاتم الأنبياء قد بلغت أقصى انحرافها، وأن الأمة الإسلامية في ذلك العصر قد غرقت في بحر لجي لا يكاد يدرك له مخرج، إلا أن يمن الله عليها –على الأمة الإسلامية – بفضل من عنده.

---

[1] حسين خلف الشيخ خزعل ،حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،دار الكتب ،بيروت،ط1968،1م،ص23.

[2] نفس المرجع و الصفحة.

[(3)] محمد ضياء الدين الريس:تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية،مكتبة نهضة مصر ،القاهرة، 1950م،ج1،ص98.

وقد عبر عن هذه الأوضاع المؤرخ عثمان بن بشر النجدي بقوله : " وأهل نجد كانوا قبل هذه الدعوة قد بعدوا كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي وتردوا في هاوية سحيقة من الشرك والضلال فعادوا إلى ما كانوا عليه المشركون في الجاهلية الأولى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من التعلق بالأصنام ورجاء كشف الكربات وإغاثة اللهفات [1] " فقد كانت بعض العادات والممارسات في منطقة نجد تعبر عن التضرع واللجوء إلى غير الله.

وجعل بعض الفرق الصوفية قبور بعض الصحابة كوسائط بين مسألة العبد والرب، وجعل أصحاب تلك القبور أوصياء وحجاب وشفعاء لله، ومن بين هذه الممارسات والتي كانت منتشرة بصفة أكبر في مناطق البدو، والتي من بين أسبابها بعد أهل البدو عن بعض المشايخ والعلماء القليلين في ذلك الزمن والمنتشرين عادة في الحضر مايلي :

1. انتشار الأضرحة والقبور، وتبرك عامة المسلمين بقبور بعض الصالحين في اعتقادهم بأن أصحابهم سيشفعون لزائريهم بمجرد التقرب إليهم أو زيارتهم، ولم تقف الممارسات المنتشرة في ذلك الزمان عند الصالح الخراشي،حدود زيارة القبور بل تعدتها إلى التوسل وطلب العون منهم، "ففي مكة المكرمة فقد ذكر أن النجدين بعد دخولهم لمكة هدموا فيها ما يزيد على ثمانين قبة فاخرة مبنية على قبور وأضرحة " [2]

وفي شعيب غبيراء يفعل من الهجر المنكر العقدي مالا يعهد مثله ولا يتصور فعله، ويزعم أهالي تلك البلدة، أن فيها قبر ضرار بن الأزور ، وذلك كله كذب محض وبهتان وزور" [3].

وفي بلدة الفدا يوجد ذكر النخل المعروف بالفحال يأتيه النساء وال رجال .ويفدون إليه بالإبكار والأصال . ويفعلون أقبح الأفعال العقدية، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج فتضمه بيديها

---

[1] عثمان بن عبد الله ابن بشر:مرجع سابق، ص27.

[2] حسين بن أبي بكر ابن غنام:روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام-المعروف بتاريخ ابن غنام-،تح:سليمان بن صالح الخراشي،دار الثلوثية، ،المملكة العربية السعودية، ط1،1431هـ-2010م،ص103.

[3] احسين بن أبي بكر ابن غنام ،مرجع سابق ،ص174.

برجاء الانفراج وتقول يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول [1] وكذلك اتخاذ قبر أمهات المؤمنين كقبر ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها في سرف ،وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلى[2].

"وكذا ما يفعل في جدة مما عمت به البلوى فعندهم قبر طوله ستون ذراعا عليه قبة، يزعمون أنه قبر حواء يجبو من خلاله السدنة من الأموال كل سنة الكثير ، ويسمح بدخول الزائرين إليه شرط أن يقدموا أموالا كنذر لذلك القبر [3].

كما كان قبر زيد بن الخطاب في الجبلية مقصد الزائرين، وتشد له الرحال ،ويدعون صاحبه لتفريج الكروب وكشف النوائب وقضاء الحاجات، ويظنون بقدرته في كشف الضر، ودفع السوء، وجلب المنافع [4].

وكان عندهم رجل يزعمون أنه من الأولياء اسمه تاج، سلكوا فيه سبيل الطواغيت فصرفوا إليه النذر، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم جماعات وأفواجا، وكان هو يأتيهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع له من النذور والخراج، وكانوا يعتقدون فيه اعتقادا عظيما، وخاصة العوام ، وهابه الخواص وحاشية الناس، وزعموا أنه أعمى، وأنه يأتي من دون بلدة الخرج قائد يقوده، وكانوا يرجون فيه الخير والنفع ويخشون منه "[5]

لقد كانت هذه التجاوزات تصدر غالبا عن أهل الحضر، ولم يكن أهل البدو إلا أسوأ حالا منهم، وأقبح اعتقادا ،لجهلهم وأميتهم، فكانوا يصفون القرآن على أنه كتاب الحضر وكانوا

---

[1] نفس المصدر و الصفحة.

[2] -المصدر نفسه،179.

[3] نفس المصدر نفسه،ص180.

[4] سليمان الحقيل:حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته-الدعوة الاصلاحية في الجزيرة العربية،الأسس التي قامت عليها-غايتها وأهدافها،وحقيقة الشبهات المثارة حولها،نتائجها وأثارها،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض،ط 1 ،1999م،ص23.

[5] صالح بن عبد الرحمن العبود:عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،ط1،المملكة العربية السعودية، 1413هـ،ج1،ص61.

لايعتقدون بالمبعث،و تغيب عندهم بعض أركان الإسلام، كالصلاة والزكاة، ولا يحملون من الإسلام إلا اسمه. [1].

ولم تكن مثل هذه الممارسات بالغريبة عن المناطق والدول المجاورة كاليمن ،وبصنعاء كان يتخذ من قبر يسمى الهادي كملجأ للاستغاثة وطلب العون عند تعسر الحمل عند المرأة [2]، وكذا حضر موت وعدن، وغيرها من البلدان التي انتشرت فيها هذه الطقوس والعادات التي ألبست ثوب الإسلام عن جهل وحمق.

إذن فقد ذاعت الشبهات الدينية، والعقائدية في أوساط المجتمع الديني ، و شوهت الصورة الحقيقية التي جاءت بها رسالة الإسلام ، وتم التساهل في تطبيق ركن التوحيد فتم إشراك الله في الكثير مما اختصه الله لذاته، كمسائل الرزق، جلب النفع، ودفع الضرر، وهذا كله من باب الجهل و البعد عن أخذ العلم الشرعي، وتحصيله من أهله أولو العلم و الألباب .

لقد كانت هذه الأوضاع الدينية و التعليمية في نجد و ضواحيها تعبر عن الانحطاط، والتدني العلمي، والديني الذي آل إليه حال المنطقة ،وتعبر كذلك عن حاجة الإقليم، وحاجة الأمة إلى علماء، ومجددين يصلحون ما أفسدته عامة الناس، وسفهاؤهم، ويعيدون للإسلام هيبته وللعلم مكانته .

وبناء على ما تم ذكره من سلوكات، وعادات أُحدثت في دين الله، ما أنزله الله بها من سلطان ، فإننا نجد أن الضلال العقدي كان رأس الانحراف الديني في مناطق نجد، كما نجد أن العلاقة بين العلم الشرعي والعبادة هي علاقة تناسبية و علاقة تلازمية كذلك، فعندما يغيب العلم و المعرفة بدين الله و أحكامه، فإن ذلك ينعكس جليا و بشكل سلبي على العبادات سواء كانت سلوكا أو معتقدا و الأصل بالطبع في العلم و المعرفة هو نصوص الوحي بالدرجة الأولى كتاب الله و سنة نبيه فلا يعبد الله و لا يستن بهدي رسوله إلا على النحو الذي أمر به الله تعالى، وجاء به رسوله الكريم قال الله

---

[1] محمد بن علي بن محمد السكاكر:دعوة ابن عبد الوهاب وعثمان بن فودي،مرجع سابق،ص48.

[2] مرفت برت كامل:احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الدعوة والإصلاح،جامعة الإمام محمد بن سعود،المملكة العربية السعودية،ص16 .

تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يوسف 108 ، و الاجتهاد في العبادات و العقائد هو اجتهاد مردود على صاحبه حتى و إن ابتغى في ذلك رضوان الله ، و هذا هو الضلال الذي وقع فيه سكان نجد، فقد أرادوا الإحسان و التقرب إلى الله من خلال تعظيم بعض الأضرحة و القبور، ظنا منهم أن أصحاب تلك الأضرحة و القبور ، تكون شفيعة لهم عند الله بحكم صلاح أصحابها وورعهم، وفي حقيقة الأمر فإن الملجأ و المنجي من العذاب، والمرجو للرحمة و الغفران هو الله وحده دون سواه من الخلق، وأن اللجوء إلى عباده و التوسل إليهم لطلب الرزق ، أو رجاء العفو و الغفران ما هو إلا صورة من صور التدين الإكليروسي الكنسي ، الذي يؤله رجال الدين و علماءه ويضعهم في منزلة الأرباب .

وأما بالنسبة للتعليم فإنه من الواضح أنه في تلك الفترة كان محصورا في العلوم الدينية ومع ذلك فقد كان على نطاق ضيق جدا، وكان نادرا بين فئات الحضر من هذه المنطقة، فصعوبة، المعيشية في تلك الفترة وعدم وجود من يتولى التعليم برعاية مالية كافية وقفا في طريق الغالبية العظمى من السكان إلى المعرفة وطلب العلم. [1]

وبذلك انتشر الجهل وساد بين القبائل والأقاليم النجدية، ووقع أهل نجد في المحاذير، وأسقطوا الواجب والفرض، فعمت الفوضى في البلاد النجدية ،واتخذ عوام الناس رؤوسا جهالا أفتوا وأضلوا وكانوا بذلك عرضة للنصب والاحتيال، وأخذت أموالهم بحجج واهية ،،فتارة بالنذور وتارة أخرى باسم الحمية والانتماء، والأدهى من كل ذلك افتتان الناس في دينهم وتعطيل الكثير من الأوامر الإلهية، والوقوع في الكثير من المحرمات الشرعية.

ومع كل هذه الاضطرابات الدينية، والفوضى العلمية إلا أن هناك علماء غرباء في وسط هذه الجهالة العمياء، اشتغلوا بقضايا أمتهم، وحاولت صرخاتهم إيقاظ أهالي نجد من سبات الجهل والبعد عن الدين، فاشتغلوا بالإمامة والقضاء وحملوا راية الدعوة إلى الله وجلسوا مع عامة الناس لتعليمهم وإرشادهم، وركز العلماء والمدرسون على تعليم وتلقين الفقه بالدرجة الأولى للطلبة والتلاميذ من

[1] مرفت بنت كامل،ص16.

العلوم الشرعية ،ثم علوم اللغة، وكان من أشهر البلدان الخليجية اهتماما بالعلم والتدريس بلدة أشيقر التي كانت مهدا وحاضنات لتخريج القضاة والمفتشين والخطباء والمعلمين [1]

ولقد حفظ هؤلاء العلماء القليلون والأئمة النادرون بإقليم نجد، وضواحيها التراث الإسلامي، وعملوا على تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع النجدي من خلال التركيز على المذهب الحنبلي وهو المذهب السائد في وسط الجزيرة العربية مع وجود المذهب المالكي، الشافعي وترجع سيادة المذهب الحنبلي في نجد إلى أسباب أهمها :

1-أن عددا من علماء المذهب الحنبلي في المناطق المجاورة لنجد كانوا لظروف طارئة قد رحلوا إلى مناطق وسط الجزيرة العربية.

2-دراسة العلماء في منطقة نجد كانت على أيدي علماء حنابلة.

كما نجد كذلك تواجد وتكاثر الشيعة في بعض المناطق المجاورة للبلدان المتشيعة كالبحرين واليمن، وإيران، ولعل منطقة الأحساء في نجد هي أكثر المناطق التي يلاحظ تواجد وتمركز هذه الطائفة على مستوى اقليم نجد[2].

ثانيا:الأوضاع السياسية لنجد والحجاز:

لم يكن إقليم نجد ومناطق كثيرة من الحجاز معلومة الحدود الإقليمية إلى وقت غير بعيد من ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب، وكانت الضواحي والأقاليم غير ثابتة، تخضع عموما لقانون الغلبة في الحروب ،واتصفت القبائل بالصراعات السياسية فيما بينها ،والوصول إلى السلطة والقيادة لا يتأتى إلا بالقتال بين أفراد المنطقة الواحدة أو المناطق المجاورة قصد التمدد وبسط النفوذ ،إضافة إلى استيطان بعض القبائل العربية القديمة في بعض المناطق المتواجدة بنجد وترحالهم من إقليم لآخر. و كانت لديهم قوة لا يستهان بها ، و لكنها ليست بالتي تُخضع أُمراء نجد و أهلها لسلطتهم ، و إن كانت لهم سيطرة في نجد و هيمنة على شؤونها ، فليست بالضرورة للقوة البشرية و العتاد الحربي ،

---

[1] محمد بن عبد الله بن يوسف:مرجع سابق،ص34 .

[2] محمد خليل هراس:الحركة الوهابية،مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،المملكة العربية السعودية،دط ،1396هـ،ص44.

فقد يخفي المال عيوب الضعف و القلة، و هذا ما كان من أمر آل حميد فقد كانوا ينالون طاعة أهل نجد بالمال متى ما عجزوا عنهم بالقوة [1] .

وفي غربي نجد إمارة الأطراف في الحجاز، وقد حاولوا الاستيلاء على نجد مرارا ففشلوا فشلا ذريعا، و كثيرا ما تتراجع جيوشهم الجرارة أمام حصن صغير من قصور الزرع ،وليس فيه من الحامية إلا عشرون أو ثلاثون رجلا، وقوتهم ليست معنوية بالرغم من ضخامة الظهر [2] .

إذن فإن أوضاع السياسة، وهيئة الحكم، وصفته في إقليم نجد كانت تقليدية و بدوية ، تخضع فيها الرعية و الأهالي لحكم الأقوى والأغنى ، ويسري فيها حكم القبيلة، والعصبة على حساب حكم الكفاءة و الأحقية،"وسوء الحالة السياسية من سوء الحالة المدنية لأن انخفاض الوازع الديني، و موت الضمائر و عدم الشعور بالواجبات الإنسانية، و عدم احترام الحرمات و الجهل بأحكام الشريعة المحمدية ،وعدم التمييز بين زواجرها، وتعليماتها بل تبديلها و تحريفها، وإلباس الباطل لباس الحق، و تصوير الرذائل بصور الفضائل، والتعلق بأمور ليست من الدين في شيء ، وإهمال الكثير من أركان الدين،و واجباته ،وجعل التهاون بحدود الخالق يتطرق إلى النفوس كان ذلك كله سببا في إهمال الشرائع، وتعطيل الأحكام ،و انتشار المفاسد، وانقطاع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا ما يفسر مقدار الفوضى التي ضربت في نجد ردحا من الزمن و طمست آثارها، ولم تكن نجد في حالتها تلك لتخلو من علماء أجلاء بل نبغ منهم فيها من يشار إليه بالبنان، خصوصا في الفقه، وعلوم الشريعة، ولكنهم كانت تعوزهم الصفات المؤهلة للعمل، وكانوا متأثرين ببيئتهم، تابعين لأمرائهم [3]، ما يعني أن سطوة الحكم و الإمارة في نجد تفرض على الفقهاء و العلماء ، لزوم الصمت في الدعوة

---

[1]- الحسين أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال، دار الجبل ، بيروت، ط2 ، 1988 ،ج 2 ،ص 160 .

[2]- خالد بن محمد الفرج : الخبر والعيان في تاريخ نجد،تحقيق:عبد الرحمن بن عبد الله الشقير،مكتبة العبيكان،ط 1،المملكة العربية السعودية،ط1 ،1421هـ، ص 149 .

[3] - خالد بن محمد الفرج : المرجع السابق،ص 160 .

و تجنب الخوض في مختلف أبواب العلم الشرعي التي من شأنها أن تنكر على أمراء نجد ضلالهم و انحرافهم .

و كانت الحركة الوهابية في جوهرها معادية للدولة العثمانية فهي من الناحية الفكرية العقدية، تعادي فكرة الدولة العثمانية ،التي احتضنت البدع والخرافات والشعوذة التي شوهت جوهر الإسلام الصافي النقي [1]، وقد كان صراعها السياسي ضد التخلف العثماني مؤسسا في البداية على الجانب الفكري ، ذلك أن المنهج الذي جاء به ابن عبد الوهاب عمل على تجديد عقائد الإسلام الدينية، وتحرير الضمير المسلم من كل ما يشوبه من بدع وضلالات فكرية غطت بركامها الغريب على جوهر الإسلام حتى كادت أن تطمس أعظم ما يتميز به هذا الدين، وهو نقاء التوحيد و صفاؤه ، وهذا الركام الوافد من البدع و الخرافات كان يومئذ يمثل قسمة من قسمات الفكرة العثمانية.

والذين يراجعون سيل الكتب، التي صنفت يومئذ للرد على الوهابية وعلى ظهور دعوة محمد ابن عبد الوهاب يدركون جيدا الصراع الرئيسي بين الخلافة العثمانية و الوهابية، و أن هذا الصراع السياسي لم يكن حول الحكم، والخلافة بقدر ما هو نتاج للانحراف الفكري و العقدي [2] ،فقد كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب ، دعوة تهدف إلى إصلاح حال الأمة الإسلامية و تجديد الدين الإسلامي و إرساء قواعد الشريعة في حياة الناس ،و محاربة كل ما من شأنه أن يشيع الفساد و ينشر البدع ،بدءا بزعماء القبائل النجدية و أتباعهم، وانتهاء إلى الدولة العثمانية التي نخرها الفساد، وهدمها الانحراف ،إذن فالغاية المقصودة من إعلان القطيعة و النكران على الدولة العثمانية و خلفائها ، هو بمثابة رسالة ابتكار و رفض لما تم شيوعه و انتشاره في الدول الإسلامية التابعة للخلافة العثمانية من انزلاقات و خروج عن مقصد العقيدة و الشريعة التي جاءت بها رسالة محمد صلى الله عليه و سلم، وإذا كان الحاكم أو السلطات قد أذن لذلك الأمر بالاستفحال ، و لم يظهر برائته منه ، هذا إن لم يكن وسيلة فعالة لتفشيه وانتشاره ، فإنه و إحقاقا لإنكار المنكر و رفضه ، و الدعوة

[1] – محمد بن عبد الله بن يوسف:مرجع سابق، ص 39 .

[2] –محمد عمارة: الصحوة الإسلامية و التصدي الحضاري، دار الشروق ، مصر، ط2 ، 1997 ،ص 21 .

كذلك إلى مقاطعة تلك المنكرات ، فقد لجأ ابن عبد الوهاب إلى الإعلان بأن الطريقة المثلى لوأد المنكرات والضلالات الفكرية و العملية هو الإفصاح عن حرمتها و تبيان الأدلة في ذلك، ثم الإنكار على أهلها ،و عدم الانصياع لكل من يدعو إليها ، ذلك أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [1].

ومن أسباب عدم خضوع نجد للنفوذ العثماني « عدم تركيز اهتمام الدولة العثمانية على هذا الإقليم حيث أن منطقة نجد لم تكن تمثل للدولة العثمانية أي أهمية اقتصادية أو سياسية أو دينية و لذلك لوحظ أن الدولة العثمانية ركزت جل اهتماماتها – في تلك الفترة –على الحجاز حيث الأماكن المقدسة ،وعلى السواحل الشرقية و الغربية خاصة بعد تصديها لحملات البرتغاليين .

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك محاولات لبسط النفوذ على هذا المنطقة ، منها محاولات أشراف الحجاز ،وبني خالد– حكام الأحساء–، إلا أن جميع تلك المحاولات لم تصل إلى درجة بسط النفوذ، والاستيلاء على نجد [2]، ولم تسفر سلطة الأشراف السياسية التي يبدو أنها جاءت إلى نجد عن طريق قوة آل أبي نمي، وكذلك عن طريق النمو الاقتصادي والرخاء الذي شهدته نجد خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور محمد بن عبد الوهاب، وكذلك أثناء فترة حياته،عن أي تغيير في نظام السياسة بإقليم نجد وضواحيها،فتركت البلدات والمستوطنات والجماعات القبيلة وحدها لتحكم نفسها بنفسها، كما كان الحال من قبل ظهور الدولة العثمانية ،و بهذا لم تتم أي محاولة لإيقاف أو منع الحروب الثائرة بين مختلف البلدات و القبائل أو لحماية عامة الناس المستقرين من البدو ، أو لضمان سلامة الطرق و كلها واجبات أساسية تقع على كاهل الحاكم و لم يتكفل بها السلطان العثماني في يوم من الأيام بإقليم نجد ، و لا حتى عن طريق الأشراف [3] .

---

[1] –الحسن ابن الفراء البغوي : شرح السنة ، تحقيق: شعيب الأرناؤط،المكتب الإسلامي للنشر،ط 2، دمشق 1983 ، حديث صحيح رقم 2455.

[2] – عبد الله الصالح العثيمين : بحوث و تعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ،مرجع سابق،ص 7 –72.

[3] عويضة بن مترياك الجهني، مرجع سابق، ص251.

وكل هذه المعطيات و المؤشرات توحي بأن محمد بن عبد الوهاب بقي ملتزما بمبادئ السياسة الشرعية في تعامله مع الخلافة العثمانية، ومع ولاتها – أشراف مكة –، وهي عدم الخروج على طاعتهم و عدم منازعتهم في سلطانهم وحكمهم ، ذلك أن الإقليم الذي ظهرت فيه دعوة محمد بن عبد الوهاب، وانتشرت إلى ضواحيه من أقاليم و بلاد أخرى ، هي في واقع الأمر لم تكن يوما تحت لواء حاكم و لا خليفة من خلفاء الدولة العثمانية بل هي قبائل متفرقة ، يسودها النظام القبلي و يحكمها الدستور العرفي ، "والدولة العثمانية رغم أن مناطق نفوذها قد أحاطت نجد من أغلب جهاتها ، إلا أن بلاد نجد لم تشهد خلال هذه الفترة ولاة عثمانيين و لا حامية تركية [1] "."أي أن نجدا لم تشهد نفوذا عثمانيا مباشرا في فترة ظهور محمد بن عبد الوهاب و ما ورد من أن بعض أئمة المساجد النجديين كانوا حينذاك يمجدون السلطان العثماني أو يدعون له في الخطبة ، ربما كان سببه ما يكنه السنة عامة من مشاعر طيبة تجاه السلطان العثماني "[2].

وخلاصة القول، فإن نجدا لم تبرح محتفظة باستقلالها و حريتها، وأن نجد أثناء فترة ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب كانت خارج دائرة حساب الدولة العثمانية ، و لم تخضع لأي حكم، ولا سلطان، بل كانت في عداد المناطق الخارجة عن النفوذ العثماني، و التي لم يكن يحسب لها أي حساب ، فلا يرجى نفعها و لا يخشى من كيدها " وكانت الجزيرة العربية في حالة سياسية مضطربة تسودها الفوضى، وكانت تلك الحالة أشبه ما كانت عليه في عصر الجاهلية بل إنها كانت أشد، ولم تكن هناك إمارة يحترمها الجميع فينضوون تحت لوائها، بل إنه كان كل حاكم يسوس إمارة، ويتصرف فيها كما يشاء، فقد كان بشرقي نجد مثلا إمارة متسعة من قطر إلى الكويت طولا، ومن خليج فارس إلى الدهناء عرضا ،وهي امارة آل حميد من بني خالد، ولم يكونوا يصلحون للسياسة والإمارة ،فهم رغم تملكهم للأحساء قرنا ونيفا إلا أنهم بدو جفاة ليسوا بأهل للسياسة والحكم [3] "،

---

[1]– عبد الله الصالح: بحوث و تعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية،مرجع سابق،ص 13 .

[2]– عبد الله الصالح العثيمين: بحوث و تعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية،مرجع سابق ،ص 39 .

[3]–خالد بن محمد الفرج:الخبر والعيان في تاريخ نجد،تحقيق:عبد الرحمن بن عبد الله الشقير،مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية،ط1 ،1421هـ،ص50.

وهذه الإمارة وهي تتواجد بمنطقة الأحساء بنجد كانت تعبر عن غياب معايير الكفاءة في تحديد أمراء الأقاليم، وتعتبر القوة والسطوة أهم معايير الحكم والرياسة، وأن البطش وكثرة العصبة من يقرر الجل الذي سيجلس على عرش الإمارة.

ومن الأوضاع السياسية السائدة في نجد في ذلك الزمن أيضا ماشهدته المنطقة من " انتزاع آل حنيحن منطقة الدواسر من 1015هـ / 1606 م، وأخذ منطقة الحريق من قبل قبيلة سبيع سنة 1041 هـ /1630 م [1]"، وكانت هذه الشقاقات والصراعات بين القبائل وعدم اتخاذها في لواء إمارة واحدة سبب في صرف الأعين والأنظار العثمانية عن هذه الأقاليم والضواحي، وما كاد يحل القرن الثاني عشر الهجري حتى انتشرت الفوضى في نجد، وعم الانقسام وتوسعت الفرقة، وتفرقت الكلمة وتعددت الإمارات والمشيخات فكانت الإمارة في العينية لآل معمر يقوم عليها الأمير عثمان بن محمد ،وفي الدرعية لآل سعود يقوم عليها الأمير محمد بن سعود ،وفي الرياض لآل دواس يقوم عليها الأمير دهام بن دواس ،وفي الأحساء لبني خالد، وفي نجران لآل هزال، وفي حائل لآل علي، اضافة إلى وجود عدة إمارات ومشيخات صغرى في غربي نجد، وفي وادي الدواسر ،وفي قحطان".[2]

وقد كان التقسيم الإقليمي لنجد وضواحيها على النحو التالي :

" –عنيزة – في شمال نجد : يشمل قرى حائل وقفار وأحسن بلدانه حائل –

–ناحية القصيم، وبه بلدتان مشهورتان هما عنيزة وبريدة وهما كانتا لآل سليم.

–ناحية السدير من أشهر مناطقهما : جلاجل و التويم.

–ناحية المحمل : من أشهر مناطقها:أشيقر،.وثرمدة.

–ناحية العارض : وهو المسمى بوادي حنيفة وباليمامة أيضا كان مركز إمارة ابن سعود على كافة نجد في الحاضرة والبادية،ومن أشهر مناطقه الدرعية مقر الإمارة قبل الانتقال إلى الرياض ومن مناطقه أيضا حريملة أو حريملاء والعينة، والخرج.

---

[1] – إبراهيم بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد،دار اليمامة ،المملكة السعودية،ط1386،1هـ،ص63.

[2] حسين خلف الشيخ خزعل:حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،مرجع سابق،ص43.

-ناحية الأفلاج:من قبيلة الدواسر[1].

وقد خاضت إمارة الدرعية حروبا مريرة مع إمارات إقليم نجد دامت أكثر من أربعين عاما، ولم تخل مدينة أو قرية في نجد كلها إلا ودخلت مع آل سعود في حرب[2].

ولم يستتب الأمر لآل سعود بقيادة أميرهم محمد بن سعود في توحيد إمارة وإقليم نجد إلا بعده خضوع الدرعية وأميرها عثمان بن معمر وإعلانه الولاء لمحمد بن سعود، وحتى بعد ثبوت خيانته لعهود ومواثيق أبرمها مع محمد بن سعود إلا أن هذا الأخير كان في موقف استطاع من خلاله وأد تحالفات عثمان بن معمر الذي لقي حتفه بعد عقده اتفاقيات مع خصوم محمد بن سعود [3]. ثم "ضم الأمير محمد بن سعود حريملاء، وحتى مع وجود بعض المحاولات في رفض إمارة محمد بن سعود من قبل شيخ حريملاء ،وبإيعاز من سليمان بن عبد الوهاب إلا أن الدرعية إمارة محمد بن سعود تصدت لتلك المحاولات وأفسدت كل المخططات الرامية إلى الاستقلال عن الدرعية[4]".

وأذعنت حريملاء لمحمد بن سعود سنة هـ 1168، وأما الرياض التي كان يحكمها" دهام بن دواس فقد لاقى محمد بن مسعود من صاحبها عداء شديدا ونفورا من دعوة محمد بن عبد الوهاب ،رغم سابقة محمد بن سعود وفضله على دهام بن دواس في حمايته من بني عمومته وتدعيمه له، لتخضع له إمارة الرياض دون أن ينازع فيها أحد، فقد اعترض على ابن سعود ورفض الدخول تحت سلطته وشهد هذا الرفض معارك كثيرة مثل موقعة العمارية[5] ووقعة العبيد[6].

---

[1] محمود شكري الألوسي:مرجع سابق،،ص36.

[2] مديحة أحمد درويش:تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين،دارالشروق،المملكة السعودية،ط1980،1م،ص25.

[3] عثمان بن عبد الله ابن بشر:مرجع سابق،ص70.

[4] مديحة أحمد درويش:المرجع سابق،ص28.

[5] العمارية:قرية تابعة للدرعية،شهدت معركة وقعت بين محمد بن سعود وبين دهام بن دواس صاحب الرياض.

[6] سميت بالعبيد لأن أكثر ضحايا هذه المعركة من العبيد وهي معركة وقعت بين ابن سعود وابن دهام.

لم تكن إمارة الدرعية بداية أمرها قادرة على ضم منطقة الأحساء نتيجة لقوة هذه الأخيرة ، بل اكتفت بصد هجمات آل خالد – أمراء الأحساء – عليها وعلى البلاد التابعة لها، ولم يستتب لها الأمر إلا بعد بسط دولة سعود نفوذها بقيادة الأمير محمد بن سعود في إقليم نجد، وكذا تناحر أمراء الأحساء وتقاتلهم على الملك، وعلى من يحكم إمارة الأحساء[1]".

"وتوالت الهجمات بعدها تترى ، ولم تتوقف الصراعات بموت أي أمير من أمراء الدرعية بل كان خلفاء محمد بن سعود من بعده قد حملوا على عاتقهم إتمام الهدف الذي سطره ابن سعود في ضم نجد والحجاز لآل سعود، وكانت عمليات آل سعود العسكرية ضد الأحساء متواصلة، وفي سنة (1208هـ- 1792 م) هزموا بني خالد، ولم يجد أميرهم أمير بني خالد- من حل سوى الدخول في طاعة آل سعود وتم ضم الأحساء لإمارة الدرعية.

"ولم تسلم الهجمات التي كان يشنها محمد بن سعود من الهزائم والانكسارات ،ففي سنة 1178هـ، انهزم جيش الدرعية في مواجهة العجمان –وهم أمراء نجران- وقتل خلالها خمسمائة رجل من جيش الدرعية أغلبهم من البدو، وهزموا هزيمة نكراء سارع بعدها محمد بن سعود إلى إبرام الصلح مع حاكم نجران وقدم له بعض التنازلات والهدايا"[(2)]

فالسلطة إذن لم تستقر لآل سعود إلا بعد صراع أجيال من أمراء وأحفاد ابن سعود مع أمراء ضواحي نجد، بدأها مؤسس الدولة والإمارة محمد بن سعود بقتال الشيوخ والأمراء، وعقد الصلح وأبرم العهود والاتفاقيات مع بعضهم، وأتم الحملات العسكرية والعهود والمواثيق من بعده أمراء الدرعية و استطاع محمد بن سعود ومن بعده من أمراء الدرعية توحيد أجزاء كثيرة من نجد، بل إنهم قاموا بتوحيد نجد كلها وتم ضمها تحت اسم دولة المملكة العربية السعودية بعد أن كانت عبارة عن قطع وبلدات متنافرة يسودها الفوضى والاضطراب .

الأشراف الدولة العثمانية:

[1] مديحة أحمد درويش:المرجع سابق،ص34.

[(2)] عثمان بن عبد الله ابن بشر:مرجع سابق،ص95.

صحيح أن الحجاز انضمت بشكل رسمي إلى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول وبادر من خلال ذلك الشيخ شريف مكة أبو نمي بإرسال مفاتيح الحرمين إلى السلطان سليم معلنا له الولاء والطاعة [1] . غير أن إقليم نجد لم يعرف للنفوذ العثماني تواجدا، ولم يمتد سلطان الدولة العثمانية إلى نجد ولا إلى ضواحيها [2]"، نظرا لتفرق إقليم نجد إلى قبائل وأسر، وانتشار أهلها بين البادية والحضر، إضافة إلى اتساع هذا الإقليم وشساعته، كما نلاحظ أيضا غياب الدافع الاقتصادي الذي كان من شأنه أن يشجع الدولة العثمانية على ضم نجد إلى سلطانها، ثم إن أهالي نجد كانوا يدينون بدين الإسلام الذي هو طبعا دين العثمانيين، فلم يكن العثمانيون بحاجة إلى الدخول لبلاد نجد بحجة نشر الدين الإسلامي، وأما ما تعلق بالحرمين الشريفين مكة والمدينة فذلك مرده إلى المكانة المقدسة التي تحظى بها هاتين المنطقتين في نفوس المسلمين عامة، وضمهما للدولة العثمانية يجعل من هذه الدولة وريثة للدول الإسلامية السابقة كالعباسية والأموية . في التربع على عرش الخلافة الإسلامية،. ثم إن ضم مكة والمدينة إلى الدولة العثمانية كان شكليا ،ذلك أن الحكم في الحجاز كان لعائلة تسمى الأشراف، وهي أسرة تدعي بلوغ نسبها إلى آل البيت، وكانت تحكم الحجاز تحت لواء الدولة العثمانية،ومع انهيار السلالة الجبرية الحاكمة ظهرت أسرة حاكمة جديدة، وهي أسرة آل أبي نمي التي كانت تلقب بالأشراف [3] " وقد كان نشاط شريف مكة في نجد ذلك العصر يقتصر على جمع الأتاوات والضرائب، وقد يلجأون في بعض الأحيان إلى ترتيب حملات على نجد قصد هذا الغرض.[4]

كما كان يحظى الأشراف بامتيازات خاصة من الحجاز ونجد، وكانوا يجدون كذلك نفس الامتيازات أو أكثر من السلطة العثمانية كون نسبهم ينتهي إلى بيت النبوة، وأن السلاطين العثمانيين

---

[1] قدوري قلعجي:الخليج العربي،دار الكتاب العربي ،بيروت،د.ط ،1385هـ،ص272.

[2] منير العجلاني:تاريخ البلاد العربية السعودية،دار الشبل ،المملكة العربية السعودية،ط2،1993م،ج1،ص27.

[3] عبد المالك بن حسين المكي:سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،تحقيق:محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ،القاهرة،د.ت،ج4،ص279.

[4] عويضة بن متريك الجهني، مرجع سابق،ص246.

كانوا يفتخرون بخدمة بيت الله الحرام والتلطف مع أشراف مكة وأحفاد النبي صلى الله عليه وسلم كما وصف الأشراف أنفسهم بذلك.

"ولم تسفر سلطة الأشراف السياسية التي يبدو أنها جاءت إلى نجد عن طريق قوة آل ابن نمي عن أي تغيير في نظام الدولة السياسي، وقد تركت البلدان والجماعات القبلية وحدها، لتحكم نفسها بنفسها . كما كان الحال من قبل ولم تتم أي محاولة لإيقاف أو منع الحروب الثائرة بين مختلف القبائل والبلدات، أو لحماية عامة الناس المستقرين من البدو، ولم تحمل على عاتقها سلامة الطرق في تلك الضواحي أو القيام بأي واجب من واجبات الحاكم على أقاليم دولته وسلطاته[1]" .

وهذا ما يوضح وبشكل جلي استقلالية إقليم نجد وضواحيه عن الدولة العثمانية وحتى عن مندوبيها في الحجاز والمتمثلين في الأشراف . ولم يتم فرض الانضواء تحت علم السلطة العثمانية على مشايخ ورؤساء قبائل نجد، ولم يكن غرض الأشراف من بعض الحملات على نجد سوى جمع الأموال والحصول على الإتاوات.

بينما يرجع الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن قيام الدولة السعودية كان قد بدأ منذ اتفاق الدرعية الذي جرى بين محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، وكان قائما على ضمان محمد بن سعود لمحمد بن عبد الوهاب النصرة والحماية ونشر الدعوة في ربوع نجد أولا ثم في ربوع الجزيرة ثانيا، وأن تكون الإمامة والخلافة في الدين لمحمد بن عبد الوهاب وذريته من بعده، على أن تتم البيعة والإمامة الكبرى لمحمد بن سعود وذريته من بعده[2] .

وهكذا تم الاتفاق بين الطرفين وكان ذلك بمثابة وضع الحجر الأساس لنظام سياسي جديد سيحكم منطقة نجد والحجاز، وسيسمى بالدولة أو المملكة العربية السعودية نسبة إلى والد الأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية ومؤسس الدولة الجديدة .

---

[1] عويضة بن متريك الجهني، مرجع سابق:ص249.

[2] عبد الفتاح حسن أبو عيلة:محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى،دار المريخ ،المملكة العربية السعودية،ط 2،1411هـ-1999م،ص21.

المطلب الثاني:حياة محمد بن عبد الوهاب :

-المولد والنسب:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن وهب التميمي النجدي، ولد سنة م خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية 1115هـ، الموافق لسنة 1703م، في بلدة العيينة إحدى البلدان النجدية .[1].

كان جده سليمان بن علي التميمي رجلا فاضلا كريما، تولى منصب الفتوى في نجد ودرس علمي التفسير والحديث . كان ينفق من ماله الخاص على طلبته، وكان بيته مقصد للفقراء وذوي الحاجات[2]، ووالده عبد الوهاب بن سليمان كان قاضيا في العينية زمن إمارة عبد الله بن محمد بن معمر، وقد كان فقيها أيضا .[3]

ووالدته هي إحدى بنات الشيخ محمد بن عزاز أحمد علماء أشيقر في نجد، وأخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كان قاضيا في حريملاء، وله عدة مؤلفات [4].

له من الأولاد ستة ذكور : حسن،حسين، عبد الله ،علي ،إبراهيم وعبد العزيز وابنتين هما شائعة وهيا ،مات عبد العزيز وحسن في حياة أبيهما، وخلفه الأربعة الباقون من بعده في القضاء والفتيا ونشر العلم والدعوة[5] .

---

[1] احسين بن أبي بكر ابن غنام ،مرجع سابق،ص208.

[2] أمين الريحاني: مرجع سابق ،ص26.

[3] محمود شكري الألوسي:تاريخ نجد،ص148.

[4] صالح العثمان القاضي:تاريخ عبد الرحمن الصالح البسام،دار العاصمة ،المملكة السعودية،ط 1،1419هـ، ج1،ص329.

[5] المرجع نفسه: ج3ص60.

-التكوين :

كان أول مابدأ به محمد بن عبد الوهاب أثناء نشوئه في بلدته – العينية – أن درس على القاضي – عبد الوهاب بن سليمان – الفقه، الحنبلي – وكان في صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث [1]"، حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه عشر سنوات، تقدم للصلاة والإمامة في سن الثانية عشر، وتزوج في ذلك العام أيضا[2].

أدى فريضة الحج وأقام شهرين في المدينة المنورة ثم رجع إلى العينية واشتغل في طلب العلم على والده، ونسخ الكتب العلمية والمذكرات وكان يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كتابا من غير سآمة ولانصب ولا التباس [3]، وقد كانت أول رحلاته خارج بلدته– العيينة –هي زيارة بلد الله الحرام وكان ذلك حوالي عام 1127 هـ ،وبعد انقضاء الحج سار إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما وصلها وجد فيها الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف، فأخذ عنه ابن عبد الوهاب وأجازه عبد الله بن إبراهيم من طريقتين، ثم أخذه بعدها إلى الشيخ محمد حياة السندي

فأخذ عليه الحديث وعلومه[4] '.ويروي محمد بن عبد الوهاب عن شيخه عبد الله بن إبراهيم بن سيف أنه كان عنده يوما فقال له : تريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة ، قلت نعم فأدخلني إلى منزل فيه كتب كثيرة، وقال : هذا الذي أعددناه لهم [5] ويقصد بذلك العلم ،" ثم حل بمدينة البصرة بالعراق، واجتمع بأحد علمائها الأجلاء الشيخ محمد المجموعي ،ونزل في مدرسته الواقعة في المجمعة (وهي إحدى محلات البصرة الشهيرة) ،ولم يعرف نفسه لأحد، ولم يظهر إلا بمظهر طالب علم بسيط، وصار يثابر على الدرس بجد ونشاط [6] ، وسمع الحديث والفقه عن جماعة كثيرة بالبصرة، وقرأ

---

[1] عثمان بن عبد الله ابن بشر:مرجع سابق ،ج1،ص33.

[2] أمين الريحاني:مرجع سابق،ص27.

[3] احسين بن أبي بكر ابن غنام:مرجع سابق،ص210.

[4] عثمان بن عبد الله ابن بشر:مرجع سابق ،ص35.

[5] المرجع نفسه،35.

[6] حسين خلف الشيخ خزعل:حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب،ص60.

بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة [1] ، ثم عرفه تجار نجد فأذاعوا خبره وعلم الناس علمه وفضله فنصب له كرسي ليحاضر في الناس ويعلمهم [2]، إلا أن الكثير من أعيان البصرة ورؤسائها لم يرق لهم ما جاء به محمد بن عبد الوهاب وأنكروا عليه لما في ذلك من خطر على مصالحهم وما فيه أيضا من تهديد لمكانتهم، فبالغوا في أذية محمد بن عبد الوهاب، حتى قرر مغادرة البصرة والعودة إلى بلدته [3] ، وفي طريق العودة مر بمدينة الأحساء ونزل فيها عند الشيخ عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي ثم اتجه منها إلى بلدة حريملاء والتي انتقل إليها والده بعد أن كان ببلدته العيينة سنة تسع وثلاثين ومائة [(4)]." فجاهر بدعوته وأنكر بعض البدع والعادات التي كانت يمارسها أهالي حريملاء فلاقى من الأذى والكرب ما جعل من حريملاء لا تصلح لأن تبقى بذات مقام ،فانتقل إلى العينية وكان أميرها في ذلك الوقت عثمان بن حمد بن معمر، فرحب به وأكرمه، وتزوج في العينية من الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، وهدم القباب، وأمر بقطع الأشجار التي كان يقدسها أهالي العينية : فقامت قائمة سدنة القبور، وهاج أصحاب المنافع الرخيصة وأغروا به قائدا الأحساء سليمان بن محمد، فكتب هذا الأخير إلى عثمان بن معمر يهدده بقطع خراجه الذي كان يرسله له إن لم يتخلص من محمد بن عبد الوهاب، فأطاعه في ذلك وطرد محمد بن عبد الوهاب من العينية ،ولم يتعرض له بالأذى ،ولم يأمر بقتله [5] ، ومع كل هذا النفور النفور الذي وجده محمد بن عبد الوهاب، والمخاطر التي كانت تحيط بالدعوة التي كان يجاهر بها، إلا أنه لم يستسلم لتلك التهديدات، ولم يأبه بأصحابها بل كانت عزائمه تزداد مع كل أذية يتلاقاها، فها هو الآن يسير إلى الدرعية، ويقصد بيت محمد بن سويلم العريني، وقد كان الأمر في أوله سترا، حتى بدأ أهالي الدرعية يتناقلون شأن محمد بن عبد الوهاب، وبلغ خبره إلى بيت الأمير محمد بن سعود

---

[1] حسين بن أبي بكر ابن غنام:مرجع سابق،ص212.

[2] حسين خلف الشيخ خزعل:حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب،مرجع سابق،ص61.

[3] أحمد بن عطية عبد الرحمن:دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،-رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الدعوة و أصول الدين،جامعة أم القرى،،المملكة العربية السعودية،1402هـ/1982م،ص32.

[(4)] حسين بن أبي بكر ابن غنام:مرجع سابق،ص31.

[5] عبد الرحمن عميرة:بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب،مرجع سابق،ج2،ص37.

الذي استثارت فيه شيمته العربية وكرمه في قبول لاجئ إلى بلدته وعقد معاهدة بينه وبين محمد بن عبد الوهاب تنص على نصرة صاحب الدرعية لابن عبد الوهاب على أن ينقر هذا الأمير في بلدة العينية[1].

-إن رحلات ابن عبد الوهاب إلى الشام كان غالب مصادرها غير صحيحة، وقد ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق لكن الحقيقة أن ابن عبد الوهاب لم يجد فرصة لتجاوز البصرة ،ولا نجد دليلا على سفره إلى بغداد أو الشام أو مصر وحتى أصفهان كما يدعيه بعض المؤلفين[2].

المطلب الثالث الوفاة والآثار:

-الوفاة:

بعد قرابة ثلاثة وخمسين عاما قضاها الإمام محمد بن عبد الوهاب في الاحتساب انسلت روحه الأبية من جسده المنهك [3]،ويذكر ابن بشير أنه كان قد ثقل في آخر عمره، فكان يخرج لصلاة الجماعة منهكا ،حتى صعدت روحه إلى باريها يوم الاثنين آخر ذي القعدة سنة ست بعد المائتين والألف 1206 هـ وله من العمر نحو اثنين وتسعين سنة[4].

- الآثار:

1-كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد : وقد كان من أول مؤلفات ابن عبد الوهاب وكان غرض الشيخ من تأليف هذا الكتاب توضيح مفهوم التوحيد والشرك وما يتعلق بهما [5] وقد كثرت المراجع حول هذا التأليف، وكتب حوله الكثير من التعليقات والشروحات، ويوجد كتاب

---

[1] محمد الفهد العيسى:الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى،تقد:حمد الجاسر،مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية،ط1،1425هـ/1995م،ص48.

[2] مسعود الندوي:محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،تقد:محمد تقي الدين الهلالي،شؤون المطبوعات بوزارة الشؤون الإسلامية ، المملكة العربية السعودية،ط1،1420هـ،ص42.

[3] مرفت كامل:مرجع سابق،ص126.

[4] احسين بن أبي بكر ابن غنام ،مرجع سابق،ص50.

[5] عبد الله الصالح العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ،مرجع سابق ،ص74.

التوحيد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم 465/ 86 . وكذا بمكتبة عبد الله الإبراهيم التويجري[1]

2-كشف الشبهات وقد جاء هذا التأليف كرد للشبهات التي أثيرت حول تأليف كتاب التوحيد، وحمل أجوبة لكثير من التساؤلات التي طرحت حول كتاب التوحيد[2] .

3-كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: ويوجد له مخطوطتان في المكتبة السعودية بالرياض إحداهما بخط الشيخ سليمان بن عبد الرحمان بن حمدان تحت رقم 518/ 86.

4-كتاب مختصر زاد المعاد لابن القيم ."

5-كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .

6-مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد :تم تأليفه كرد على تأليف " فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب والمطبوع باسم " الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية لسليمان بن عبد الوهاب[3]".

7-الأصول الثلاثة وأدلتها .

8-كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

9-آداب المشي إلى الصلاة : وهو لم يقتصر على آداب المشي إلى الصلاة بل تعداه إلى عشرين بابا في الصلاة والزكاة والصيام فذكر في أوله آداب المشي إلى الصلاة ،ثم باب صفة الصلاة وبعض الصلوات مثل صلاة الجمعة، وصلاة الكسوف، وصلاة الجنائز، وذكر في الكتاب الثاني أو الباب الثاني الزكاة على أنواعها مثل زكاة الأنعام ،والنقد و....، وختم تأليفه بأحكام الصلاة وذكر فيها شروطها وأركانها ومبطلاتها و-آداب المشي إلى الصلاة- يعتبر كتيبا صغيرا يحتوي ثمان وخمسين صفحة.

---

[1] عبد الله الصالح العثيمين:الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره،مرجع سابق ،ص77.

[2] المرجع نفسه،ص78

[3] المرجع نفسه،ص79.

10 مختصر الإنصاف والشرح الكبير : وقد قام بتصحيحه وتحقيقه الشيخ عبد العزيز الرومي والشيخ صالح بن محمد الحسن . وهو كتاب فقهي يحتوي على أبواب متعددة في الصلاة والطهارة والزكاة والجهاد والبيوع والوصية والنكاح.

- مختصر تفسير سورة الأنفال
- كتاب أصول الإيمان.
- كتاب فضائل القرآن.

ولابن عبد الوهاب مجموعة من الرسائل التي بعثها إلى الخاصة والعامة من العلماء وغيرهم داخل نجد وخارجها،وتم جمع هذه الرسائل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في كتاب واحد بلغ مجموعها إحدى وخمسين رسالة – في ثلاث مائة وثلاث وعشرين صفحة [1] – وله بعض الخطب المنبرية التي تم توثيقها.

شيوخه:

1/عبد الوهاب بن سليمان بن علي : وهو والد محمد بن عبد الوهاب ولد بمدينة العينية وكان والده سليمان بن علي علامة نجد في زمانه ،فنشأ عبد الوهاب بن سليمان في بيت العلم والأدب وقد ربى عبد الوهاب بن سليمان ابنه على حب العلم، وتتلمذ على يديه الابن محمد بن عبد الوهاب ودرس الفقه، وقام بتحفيظه القرآن الكريم ،ودرس عنده العلوم الشرعية الأخرى كالحديث والتفسير[1].

2/عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري : وقد أنشأ جده عبد الله المجمعة عام 1820 هـ، نزح والده إلى المدينة، وولد ابنه عبد الله – شيخ محمد بن عبد الوهاب– بها ، وقرأ على علمائها الواردين إليها، سمع عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب المسلسل بالأولية وأجازه من طريقين توفي عام 1140 م[2].

---

[1] صالح القاضي:تاريخ سليمان الصالح البسام،دار العاصمة ،المملكة العربية السعودية،ط 1 ،1419 هـ، ج4،ص7.

[2] محمد بن عمر الفاخري:تاريخ الفاخري،تحقيق:عبد الله الشبل،مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر،المملكة العربية السعودية،،ط 1 ،1999م،ص134.

3 محمد حياة بن إبراهيم السندي : المدني الحنفي المحدث قرأ على محمد معين ،ثم سكن المدينة المنورة، له تصانيف كثيرة منها شرح الترغيب والترهيب للمنذري في مجلدين وشرح الأربعين النووية ومختصر الزواجر[1].

4/محمد المجموعي : أخذ عنه الحديث والفقه واللغة العربية.[2]

5الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري : ولد بمكة ودفن بها جمع في علم الحديث بين الرواية والدراية، توفي سنة 1134 هـ[3].

[1] عثمان بن عبد الله ابن بشر:مرجع سابق ،ص17. .

[2] محمد بن علي بن محمد السكاكر ،مرجع سابق،ص86 .

[3] المرجع نفسه،ص33.

المبحث الثالث:المقارنة بين الأوضاع السائدة في الجزائر وفي نجد في عصر الشخصيتين.

المطلب الأول :أوجه التشابه.

1- نشأة كل من الشخصيتين في بيئة صعبة، شهدت الكثير من الأحداث والهزات التي كانت بفعل الطبيعة كالمجاعة ،الجفاف، وكذلك الأحداث التي جاءت بفعل البشر كالحروب، والقتل والاعتداء على الأملاك والأراضي.

2-عبرت كل من البيئتين عن تدني، وتواضع المستوى الاقتصادي والمعيشي، واتسام أغلب أفراد المنطقتين بالبساطة في العيش.

3-غياب الاستقرار السياسي في كل من الجزائر ونجد .

4-ظهور محاولات جادة في الجزائر وفي نجد لإحداث التغيير السياسي ،والبحث عن الاستقرار السياسي وطلب الحرية.

5-انتشار بعض العقائد الباطلة، والجهل بالكثير من الأحكام الشرعية في كل من الجزائر ونجد،ولكل من البيئتين أسبابها الخاصة.

6-اعتماد الشخصيتان على التكوين والتحصيل الشرعي في تحصيل المعارف والعلوم، وتمسك كل منهما بالمذهب السائد في بلده.

6- الأثر الواضح للبيئة، والمحيط في تكوين وتنشئة كلا من الشخصيتين .

المطلب الثاني :أوجه الاختلاف .

1-رغم وجود نقاط التلاقي بين الظروف التي عايشها ابن باديس، وتلك التي عاشها عبد الوهاب إلا أن هذا لا يمنع من وجود نقاط افتراق، وتباين بين البيئتين التي نشأ فيها كل من عبد الحميد بن باديس، ومحمد بن عبد الوهاب، وقد كانت بيئة كل واحد منهما معيارا في تكوين، وتفرد كل من الشخصيتين، وتفرد كل واحد منهما بجملة من المميزات عن الشخصية الأخرى، فعبد الحميد ابن باديس نشأ في مدينة قسنطينة بالجزائر ،وكان تكوينه الأولي في جامع الزيتونة، فنشأ إذن

نشأة مغاربية أمازيغية إضافة إلى نباته في موروث استعماري بغيض قام بمحاولة تقسيم كل الركائز العلمية والدينية، والتاريخية للمجتمع الجزائري.

أما نشأة ابن عبد الوهاب فقد كانت في بيئة صحرواية عربية، أحيط من خلالها الابن برعاية الأب، وتلقى فيها التعليم الأولي من قبل الأب نفسه، فقد كان والده عالما أيضا بالعلوم الشرعية، كما أن إقليم نجد لم يكن خاضعا للاستعمار الأجنبي، أو للانتداب العثماني، فقد كانت كل إمارة مستقلة بذاتها.

2-كانت الحياة اليومية لغالب الجزائريين قائمة على الفلاحة، والزراعة والاعتماد على هطول الأمطار، وقوبلت أغلب الأتعاب والثمار التي جناها الفلاحون والشعب الجزائري بالمصادرة من قبل المعمرين، كما كان الفلاحون الجزائريون يستغلون أبشع استغلال من قبل فرنسا.

بينما كانت حياة نجد حياة بدوية لأغلب سكان الإقليم، فكانت حياتهم تقوم على الرعي والاستفادة من ألبان وأجبان وجلود الأنعام التي كانوا يقومون بتربيتها ،وكانوا يعيشون حياة الحرية، والاستقلالية في التصرف بأموالهم وممتلكاتهم، وأما الحضر فكانوا يرتكزون على زراعة النخيل والتجارة الداخلية.

3-كان الخطر الذي يحيط بالمقدسات الدينية في الجزائر من مصدر خارجي، وهو الاحتلال الفرنسي، والمتمثل في حملات التنصير ومنع تدريس العلوم الشرعية، ومحاصرة المشايخ والعلماء.

بينما كان الخطر الذي يحيط بالمقدسات والموروث الديني في نجد وضواحيها من مصدر داخلي تمثل أساسا في الأفكار والمعتقدات التي تبناها بعض أفراد المجتمع النجدي، وزعماؤه ،وحاولوا التمسك بتلك المعتقدات، وعملوا على نشرها، والدفاع عنها كالتضرع إلى المقابر، واتخاذ القباب كمزارات تشد إليها الرحال ويرجي منها النفع ويخشى منها الضرر.

4-اجتماع النخب السياسية في الجزائر وتوحدها لرفض المستعمر،ورفض الأوضاع السياسية في الجزائر بأشكال، وألوان متعددة، اختلفت في الطرح واتفقت في القصد، حتى إننا نجد اجتماعات، وملتقيات تم من خلالها مناقشة مصير الجزائر، والتفاف الجبهات السياسية حول هذا الشأن لرفض

كل الممارسات الشنيعة التي طبقها الاستعمار الفرنسي في حق المجتمع الجزائري والدعوة بطرد الاستعمار.

بينما نجد تناحر وتقاتل القبائل والعشائر، وكثرة الانقلابات الأسر في القبيلة الواحدة للظفر بالإمارة في إقليم نجد، كما نجد أن مساعي زعماء نجد تنحصر في محاولة بسط النفوذ وتوسيع الحكم إلى أقاليم أخرى.

5-الاختلاف الزمني لتواجد كل من الشخصيتين، فالفترة الحديثة أو التاريخ الحديث هو الزمن الذي عاش فيه محمد بن عبد الوهاب والفترة المعاصرة، أو التاريخ المعاصر هو الزمن الذي عاش فيه عبد الحميد بن باديس.

6-التكوين المتنوع الذي تلقاه ابن باديس بين مشايخ، وأساتذة المشرق، ومشايخ وأساتذة المغرب العربي، والتخصصات العلمية التي حظي به ابن باديس من خلال تلقيه العلوم الشرعية المختلفة، الفقه، التفسير، اللغة العربية ....جعل من ابن باديس ينهل، ويأخذ من رحيق كل مدرسة ومن كل تخصص فوائد علمية وعملية جمة.

بينما ركز في جهوده التعليمية ابن عبد الوهاب على مشايخ المشرق العربي من نجد والبصرة والمدينة المنورة، وكذا العدد القليل للأساتذة الذين تلقى على أيديهم ابن عبد الوهاب، قد يخص هو الآخر بميزة مختلفة عن ابن باديس، وهي الاستفادة أكثر من علوم المشايخ، وتفرغه لمطالعة الكتب، وتلقي العلوم على مشايخ الزمن الماضي الذين تركوا إرثا علميا تمثل في الكتب والمجلدات مثل كتب ابن تنمية ،وابن القيم الذين تأثر بهما الشيخ أيما تأثر.

7-نجد الفارق الكرونولوجي لكل شخصية حظيت بها ورزقت بها كل من الشخصيتين، فمحمد بن عبد الوهاب عاش اثنين وتسعين سنة، بينما عاش ابن باديس تسع وخمسين سنة فقط، وبالتالي فالعمر الدعوي لكل من الشخصيتين مختلف ،وباعتبار فارق العمر البيولوجي لكل منهما، فإنه وبالضرورة يكون العمر الدعوي والإصلاحي بينهما مختلفا.

فنجد أن محمد بن عبد الوهاب عاش أزيد من ثلاث وخمسين سنة في مجال التبليغ والإصلاح، بينما عاش ابن باديس ثمان وعشرين سنة في الدعوة و الاصلاح أي بأقل من نحو ثلاثين سنة من

فترة حياة محمد بن عبد الوهاب الدعوية، وذلك باعتبار أن البداية الفعلية للعمل الدعوي لابن باديس كان منذ عودته من جامع الزيتونة، وهو رقم يساوي نصف رقم العمر الدعوي الإصلاحي لابن عبد الوهاب، هذا الفارق الزمني كان عاملا رئيسا في تحديد الفوارق بين دراسة الخطاب الدعوي لعبد الحميد ابن باديس ومحمد بن عبد الوهاب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة:

مثلت الفوارق الواضحة على مستوى الأوضاع السائدة في كل من الجزائر وإقليم نجد، مرحلة هامة مهدت لإفراز وإنجاب شخصيتين دعويتين حملتا مسؤولية الدعوة والإصلاح في كل من المشرق والمغرب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

مضامين الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب

المبحث الأول : مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس:

–المطلب الأول : المضامين الدينية والعقدية.

–المطلب الثاني : المضامين الأخلاقية والتربوية.

–المطلب الثالث : المضامين السياسية.

المبحث الثاني : مضامين الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب:

–المطلب الأول : المضامين الدينية والعقدية.

–المطلب الثاني : المضامين الأخلاقية والتربوية.

–المطلب الثالث : المضامين السياسية.

المبحث الثالث:المقارنة بين مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد ابن عبد الوهاب.

–المطلب الأول : أوجه التشابه.

–المطلب الثاني : أوجه الاختلاف.

– خلاصة .

إن الخطاب الدعوي يرتكز على مضامين تشمل الشق الديني والشق الدنيوي ، والداعية يعمل على ترتيب أولويات مضامين الخطاب حسب الأهمية والضرورة التي يقتضيها الواقع المعيش في وسط المدعوين ، وحسب الاحتياجات الدينية والدنيوية للمجتمع.

وقد تمر الأمة الإسلامية بحالة من الركود والضعف لسبب من الأسباب يؤدي بها إلى إلحاق الضرر بالدين والعقيدة ،وبالأخلاق والتربية ،والنظم السياسة ،فيتوجب على النخب والدعاة حينئذ تكثيف الجهود ،وضبط المضامين الرسالية لحفظ الدين والمجتمع و في هذا الفصل سنتعرض لمختلف مضامين الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد ابن باديس و محمد ابن عبد الوهاب .

-المبحث الأول : مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد ابن باديس.

-المطلب الأول : المضامين الدينية والعقدية:

لقد كانت أسس الحياة الدعوية لابن باديس ودعائمها قائمة على تلقين العلوم الشرعية عبادات ومعاملات وعقائد، واهتم ابن باديس في خطاباته الدعوية بتعليم أبناء وبنات الجزائر دينهم ، فراح يضع المناهج، والبرامج على مستوى المؤسسات الدينية والتعليمية وجعلها في خدمة الإسلام، وإفشاء تعاليم وأصول الدين والعقيدة بين عامة الجزائريين، وخاصتهم من أهم ما تضمنه الخطاب العقدي والديني لابن باديس مايلي :

أولا: القرآن الكريم :

يعتبر القرآن الكريم دستور الأمة الخالد، تعهده الله بالصون والحفظ، من خصائصه الشمولية، فهو صالح لكل الأزمنة والعصور، وهو منهج الأمة الخالد، ومرجع الدعاة والعلماء في تأسيس المناهج الدعوية انطلاقا من مضامين القرآن الكريم ،هذا الكتاب الذي يمثل ميثاق الأمة، وترياقها من كل السموم الفكرية والبدع والضلالات التي من شأنها أن تهز كيان الفرد المسلم وتفتنه في دينه وخُلقه، وعليه فقد التزم المصلحون من هذه الأمة بالغور في أسرار القرآن الكريم ، والتنقيب عن الدرر التي احتواها كتاب الله، ثم العمل على معرفة خباياها واستكشاف أسرارها في محاولة منهم

لتبسيطها وتعليمها لعامة الناس، قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ **ال عمران: 7**، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن تفسير الآية السابقة« وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ » هي: أن الراسخين في العلم يعلمون من بعد الله جل ثناؤه تأويل القرآن الكريم لما لهم من قدرات على الفهم والإدراك، وأنهم مع علمهم بذلك أي بتأويل القرآن فإنهم يؤمنون بأن القرآن الكريم منزل من عند الله[1] .

فيكون معنى الآية « وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ »هو اجتماع المعرفة والعلم بأسرار و تأويل القرآن للراسخين في العلم. ثم اقتران ذلك العلم والإدراك بمفهوم آخر وهو مفهوم الإيمان والاعتقاد بأمر غيبي، وهو أن هذا القرآن وما يحمله من أسرار ما هو إلا كلام رب العالمين.

فالعلم والفهم الصحيح لمعاني القرآن الكريم يمكنان الداعية والعالم من الأخذ بما جاء به الوحي من مضامين وتعليمها للناس لكي يعملوا بها وتكون لهم دليلا ومرشدا في أمور دينهم ودنياهم، وحظي باعتناء علماء أمة الإسلام سلفها وخلفها ، فاستقوا منه الأحكام والآداب .

ومع ما أخذ عبد الحميد بن باديس من علوم التفاسير في القرآن الكريم، أثناء مرحلة تعليمه بجامع الزيتونة وبالمشرق العربي وكذا ما حصله وتعلمه من خلال اجتهاداته الفردية، كاطلاعه على الكثير من كتب التفسير والشروحات اللغوية، وكذا كتب التاريخ ، وما حوته من تفسير وبيان للقرآن

[1]– من بين المفسرين الذين أرجعوا علم التأويل إلى الله و الراسخون في العلم هم: الطبري في تفسيره تفسيرهلسورة آل عمران ،أنظر محمد بن يزيد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن تفسير الطبري،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار \هجر،القاهرة،ط1 ،دت،ج5 ،ص231.

الكريم، ليقدم ابن باديس للأمة الاسلامية عموما والأمة الجزائرية خصوصا إنتاجا معرفيا وشرعيا بقيت آثاره خالدة إلى يوم الناس هذا ، و يتمثل هذا الإنتاج المعرفي و العلمي في تفسير القرآن الكريم الموسوم بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وتم توظيف هذا التفسير من قبل صاحبه ابن باديس في خدمة الشريعة والدين الإسلامي على وجهين، فتعلق الوجه الأول بالجانب العملي وهو كيفيه الاستفادة من حكم القرآن ومواعظه ومحاولة تفهيمها للناس عامة ، ولطلبة العلم والمتخصصين في دراسة علوم القرآن وتفسيره خاصة ،وأما الوجه الثاني فقد كان متعلقا بما حواه القرآن الكريم من أسرار وفوائد علمية و لغوية ، ولطائف وعجائب تبرهن على إعجاز القرآن الكريم وعلى صدق الرسالة النبوية.

وتماشيا مع ما تم ذكره آنفا فقد تضمن الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس الاستفادة من مضامين القرآن الكريم انطلاقا من تفسيره على النحو العلمي والتطبيقي ، وذلك بإبراز دور القرآن الكريم في إصلاح المجتمع .

واعتبر عبد الحميد بن باديس أن منطلق الإصلاح ، ومبتدأ الدعوة هو الفرد فلا يأتي تقويم المجتمعات، ونشر الفضائل بينهم إلا بغرس روح وقيم ، ومبادئ الدين الحنيف في كل فرد من أفراد المجتمع ونوه عبد الحميد بن باديس على أن هذا الغرس، وأن عملية الإصلاح لا تكون صورية متعلقة بالأعمال، والأفعال دون ربطهما بالجانب الروحي والإيمان القلبي بل إن الإصلاح يكون بالجمع والمزاوجة بين هذين الج انبين : الشكل وهو متعلق بالسلوكات والأفعال ،والجوهر وهو متعلق بالاعتقادات، ومن جهه ثانية فإن التركيز على توجيه الفرد المسلم الى الجانب الفلسفي والتكاملي في تفسير القرآن الكريم هو بمثابة إبعاد ذلك الفرد عن نفائس وجواهر القرآن الكريم، وانشغاله بمفاهيم خارجة عن المقصد وعن الحكمة التي أنزل بها القرآن الكريم- وهي هداية الناس ودعوتهم الى طريق الله والأنس بذكره - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ ء: 9.

ولم يغفل ابن باديس دور القرآن الكريم في إصلاح المجتمع الجزائري وتقويمه " فدعا أبناء أمته في خطابه لهم إلى ضرورة التمسك بكتاب الله تلاوة وتدبرا ، وربط حصول البركة والتيسير بتلاوة القرآن والارتباط به ، وتجنب هجره انطلاقا من تفسيره للآيات القرآنية التي تتحدث عن القرآن وفضله [1]".

ووصف ابن باديس حالة العبد في قراءته لكلام الله بأنها أشرف حالة يكون فيها العبد ، أين يتفرغ فيها العبد لربه بكامل قلبه وروحه وعقله ، فأفضلها – أي الحالة – وأتمها تعلق القلب مع لهج اللسان بكلام الرحمان متبوعان بخضوع الأعضاء والمعتقدات بكل الأوامر والنواهي، وتكون – حالته مدعاة للتفكر في خلق الله وفي معاني أسمائه وصفاته ،وفي مظاهر رحمته وبطش ، وإحسانه و انتقامه[2] ، فيكون العبد مستحضرا لربه في قلبه باستحضار حقوقه أيضا ونعمه وآلائه ،مع كل ماتضمنه آي القرآن الكريم وتحقيق التدبر والتفكر على أكمل وجه وأحسنه[3]

كما حذر ابن باديس أيضا في خطابه الدعوي المتعلق بالقرآن الكريم وتفسيره من تجاوز القرآن وأحكامه وألفاظه والوقوع في سراب أقوال المتكلمين الذين يستخدمون ألفاظا منمقة وعبارات توهم صغار العقول بأنها على قدر كبير من العلم والفهم ، وأعتبر ذلك من الجحود والإعراض عن منبع الشريعة الإسلامية، وعن أهم وأجل مرجع ودليل ألا وهو القرآن الكريم ، واستدل في ذلك كله بالآية المباركة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ سورة الفرقان 30..

ففي شكوى النبي صلى الله عليه وسلم من هجر القرآن دليل على أن ذلك من أصعب الأمور وأبغضها عند الله تعالى ، وأ ن لا سبيل إلى النجاة إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم تلاوة وعملا به ، وتدبرا وتفكرا فيه [4]" .

---

[1] عبد الحميد بن باديس: آثار إبن باديس،مصدر سابق،ج1،ص 140.

[2] عبد الحميد بن باديس :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،مصدر سابق،75 -76.

[3] عبد الحميد بن باديس: آثار إبن باديس،مصدر سابق،،ج 4 ،ص 142.

[4] عبد الحميد بن باديس :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مصدر سابق ، ص 48.

ولم يقتصر خطاب ابن باديس الدعوي على إلقاء دروس التفسير وشرح الآيات القرآنية بما يتناسب ومدارك المجتمع الجزائري ، بل إن برنامجه الدعوي الخاص بالقرآن الكريم شمل أيضا الاعتناء بتحفيظ القرآن الكريم، والحرص على تلقينه لأبناء الشعب الجزائري، وجعل القرآن الكريم وحفظه كمادة أساسية ضمن المنهاج الدراسي الذي وضعه ابن باديس لطلبته صغارا كانوا أم كبارا ، وكان يلقي على مسامع الحاضرين الشواهد والأدلة التي تبرز قيمة ومكانة قارئ القرآن ومن حفظه عند الله تعالى.

وكان ابن باديس يضرب الأمثلة أيضا في التدرج بالدعوة، و انتقاء المدعويين من خلال إبراز الشواهد والأدلة المتعلقة بالقرآن الكريم، فقد كان ابتداء الوحي مختصا بأقارب النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من كان يألفهم النبي صلى الله عليه وسلم ويثق فيهم من أقرانه وأصحابه، ثم بدأ بعد ذلك بالنشر والإبلاغ لعامة الناس، بعد أن دخل في دين الإسلام عدد من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا المنهج سار ابن باديس فدعا في خطابه إلى التأسي ، والإقتداء بمراحل نزول القرآن في الدعوة إلى الله " كأن يبدأ المرء في الإرشاد والهداية بأقرب الناس إليه، ثم الأقرب فالأقرب على التدرج ، فعندما يقوم كل واحد منا بإرشاد أهله وأقرب الناس إليه ،لانلبث أن نرى الخير قد انتشر بين الجميع، فمن الأسر تتركب الأمة ، وعندما يقصد بخدمة أسرته خدمة أمته ، فإنه يثاب ثواب خادم الجميع [1]" .

إن غرض ابن باديس من تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس علومه وتبسيطها لعامة الناس هو تطبيقه في شؤون حياتهم، والعمل بمقتضى آياته ونصوصه، والوقوف عند حدوده، والامتثال لأحكامه وأن ذلك شرط لرقي الأفراد والأمم.

وفي المقابل فقد ذم ابن باديس أولئك الذين لم يكن لهم حظ من كلام الله إلا رسمه ، ولم يحصل لهم من الشرف إلا صوت تلاوته ، فاتخذوا من ذلك مطية للتفاخر، فكثيرا مايقصد قراء زماننا

[1]عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير، دار البعث لمطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر،ط 1 ، 1403 هـ 1983 م ،ص277.

المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم، ولا سيما إذا كانوا مجتمعين بصوت واحد، فليحذر من يجد هذا من نفسه، وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب وتستسلم لها الجوارح، كما أن كثيرا من قراء زماننا لايقصد من حفظه إلا التوسل به للتلاوة على الموتى بأجرة ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة [1] "، واستثنى من ذلك معلم القرآن ومن يقوم بتحفيظه طوال وقته ، شريطة أن يكون القرآن منهج حياته، وأن يتأسى به ويعمل بما جاء به كلام الله، وأن لايكون غرضه من تعليمه وتحفيظه للقرآن سوى الغرض الدنيوي وجمع الأجرة، بل عليه أن يجمع بين رجاء الأجرين الدنيوي والأخروي ،بل إنه يغلب الأجر الأخروي على الأجر الدنيوي. وقد تضمن تفسير ابن باديس الموسوم " بتفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" مجلدين اثنين يحمل كل منهما قسما من أقسام القرآن الكريم ، فالمجلد الأول تضمن تمهيدا ومدخلا حول قيمة وأهمية الذكر ، وأن الذكر القرآني هو أجل الأذكار وأرفعها عند المليك الحكيم، وكذا بيان فضل الرسول صلى الله عليه وسلم في الهداية على أمته من بعد فضل الله تعالى ،وتطرق بعد ذلك صاحب التفسير إلى شرح آيات من سورة المائدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ المائدة 15 - 16، فذكر الأدب والإقتداء المستخلصين من الآتيين ، كما وضع الحجج ، والبراهين ، وختم تفسير آيات سورة المائدة بنتيجة حتمية مفادها الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اختار بعد ذلك ابن باديس – أو بالأحرى مانقل إلينا من تفسيره عن طريق مانشر في مجلة الشهاب أو عند بعض من طلبته الذين حضروا حلقه .

[1] عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق ،ص208.

الآية الكريمة من سورة يوسف **قال تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يوسف: ١٠٨

وعنونها ب"سبيل السعادة والنجاة"، وتحدث فيها عن المباحث اللفظية، وشرح معاني الآية الكريمة ، وفسرها تفسيرا شاملا فجمع بين تفسير المفردات وتفسير التراكيب ، ثم انتقل إلى سورة النحل وفسر آية" **قال تعالى:** ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ النحل 125 ، وأعطى فيها دروسا وأمثلة ليكون الداعية من خلالها ناجحا ،ثم انتقل إلى السنن الكونية وذكر آية " **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ -الإسراء 12-، ثم آية "**قال تعالى:** ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ الإسراء 18 ،وذكر آيات أخرى لنفس السورة ،ثم انتقل المفسر بعد ذلك إلى سورة مريم والأنبياء والحج والمؤمنين والنور واختار من كل سورة آية ، ليشمل مجموع هذه الآيات مواضيع متعددة كآداب المتعلم ، ووعد الله للصالحين ،إلى موضوع أكل الحلال والعمل الصالح ، وفائدة الاجتماع العام وضرورته في الأمور الهامة.

وأما المجلد الثاني فقد كان تكملة لما وصل إليه صاحب التأليف في جزئه الأول من تفسير القرآن العظيم ، فاستهل هذا الجزء بفواتح سورة الفرقان " **قال تعالى:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ " الفرقان 1 -2 ،فشرح المفردات ثم

قام بالجمع بينهما ليصل إلى التركيب بين معاني الألفاظ ، وتحدث في هذه السورة أيضا عن كلام الظالمين وافترائهم ، ثم عن منزلة الرسالة العليا ، وفتنة العباد بعضهم لبعض، وندامة الظالم يوم القيامة ، وشكوى النبي صلى الله عليه وسلم من هجر القرآن العظيم وكذلك وصف حالة عباد الرحمان وأن قيمة العبد تكون بقدر عبادته وطاعته لربه .

ثم فسر اثنا عشر آية من سورة النمل ، وعنونها بملك النبوة ،وهي مجمع الحق والخير ، ومظهر الجمال والقوة ، وكانت تتحدث في مجملها عن قصة سيدنا سليمان عليه السلام ،والحكمة التي وهبها الله له بحديثه مع النمل، وطائر الهدهد الذي كان سببا في هداية ملكة سبأ.

وبعد ذلك ذكر ابن باديس أحوال المعاندين للرسالة ، وأن الله يكتب آثارهم وكل ما قدموه فيحصي لهم أعمالهم ويجازيهم بقدرها ، وكل هذه الأخبار تم ذكرها في سورة يس التي فسرها ابن باديس وتبعها بآيات من سورة الذاريات : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ " الذاريات 47 – 51 : وقد تضمت هذه الآيات حقائق كونية تمثلت في خلق السموات وما شملها من الأجرام السابحة والكرة الأرضية، وما تمثله أمام هذا الكون الفسيح ، ومن كل جنس من الأجناس تم خلق فردين مطيبين يكمل كل واحد منهما الآخر [1] ، والعاقل هو الذي يتدبر في هذا الحقائق ويلجأ إلى الله خالق هذا الكون ، هذا الكون الذي لم يخلق عبثا ، وإنما لحكمة جعلها الله ، وأمانة حملها الإنسان ،و بموجبها كان عليه طاعة الله ولزوم أمره . وانتقل بعدها إلى سورة الفلق وسورة الناس وفسرهما تفسير مفردات – أي فسر وشرح كل كلمة وردت في السورتين"وهما تشتركان في وصف التعوذ من الشرور المذكورة في كل سورة منهما " [2] ،ثم اختتم التفسير بموضوع " العرب في القرآن " ، وأن ذكرهم في كلام الله هو توجيه موجز مقرب على اختيار الله تعالى العرب للنهوض بالرسالة العامة ، واختار لسانهم ليكون لسان هذه الرسالة وترجمان هذه الستر المراد به في كل آية من الآيتين النهضة، ثم الآيات التي تحدثت عن الستر والحجاب وترجيح

[1] عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،مصدر سابق،ص 388.

[2] المصدر نفسه ،ص 415.

المذكورتين في سورة الأحزاب والنور : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ -الأحزاب 59- ، والآية " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ الآية 31من سورة النور فالستر المراد به في آية النور هو ستر الجسد ،والستر المراد به في آية الأحزاب هو ستر وتغطية كامل الجسد وأن العلة في ماعدا الكفين والوجه إلزام ستر الجسد كله ، أو ترك الوجه والكفين هو الفتنة ، فإن أمنت المرأة عدم الافتتان بها ولا يتحقق الفساد أو السفور بذلك جاز لها ترك الكفين والوجه ، وإلا فالمرجع هو تغطية كامل الجسد بما فيه الكفين والوجه.[1]

وهكذا ختم تفسير ابن باديس والذي احتوى الكثير من الأحكام والتفصيلات ، والقصص ، والإخبار عن العوالم الغيبية ، المذكورة في كلام الله المجيد.

وقد نقلت إلينا هذه التفاسير في مايقارب ألف صفحة بالنسبة لطبعة دار الرشيد – عالج فيها ابن باديس مختلف المجالات والجوانب ، انطلاقا مما وجده من حكم وفوائد في القرآن الكريم وعملا على مبدأ وقول ابن عباس * رضي الله عنه " لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله [2]" .

واستخلاصا مما سبق فإن البعد الدعوي في خطاب عبد الحميد بن باديس المتعلق بالقرآن الكريم يتمثل اساسا في:

---

[1] عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،مصدر سابق، المصدر نفسه،ص 441.

* ابن عباس:هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ،ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صغار الصحابة ولد سنوات إنحصار بشعب مكة ، سمي بحبر الأمة ، ونال بركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان فقيها ومحدثا ومفسرا .أنظر:ابن الأثير ،أسد الغابة في معرفة الصحابة،دار ابن حزم،بيروت،ط 1 ،2012،ص692.

[2] أبو الفضل الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي، بيروت،دت ،ج 5،ص 309.

1-الاهتمام بالقرآن الكريم ومداومة تلاوته والاجتهاد في حفظه و مدارسته على النحو الشرعي و الصحيح ،مع تجنب هجرانه و البعد عليه حتى لا يتدرج اسم الواحد منا مع أولئك الذين توعدهم الله بالعقاب بسبب الابتعاد عن القرآن الكريم، ، قَالَ تَعَالَى:﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ الفرقان:30

2- القرآن الكريم يحمل بين دفتيه أسرار علمية وكونية ولغوية، وهو مورد لا ينضب من الحقائق والمعارف .

3-القرآن الكريم هو منهج حياة، ودستور أمة وليس مجرد آيات تتلى،و سور تحفظ، بل إن الواجب على الأفراد والأمم الالتزام بمضامين القرآن الكريم والوقوف عند محاذيره ونواهيه ، والعمل بما جاء به من أحكام ومناهج.

4-تجنب الانشغال عن المقصد الأكمل لنزول القرآن الكريم وهو هداية الناس وشفائهم من الأسقام الدنيوية والروحية، والحذر من الانشغال بالدراسات الكلامية والفلسفية لمضامين القرآن الكريم ، والتي قد تكون سببا في تجاوز معاني القران الكريم التي أُريد فهمها.

ثانيا: السنة النبوية :

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به أمر وجب، لأنه هو الذي عينه ربنا لهدايتنا وعصمه ،فاتباعه خير ونجاة ،ومخالفة أمره شر وهلاك ،وكما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفصل ويشرح ما أنزل إليه ،فإنه كان أيضا يشرع الأحكام بما يوحي إليه ، فكل ما ورد عنه وبلغه للثقلين لا يجوز التردد عنه أو الشكر فيه [1]"،وقد جاء في تعريف السنة أنها كل ما صدر عن الرسول الله

[1]أحمد حماني : صراع بين السنة والبدعة – أو القصة الكاملة للسطو على الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس ،دار البعث، د.ط، د.ت ، الجزائر ، ج1 ،ص 21، 23.

صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي [1]" ،أما عن المحدثين فهي "كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خليقة ، أو سيرة ، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها [2]" ،ولقد كان عبد الحميد بن باديس شديد الاحتفاء بالسنة النبوية الشريفة ، وكان يرى أن الاحتفاء بالسنة والاشتغال بعلوم الحديث من العلامات البارزة للحركة الاصلاحية التي أقام دعائمها ،ووطد بنيانها وأوصل ليله ب نهارها ،وبياضه بسواده ،من أجل التمكن من تبليغها ، والذود عنها ، تقربا لله تعالى وخدمة للأمة [3]" فاختار ابن باديس كتاب موطأ الإمام مالك [*]" كونه من أصح كتب الحديث ، وأعمها نفعا ، وكونه يشمل على صحيح الأخبار ، وبالغ الآثار [4] ".

وكون شرح الموطأ يعبر أيضا عن مرجعية ابن باديس ،واعتزازه وتمسكه بالمذهب المالكي . المتبع في بلاده " الجزائر " ،وفي بلاد المغرب العربي ، وكونه أيضا – أي ابن باديس – متأثر بأعلام المذهب المالكي كالقاضي عياض ، وابن العربي ، فكان يلقي على مسامع الحاضرين في مجالسه ، شروح ومعاني الأحاديث الواردة في الموطأ ،واستغرق في ذلك " بضع عشر سنة بعمل متواصل ،وجد جاد ، يحرر أسانيده ، ويعزز مساندة ،ويرفع مراسله ، ويستجلي أسراره ، ويكتسح به غيوم البدع ، وضلال

---

[1] الشوكاني:إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،تحقيق: أحمد عزو عناية ، دار الكتاب الغربي ،مصر،ط 1 ،1419هـ،ج1، ص 95.

[2] جمال الدين القاسمي : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ،دار الرسالة، بيروت،ط 1 ، 1425 هـ، 2004م، ص 35-38.

[3] محمد الدراجي : الإمام ابن باديس السلفية والتجديد، دار الهدى،قسرطينة ،الجزائر ، ط1، 2012 ، ص 87.

[*] الإمام مالك : أبو عبد الله بن أنس بن عامر الحميري ، الأصبحي المدني ولد سنة 93 هـ بالمدينة المنورة ، تميز بالحفظ والصبر والجد في طلب العلم كما تميز أيضا بقوة الفراسة ، تلقى تعليمه على كثير من التابعين وأتباعهم ، توفي سنة 179 هـ، هو صاحب أحد المذاهب الأربعة النسبية ، من أشهر مؤلفاته ، موطأ الإمام مالك .أنظر:شمس الدين الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،تحقيق :حسان عبد المنان،بيت الأفكار الدولية،الرياض ،ط1 ،2009 ،ص3145.

[4] عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،مصدر سابق، ص 332.

العقائد ، فهذب العقول، وطهر النفوس ،وحرك الهمم ،وأفعم الصدور بأنوار السنة المحمدية "[1] ،وقد أقيم حفل مبارك على شرف ختم ابن باديس لدروس تفسير وشرح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال موطأ الإمام مالك " يوم اثنى عشر ربيع الأول سنة 1358 هـ، الموافق ل : الفاتح من شهر جوان سنة 1999م ، حضره جمع من العلماء والأدباء والأعيان من عمالة قسنطينة[2] "، وهو الحفل بمثابة إقرار لابن باديس بمكانته العلمية أمام علماء الجزائر وخاصتها ، وهو أيضا شاهد على حب الجزائريين من الطبقة الشعبية و إجلالهم لجهود ابن باديس في سبيل نشر العلم الشرعي بين أبنائهم.

ولم يقتصر شرح ابن باديس لموطأ الإمام مالك على ذكر الأحاديث المروية في الموطأ ، بل إنه أضاف إليها أحاديث صحيحة أخرى من كتب الصحاح ، أو المسانيد ، أو حتى الآثار المروية عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وقد جمعت هذه الدروس والفوائد التي ألقاها ابن باديس في كتاب أشرف على طبعه ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، سمي بمجالس التذكير من حديث البشير النذير – مثلث حلق ابن باديس ،ومقالاته في جريدة الشهاب أغلب مصادر هذا الكتاب ، وتحدث في جملة عن فضل النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة الخالدة ، ومكانته صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء والرسل ، واستدل في ذلك بحديث أبي هريرة "ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ،وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فارجوا أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة[3]".

وكان ابن باديس حريصا على ذكر سن د الحديث ويتجنب ذكر الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة إلا من باب التحذير منها مثل ما ذكره في حديث "لا تنزلو هن من الغرف ،ولا تعلموهن من الكتابة يعني النساء ،وعلموهن الغزل وسورة النور "فذكر ابن باديس أنه رجع إلى ميزان الاعتدال

[1] عبد الحميد بن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،مصدر سابق، ، ص 329.

[2] المصدر نفسه : ص 331.

[3] البخاري : صحيح البخاري ، رقم 4981.

للحافظ الذهبي ليتعرف على سند هذا الحديث ،فألفه مذكورا في ترجمة محمد بن إبراهيم الشامي عن الدار قطني أنه كذاب ،وعن ابن عدي أن عامة أحاديثه غير محفوظة [1]" ،ومن بين ماذكره ابن باديس أيضا من أحاديث ،حديث ابن مالك " إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم [2]" ، فذكر سند الحديث ومتنه ، وشرح الألفاظ والمعاني ،وتحدث عن الآداب الواجب الالتزام بها على كل من يقوم بمهام ترشيد المسلمين و هدايهم .

وتضمن خطابه الدعوي أيضا بعض التوجيهات الشرعية ، كاتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحث على طلب العلم ، ابتداء بالعلوم الشرعية ، وصولا إلى تعلم اللغات يحتاج إليها طالب العلم ، مستدلا في ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت بتعلم كتب اليهو د، وتضمن الخطاب الدعوي أيضا أحاديث نبوية تدعو إلى الوحدة بين المؤمنين والتكاثف والتآزر ، وذكر أنه لا غنى لمؤمن عن إخوانه وأنه إذا ما أهمل عنصرا واحد أو فرد من أفراد المجتمع كان ذلك إيذانا بفساد المجتمع كله ، فاقتضاء هذا الأمر يلتزم على كل فرد أن يشعر بالمسؤولية الملاقاة على عاتقه أمام مجتمعه ، ليحصل بذلك التكاثف والتآزر بين باقي الأفراد في المجتمع ، فقيمة الفرد أو الرجل تكمن في قيمة مجتمعه ، كما ذكر المؤلف أيضا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدق فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي الجنة ..[3]" ثم تحدث في القسم الثاني عن مواضيع متنوعة ، سماها صاحب التأليف " بأحاديث في أغراض مختلفة [4]" تطرق فيها إلى أبواب مختلفة من أبواب العلم كالسنة والبدعة ، وبراءة النبي صلى الله عليه وسلم من غير دينه واستشهاده في كل مواضيع هذا القسم بأحاديث رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتوى الخطاب في مجالس التذكير من كلام البشير النذير "

---

[1] عبد الحميد بن باديس ،مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، مصدر سابق ،ص 339.

[2] المصدر نفسه، ص 80.

[3] مسلم: صحيح مسلم ، تحقيق: محمد الفارابي ،طيبة ، السعودية، ط1 ، 1427 هـ، 2006 م ،ص2607.

[4] عبد الحميد ابن باديس،مجالس التذكير من حديث البشير النذير،مصدر سابق ،ص 245.

كذلك لطائف حول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،والفن الأدبي الذي اختفى به النبي صلى الله عليه وسلم من خلال حديث " ...رويدك سوقك بالقوارير[1] ".

ومن المضامين السنية التي تعرض لها خطاب عبد الحميد ابن باديس : شرح وكتاب " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للقاضي عياض ، والذي تحدث فيه صاحب الكتاب عن ما يجب في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من تو قير وإكرام ، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدرة ، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر[2] "،وقسم المؤلف الكتاب إلى أربعة أقسام :القسم الأولى سماه ب"تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى ، قولا وفعلا " والقسم الثاني تحدث فيه عن مايجب على الأنام من حقوق للنبي صلى الله عليه وسلم ، والقسم الثالث، مايستحيل في حقه ، أو ما لا يصح من الأقوال البشرية أن تضاف إليه ، والقسم الرابع : في تصرف وجوه الأحكام ف يمن تنقص منه ، أو سبه عليه الصلاة والسلام، "وفيه من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة التي حث بها الرسول والتي ستبقى حجة على البشر أن يرث المحبة على الأرض ومن عليها[3]" .

إن ثراء الخطاب الدعوي لابن باديس بالأحاديث النبوية والسيرة الشريفة ، دليل على تمكن ابن باديس ، ودرايته بعلوم الحديث ، سندا ومتنا وشرحا ، وهذا راجع إلى تشبع فكره ، وتكوينه العالي من طرف مشايخ وعلماء الحديث في جامع الزيتونة والمدينة المنورة.

وفيه أي الخطاب الدعوي لابن باديس ،رسالة هامة إلى طلاب العلم والدعاة لكي يعووا مكانة السنة النبوية في الخطاب الدعوي ، ويدركوا ضرورة التفقه بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيها من العبر والفوائد ، ليستفيدوا من دورها ، ويفيدوا بها وأن يتحروا في ذلك صحة الأحاديث ويتعدوا عن الموضوع منها والمكذوب.

---

[1] البخاري : مصدر سابق ، رقم 6049.

[2] القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تحقيق: عبده علي كوشك ، وحدة البحوث والدراسات ، الإمارات، ط1، 2013م ، ص 9.

[3] القاضي عياض ،المرجع السابق ، ص 9 – 10.

ثالثا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بين أوجب الأعمال ، وأزكاها، كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعلق بصلاح الأمة ، ونشر الخير في ما بين أفرادها ،ومنع نفسي الانحراف ، والفساد في أوساطها– أي أن الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر –عمل يتعدى نفعه إلى الغير، ولا يقتصر على صاحبه، لذلك فإن الأمة مطالبة بتفعيل هذا الواجب ، وتحسيس الناس بضرورته، والدعاة والعلماء هم أولى الناس بهذا الأمر ،لما أودع الله فيهم من الحكمة وحسن المعاملة، والأمر بالمعروف يحتاج إلى الحكمة، والتلطف، والمجادلة في مواقف أخرى، و التي تتطلب العمل المرن و العلم المنضبط الذي لا يشوبه شك ولا ريبة، وهي صفات يجب أن تتوفر في الداعية الناجح و الأمين ،**و**"إن الأمة التي تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتضرب على يد سفهائها، وأهل الفساد منها ، وتهجرهم وتنبذهم من مجتمعها تسلم من الشرور والبلايا ، والأمة التي تسكت عن سفهائها وأهل الشر من كبرائها وتدعهم يجاهرون بالفواحش و الآثام هي أمة هالكة موعودة بالهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.[1]" .

و عليه فقد كان ابن باديس شديد الحرص على حث أبناء المجتمع الجزائري ،وأبناء الأمة الإسلامية على المسارعة في إتيان الطاعات و الابتعاد عن فعل المنكرات ،فكان يلقي على مسامع الحاضرين و المصلين دروسا وعظية تشمل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و جاء الكثير منها في شكل شروحات لآيات القرآن الكريم من خلال تفسيره لبعض الشواهد القرآنية التي تحث على فعل المعروف و النهي عن المنكر مثل تفسيره لآيات سورة الإسراء [2] التي تحث على بر الوالدين،أين قام ابن باديس بتفصيل هذا البر من خلال تعرضه لتبيان الإحسان إليهما قولا و عملا مع التأكيد على ضرورة البر إليهما في حالة تقدم سنهما ،وتناول كذلك ابن باديس في

[1]عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس ،مصدر سابق،ج2 ،ص 236.

[2]–عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مصدر سابق،،مصدر سابق،ص 100 .

هذا السياق درجات البر والإحسان إلى الوالدين،و مدى استمرار ذلك البر حتى بعد وفاتهما و كيفية حصول البر بعد موتهما، و دعا ابن باديس كذلك إلى إصلاح النفوس » [1] ،و ذكر أن مناط الإصلاح هو القيام بواجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مستدلا بقول الله تعالى ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ ال عمران: ١١٣وتطرق بعدها إلى موضوع التوبة ، وما تعلق بها من شروط ومقتضيات وتم التحدث كذلك عن حرمة الاعتداء على الأرواح و الأنفس و كذلك حفظ الأموال باحترام الملكية ، وشدد على أكل مال اليتيم [2]، وحذر من عقوبة ذلك الفعل .

ولم يقتصر الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس المتعلق بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على شرح و تفسير آيات القرآن الكريم والحديث عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر،في سياق تلك الآيات فقط ، بل إنه –ابن باديس – كان يتحين كل الفرص التي تتاح له للجهر بالدعوة و لتصحيح بعض المفاهيم و المعتقدات و شحذ الهمم للمسارعة إلى فعل الطاعات فكان يفصل و يسترسل في النصح و التوجيه و يعالج قضايا المجتمع والأمة من خلال قيامه بمهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على النحو الآتي:

1/ إقامة الصلاة ومداومة إعطاء التوجيهات التي تدعو إلى تنظيم مواقيت الصلاة: حيث أورد الشواهد التي تحذر من ترك أو التهاون في آدائها، و ذكر ابن باديس الآيات والأحاديث التي تحث على إقامة الصلاة ،والتوجيهات التي تدعوا إلى تنظيم مواقيت الصلاة، كما أورد كذلك الشواهد التي تحذر من ترك الصلاة ، أو التهاون في آدائها ، كما ذكر أيضا " أن ربط الصلاة بالأوقات ،تعليم لنا لربط أمور حياتنا ،وتسهيل علينا للقيام بالكثير من الأعمال [3] " ، واحتوى هذا الخطاب على

[1] –المصدر نفسه ، ص 109

[2] –المصدر نفسه ، ص 132 .

[3] عبد الحميد بن باديس:، الصلاة في وقتها ، الشهاب، م7 ، ج3 ،غرة ذي القعدة 1386هـ ، مارس 1935 م.

الأحكام التي ترهب تارك الصلاة ، و إجماعهم على عظم هذا الجرم ، وذهاب كثير منهم إلى كفره ، وجاء منه إقناع المخاطب بقدسية الصلاة وأهميتها في الدنيا والآخرة.

2/النهي عن إتيان المعاصي والمجاهرة بالفواحش :

وعطفا على ما تم ذكره من مضامين دعوية في خطاب عبد الحميد بن باديس المتعلقة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن المجاهرة بالمعاصي ، والمنكرات من أكثر الأعمال قبحا و أخطرها على المجتمع ،و ألزمها للنصح و التوجيه ، ذلك أن المجاهرة بالمعاصي، والفواحش، تمثل إيذانا بسخط الله، وهي علامة على الاستهانة والاستخفاف بقدرة الله تعالى على إحلال العقوبة و معاملة الظالمين بما اقترفوه من ذنوب، وآثام ، والأنكى من ذلك إظهار تلك الانحرافات ، وجعلها شائعة و منتشرة بين العامة و الخاصة .

ثم عرض ابن باديس الدواء لهذا الداء الذي من شأنه أن يفتك بالأمة أفرادا و زرافات وبين أن سبيل المسارعة إلى التوبة و المبادرة إلى الإنابة و الندم على ارتكاب المعاصي شرط ضروري في مسألة التوبة من المجاهرة ،كما ذكر كذلك مسألة الستر و الإخفاء ، وعدم إظهار الخطأ و المعصية في حالة ارتكابها، و في ذلك حكمة شرعية تتمثل في عدم استسهال فعل المعاصي، بل إن في إخفاءها نوع من تعظيم الذنب و الإقرار بالجرم، فيحد ذلك من شأن الانتشار و التفشي، ويوقع في القلب غصة المعاصي و شناعتها ، ما يحرك الفؤاد على الندم و الحسرة على ارتكاب المعاصي و يكون سببا في الإقلاع عنها، ومنع انتشارها بين الناس .،و قد اعتبر ابن باديس المجاهر بالمعصية متعد على المجتمع بأسره، كونه سن قدوة ومنهجا سيئا، وأن مجاهرته بيان لاستخفافه بحق الله وحق عباده، وخلو قلبه من الخوف والحياء [1]"، فالمجاهر بالمعاصي قد هتك بشر الله الذي أرخاه الله عليه، وأخذته العزة بإثمه و معصيته، فأظهر أنه غير مكترث بعقاب الله فاستهان بالله وأمن مكره، ودعا ابن باديس إلى "

[1] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،مصدر سابق، ص 126.

تجنب إتيان المعاصي، وإذا ماوقع في خطأ وارتكب معصية عليه أن يجتهد في إخفاء ما ارتكبه من ذنوب ، ويشير ذلك ، وأن يسارع إلى التوبة وطلب الصفح من الله.[1].

3 /التطرق إلى مختلف قضايا الأسرة والمجتمع:

ومن بين الغايات الكبرى التي وضعها عبد الحميد ابن باديس، ووجه لها نشاطا فياضا نجد الإصلاح الاجتماعي المتعلق بمعالجة شؤون الأسرة ، والمجتمع و إظهار مكامن الخلل فيها و تقويمه ،فحاول من خلال توفير الشروط الموضوعية اللازمة لبعث حياة اجتماعية يكون إسهامه فيها إسهاما بارزا حتى يعيد تكوين الفرد ، والأسرة ، والمجتمع الجزائري المسلم، ويتخلص من رواسب الفساد ، والاضطراب التي تسببت فيها السلطة الاستعمارية بالدرجة الأولى، ولعله ليس من الصعب انتشار مثل هذا الخطاب في جانبه الاجتماعي كموازٍ للخطاب في الجانب الديني ،فالجانبان الاجتماعي ، و الديني مكملان لبعضهما البعض، ولا يمكن التفريق بينهما خصوصا و أن البيئة الاجتماعية التي تحتضن الشعب الجزائري هي بيئة إسلامية، و أن الخطاب الدعوي شامل لكل الجوانب ، والمجالات فلا يمكن التفريق بين عقيدة المسلم ، وبين تربية أبنائه و زرع القيم الفاضلة فيهم [2]،خاصة و أن مكمن التراجع الحضاري للمجتمع هو في الأساس متعلق بمدى تمسك المجتمع و الأمة بمبادئ و قيم دينها، وما بلغته الحضارة الإسلامية في أوج عطائها- لم يكن باكتناز الذهب والورق، واستخراج الثورات الطبيعية، كما يخيل إلى الكثيرين اليوم، وإنما كان بتمسك تلك الأجيال الفريدة بمبادئ و أسس دينها، و الامتثال لما جاءت به الشريعة الإسلامية. وعليه فإن الخطاب الدعوي لعبد الحميد ابن باديس قد تناول قضايا الأسرة و المجتمع من المنظور الدعوي و الديني ،بل إنه أقر حتمية النهوض بالمجتمع و الأسرة من خلال الرجوع إلى أسس التربية الإسلامية المستوحاة من مصادرها

[1] عبد الحميد بن باديس،ندامة الظالم على تركه السبيل القويم واتباعه لصحبة المضلين،الشهاب ،ع 11 ،م 11 ، غرة ذي القعدة 1354 هـ، فيفري 1935.

[2] – إبراهيم معيوش :التأثير الثقافي للنخبة الدينية في الجزائر بين العطالة والفاعلية ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا (1937 -1956)،رسالة دكتوراه علوم غير منشورة،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 ، 2016 – 2017 ص 398.

الأصلية فذكر عن إحدى المؤسسات التي قام بتأسيسها ،و التي كان الهدف الأول ، والأساسي لها هو النهوض بالمجتمع الجزائري، وترقيته على القيم الدينية فقال :"نقول من الآن أن الجمعية لا يجب أن تكون إلا جمعية هداية، و إرشاد لترقية الشعب من الجهل و السقوط الأخلاقي إلى أوج العلم و مكارم الأخلاق في نطاق دينها،وبهدي نبيها الأمي الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق [1] .

وإصلاح الفرد والأسرة و المجتمع لا يقوم إلا بالتركيز على الجانب الديني و الخلقي، و العلمي كونهم الركائز الثلاثة التي يقوم عليها المجتمع الفاضل "وإن هذا الارتباط الوثيق بين الدين و الأخلاق و العلم لا نجده فقط في المجتمعات المسلمة بل حتى في بعض المجتمعات الدينية الأخرى المختلفة، بل حتى إن العرب في وقت الجاهلية وقبل ظهور الإسلام كانت تأنف من ممارسة بعض الأفعال التي تخدش أخلاقها ومروئتها،وتعتز بأفعال أخرى تحيي ذكرها بين باقي القبائل والعشائر،مثل الكرم والصفح والصدق...،إذ أن الأخلاق الفاضلة المحمودة دليل على قوة الوازع الديني عند أفراد المجتمع و كلما كان هذا الأخير قويا ارتقى الأفراد في أخلاقهم و ازدادوا في التزكية و التهذيب ، والعكس صحيح ، حيث كلما ضعف الوازع الديني انتشرت داخل المجتمع الأخلاق السيئة الذميمة و استفحل في الأفراد مجموعة من الرذائل و الآفات التي لا يجنى منها إلا تمزيق العرى المتلازمة و المتماسكة التي كانت تربط بينهم، ولكي يتضح لنا بجلاء مدى ضرورة الأخلاق لدوام الحياة الاجتماعية و تقدمها من الناحيتين المادية و الروحية علينا أولا أن نتصور حياة مجتمع أهملت فيه الأخلاق الفاضلة و تفشت فيه الرذائل و الآفات لا شك أن الحياة فيه تصبح خالية من المعاني السامية للإنسانية، وهذا ما جعل الخطاب الدعوي الباديسي من الجهة الاجتماعية يخصص جزءا للدعوة إلى الابتعاد عن كل صور الفساد و الأخلاق المردودة شرعا و كل الرذائل الأخرى التي تمنع

[1] –عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق، ج 4 ، ص 35 .

كسب المحامد و الفضائل ،و تضع حواجز للإنسان حتى لا يرتقي قدما،فدعا في خطبه و مقالاته و دروسه للعودة إلى تعاليم الإسلام و التخلق بأخلاقه الحميدة .[1] .

و لأن لسان حال ابن باديس في خطابه الدعوي يبرز التوأمة الحاصلة بين الإصلاح الديني و الإصلاح الاجتماعي ،وهنا يظهر أثر الدعوة الإسلامية الشاملة لكل مناحي الحياة و الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم ، لم يكن دينا مختصا بالشعائر، والعبادات، بل إنه دين جاء لتقويم و إصلاح الفرد المسلم في كل أحواله و طبائعه فلا يحيى إلا بالله و لا يتحرك و لا يسكن و لا يتكلم إلا لله و ما يرضي الله، و هذه هي الدعوة السليمة و الصحيحة إلى دين الإسلام ، وليس ما أريد له اليوم من اكتفاء الفرد المسلم بتطبيق بعض الأوامر، و الاقتصار على تأدية بعض العبادات فإذا فرغ منها صار متبعا لهواه ، فلا يفعل إلا ما وافق نفسه الأمارة بالسوء و الميالة إلى الراحة و اللهو ثم يتذرع بعدها بسعة رحمة الله ، و أن عفوه و مغفرته ستشمل كل من يحمل صفة المسلم و الرسالة التي جاء بها الإسلام بريئة من هذا الفهم كل البراءة ، بل إنها حاربت و بشدة مثل هذا التفكير الذي تجسد في أهل الكتاب أين اعتبروا أنفسهم أصفياء الله فلا يمسهم العذاب إلا في فترات محدودة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المائدة: ١٨، و قال أيضا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ البقرة: ٨٠

إن الإسلام جاء لبناء فرد متكامل من كل الجوانب : الجوانب الدينية المرتبطة بعلاقة الفرد المسلم بربه من حيث العبادات و الطاعات، و الجوانب الدنيوية المرتبطة بعلاقة الفرد المسلم مع محيطه و مجتمعه بدءا بطاعته لمن لهم فضل و نعمة عليه كالوالدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴿١٥١﴾﴾ الأنعام: ١٥١

[1] -محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4 ،مصدر سابق، ص 38 .

فيشمل الإحسان في علاقة الفرد مع والديه كل صنوف الإحسان كالقول و الفعل، ثم انتهاء إلى علاقة الفرد مع جميع الناس عامتهم و خاصتهم ، فيظهر اهتمام الإسلام بالجانب المعاملاتي من خلال تربية الفرد على حسب التعامل مع كافة الناس فهو مأمور -أي المسلم- بالإحسان كذلك للناس، و لو بالقول في قوله تعالى ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ ﴿٨٣﴾﴾البقرة/83.

لذلك فإن الخطاب الدعوي الباديسي اجتهد في تأطير ، وتكوين الفرد الجزائري المسلم من خلال إحاطته بالبنود الاجتماعية التي جاء بها الشارع الحكيم ، موظفا الشواهد القرآنية ،و الأحاديث النبوية و سير السلف التي تعد أنموذجا في رفعة الخلق و حسن المعاملة مقتدين في ذلك بمثلهم و أسوتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم .

إن الاهتمام البالغ لعبد الحميد بن باديس بالأسرة ، والمجتمع ، وثراء الخطاب الدعوي له بالمضامين الدينية التي تحث الأفراد على تقويم الأخلاق و النهوض بالمجتمع انطلاقا من الالتزام بضوابط الشريعة في إصلاح الفرد و المجتمع دليل واضح على فهم ابن باديس لرسالة الإسلام و أن الخطاب الدعوي الموجه للمسلمين يجب أن يكون منطلقه من عمق الواقع المعيش، وأن ربط مفاهيم الخطاب الدعوي بقضايا الفرد والأسرة ،و هي من شروط وصول الرسالة الدعوية إلى المتلقي ، وأن غياب إصلاح الفرد والأسرة في المضامين الدينية للخطاب الدعوي هو بمثابة غياب شطر كثير من المضامين الدينية، كون الجانب الأسري و الاجتماعي يمثل نسبة معتبرة من الدين الإسلامي و خاصة الأحكام التشريعية -كالدعوة إلى بر الوالدين في تفسيره لآية ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾الإ سراء ٢٤باب رد الجميل ، ومقابلة الإحسان بالإحسان ، أين وجب على الأبناء بر آبائهم ، ومعاملتهم باللين واللطف، وفي البر بالوالدين أيضا امتثال لأوامر الله الذي قرن طاعته بالإحسان بالوالدين فقال تعالى:﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل

لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ الإسراء 23، وذكر ابن باديس أن البر بالآباء يلتزم الاتصاف بالأدب القولي والأدب الفعلي ، فالأدب القولي هو تجنب رفع الصوت في حضرتها ، أو التعرض لهما بكلام لايليق بمقامهما ، ويندرج ضمنه أيضا والبسط في محادثتهما وتجنب إيحشاهما بطول السكوت ،والأدب الفعلي ، يتمثل في طاعتهما فيما أمرا – ما لم يكن في ذلك معصية لله."[1]

كما تطرق إلى تفسير آيات الإسراء التي احتوت بنودا وأحكام تتضمن أوامر ونواهي تنظم السير الحسن للعلاقات الاجتماعية، ومايتعلق معاملات أفراد المجتمع فيما بينهم ، كالإيفاء بالموازين ، والوفاء بالعهود ، وحرمة قتل النفس، والتواضع في المشي ، وغيرها من الآداب والنواهي.

رابعا :الفقه:

إن المسلمين وحدهم – هم الأمة التي تسأل عن أحكام دينها ، لتعرف المقبول من المرفوض في العلاقات ، والحلال والحرام في المعاملات ، ولا توجد أمة في الأرض – كتابية كانت أو وثنية – عندها مثل هذا الاهتمام [2]، وقد اهتم علماء الأمة سلفها وخلفها بهذا العلم الجليل، وأحاطوه بقدر كبير من العناية والرعاية فألفوا أمهات الكتب والمجلدات، وكتبوا المتون والمدونات ، وحرصوا على حفظ اجتهادات سلف الأمة في القضايا المختلفة، كما اجتهدوا في استنباط الأحكام الفقهية في الحوادث والنوازل انطلاقا من مصادر التشريع الإسلامي، وقد أدرك ابن باديس هذا الاهتمام، فانشغل بالفتاوى، وتعليم الناس الفقه ، وتدوينه في خطابه لهم، وقد تضمن هذا الخطاب الفقهي الباديس مايلي:

1/آيات وأحاديث الأحكام وأصول الفقه :

[1]عبد الحميد بن باديس:أصول الهداية ،تعليق:علي بن حسن ،دار الريان، الام ارات العربية المتحدة، 1432هـ،، ط1 ، 1992 ص 33، بتصرف.

[2]يوسف القرضاوي : موجبات تغير الفتوى في عصرنا ، نشر الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، القاهرة ،ط6 ،دت ،ص 15.

اشتمل خطاب ابن باديس الفقهي الأحكام الشرعية الواردة والمس تربطة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وقد جمعت هذه الأحكام في كتاب من أمالي عبد الحميد ابن باديس، و" تم تدوينها من قبل تلميذا بن باديس محمد الحسن فضلاء ، من مذكراته الخاصة بالسنة الثالثة [1]"، وسماها بـ"أصول الفقه آيات وأحاديث الأحكام من أهالي الأستاذ عبد الحميد بن باديس"،واشتملت هذه الأصول على كتاب الطهارة والصلاة، والزكاة، والصيام ، وأحكام الاعتكاف والحج، أورد في كل فصل أو كتاب منها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المبنية والمفصلة لهذه الأحكام ، كما تعرض ابن باديس إلى شرح بعض المفردات الغريبة في آيات وأحاديث الأحكام ، وتفصيل الأحكام العميقة ، واعتمد في ذلك رأي الفقهاء المالكية في تفسير النصوص.

ولابن باديس مؤلف فقهي آخر هو:"مبادئ الأصول ..إملاء الإمام عبد الحميد بن باديس" وحققه عمار طالبي وقد تضمن هذا الكتاب أربعة أبواب متعلقة بأصول الفقه ، منها ماهو متعلق بأفعال المكلفين ومنها ماهو متعلق بأحكام الله تعالى ، وأدلة الأحكام ، ثم تطرق إلى القواعد الأصولية ، وجمع بين أساسيات علم الأصول وبين فروعه، مجتهدا في الإحاطة بالكثير من قواعد ومبادئ علم أصول الفقه على طريقة علماء المذهب المالكي ، فشرح وبسط وأعطى الأمثلة والشواهد على كل جزئية ، أو أهل في هذا الكتاب.

2/كتاب الفقه لموطأ الإمام مالك:

يعتبر موطأ الإمام مالك عمدة الأحكام الفقهية ، ومصدرها في المذهب المالكي ، وهو يتضمن الكثير من أبواب الفقه ، وقد كان لدروس ابن باديس في شرح الموطأ الأثر الكبير في تبليغ وحفظ المذهب المالكي بين أبناء وطلبة المجتمع الجزائري ، فقد أسهم في حماية المرجعية الدينية بالجزائر خصوصا تلك المرحلة الحرجة التي مرت بها الجزائر – وهي مرحلة الاستعمار الفرنسي.

[1] عبد الحميد بن باديس :أصول الفقه :آيات وأحاديث الأحكام من أمالي الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس ، تح قيق : محمد حسن فضلاء ، دار البعث ،قسنطينة،الجزائر ، 1405 هـ، 1985 م، ص 10.

3/رسائل بن باديس : وهي عبارة عن رسائل علمية ، كان يكتبها عبد الحميد بن باديس ، وجادت غالبيتها كردود على بعض الفتاوى الخاطئة أو تبين لبعض المسائل التي قام بها ابن باديس كمسألة " تأبين الشيخ الطيب بن الشيخ الحسين ، نثرا ونظما ، ورسالة فتوى تتضمن مسألة بيع الحبس لشدة الحاجة وقام بتبرير رأيه وموقفه الفقهي بالأدلة من الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة الصالح.[1]" .

خامسا : العقيدة.

يعتبر الإصلاح العقدي مقدمة المشاريع الإصلاحية التي جاءت بها الرسالات السماوية جميعا ، فهو الأرضية الصلبة التي تشاء عليها صروح الرقي وتنطلق على إثره مسيرة الإنسان نحو التوافق النفسي ، والانسجام الاجتماعي في الحياة [2]"، وهذا هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ، وعلى هذا الهدي سار سلف الأمة الصالح في دعوتهم ، وتبعهم في ذلك العلماء والدعاة ، ففي الجزائر كان بن باديس قد أولى عناية فائقة بالعقائد ، وأبان اهتماما وحرصا شديدا بتبليغها لأبناء المجتمع الجزائري ، فضمنت خطاباته العقدية مايلي:

1/التوحيد :

يعرف التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو أصل العقيدة ، ومبدؤها ومنتهاها ، وهو أول ركن من أركان الإسلام، والتوحيد يستلزم عدم الاعتقاد بوجود شريك لله في عبادته كما ذكر ابن باديس قائلا نهي الله للخلق كلهم عن أن يعتقدوا معه شريكا في ألوهيته فيعبدوه معه، وبين لهم أنهم أن اعتقدوا معه شريكا وعبدوه معه فإن عبادتهم تكون باطلة ، وعملهم يكون مردودا عليهم [3]."

---

[1] ينظر: عبد الحميد بن باديس : ثلاث رسائل نادرة للإمام عبد الحميد بن باديس ، تح قيق : لحسن بن علجية ، دار الهدى ، الجزائر ، د.ط، ص13.

[2] الطيب برغوث:منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،أمريكا ، ط1 ، 1996 م،ص 242.

[3] عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،مصدر سابق،ص 185.

كما حذر من الطرق الموصلة إلى الشرك كاتخاذ المساجد قبورا وبوب ذلك ب : " لعن من اتخذ المساجد على القبور [1] "، وجعل تلك القبور كمقصد للزائرين ، والتبرأ بهم ، والإعتقاد في أن أصحاب تلك القبور تجلب النفع والضرر ، وتحل البركة واليمن على زائريها ، وهي صورة من صور شرك قريش لما ظنوا في آلهتهم جلب الأرزاق ، وأنها وسائط بين العباد وربهم ، فاتخذوهم آلهة تقربهم إلى الله وتدنيهم منه.

فالمشركون في زمن قريش اتخذوا آلهة مصنوعة من التماثيل والأصنام ومن يعتقد في أصحاب القبور يدفع الضرر ويجلب النفع فقد اتخ إلها ميتا لايملك لنفسه شيئا.

2/ذكر معاني قواعد الإسلام والإيمان و الإحسان:

ذكر ابن باديس في كتاب " العقائد الإسلامية " أن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه لعباده ، وأنه لا نجاة لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام [2] "، الذي يبنى على خمسة أركان وجب على كل مسلم العمل بها، الصوم والزكاة والحج حسب القدرة والإيمان بفرضيتها ، وكذا الاعتقاد يقينا بوجود الله والملائكة والكتب السماوية ، والرسل والأنبياء ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ، والسعي بعد ذلك للوصول إلى مرتبة الإحسان ، وهي استشعار مراقبة الله للعبد في السر والعلن ، وهي مسائل تطرق إليها ابن باديس في مجالسه وحلقة ، ونصل في كل ركن من أركان الإسلام ، وأن أركان الإيمان ، وأعطى للإحسان مراتب ودرجات .

3/ موقفه من الطرقية:

بعد عودة عبد الحميد بن باديس من رحلته بالمشرق العربي و بعد أن التقى هنالك بعلماء المشرق ، وأخذ عهدا على نفسه بحمل لواء الدعوة في الجزائر، و النهوض بالأمة فإنه شرع فور وصوله في إيضاح ما استشكل على الشعب الجزائري من قضايا، و مسائل، و لعل أهم ما ميز فترة

[1] عبد الحميد بن باديس: لعن من اتخذ المساجد قبورا، الشهاب، ج 5 ، م7 ،غرة مم م 1350 هـ – ماي 1930م .

[2] عبد الحميد بن باديس،العقائد الإسلامية،تعليق:محمد الصالح رمضان ،دار الفتح،الشارقة،ط1، 1416 هـ 995 م ، ص 23.

حياة ابن باديس النفوذ الصوفي في أواسط المجتمع الجزائري، و رغم بعض المحاسن التي اتصف بها بعض المنتسبين إلى المدارس ، والزوايا الصوفية إلا أن بعضها أو الكثير منها قد أوغل في الضلال الفكري و العقدي، وقد ذكر عبد الحميد بن باديس هذه الفروق في الطوائف الصوفية، وبين القبيح منها و الحسن، ونجد ذلك في مقال له بجريدة السنة بمقولة : " الصوفي السني، بين الحكومة السنية و الحكومة الطرقية "[1] .

وأعطى نماذج وشواهد في الصوفي السني الغير مبتدع ، وفي مقابلة أهل الضلالة ممن انتسبوا للفرق الصوفية فقال :«أما الصوفي السني فهو الإمام المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي الذي توفاه الله منذ أشهر بالمدينة المنورة ،قد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب و السنة ، و التعلق بأخلاق السلف الصالح ، و كانت دعوته إلى الله، و إرشاده للعباد بهداية الإسلام، و كانت تربيته لأتباعه مبنية على التفقه في الدين و الالتزام بالعمل الصالح و الزهد ، و الصبر و حفظ الكرامة[2]، فجمع بين التصوف ، والسنة وبين الزهد والصبر وحفظ الكرامة من جانب، و التمسك بالكتاب والسنة، والتأسي بأخلاق و سير السلف الصالح من جانب لآخر، و هذا هو المنهج القويم ، الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه ، ذلك الجيل الفذ الذي زهد في الدنيا و ملذاتها فرغم أنا لدنيا فتحت عليهم الكثير من النعم و الخيرات خصوصا أثناء الفتوحات الإسلامية، إلا أنهم أدركوا حقيقة الدنيا و رسالة الاستخلاف في الأرض، وأنهم لم يخلقوا للتنعم بالملذات، وإنما خلقوا لمقصد واحد ، وهو طاعة الله، فزهدوا في الدنيا و صبروا على الشدائد ، والصعاب فكانوا ملوكا وزهادا في آن واحد .

ثم تطرق بعدها إلى بعض المخالفات التي يقع فيها الكثير من الصوفية و استدل في ذلك بالحكومات الطرقية التي تستغل مكانتها الدينية في سد مآربها الشخصية ،و لو على حساب الأمة

---

[1]-عبد الحميد بن باديس،الصوفي السني بين الحكومة السنية و الحكومة الطرقية،جريدة السنة ،السنة الأولى ،ع6 ، 20 محرم 1362 ، 1 ماي 1936 م .

[2] -نفس المصدر و العدد.

أو الدين فقال :« و أما الحكومة المصرية الطرقية فإنها تشارك المشاركة الرسمية في بدع المواليد ، و تؤيد تأييدا رسميا الاجتماعات الصوفية بما فيها من مناكر ، وقبح المظاهر ، وسوء المناظر، مما تضج منه صحافتها كل يوم ،فضلا عن العلماء المصلحين من أمتها ، و يواطئها على هذا علماؤها الرسميون بسكوتهم و إقرارهم، وأحيانا بدفاعهم و تأويلاتهم [1].

ثم بين أن الحديث عن الحكومة المصرية الطرقية لم يكن من ناحية المعالجة السياسية بل إنه – أي الحديث – كان من الناحية الإنسانية عموما و الناحية الدينية خصوصا ، ثم بين الغرض من ذلك فقال: « و إن الحكومة المصرية ما نصرت الطرق لأنها تبغي التصوف ، و إنما ناصرتها لأن غالبية علمائها يعيشون على رواتبها و على رضا العامة ، فعظموها و استغلوا جهل الشعب ،وإقرار الصوفية للحكم و السياسة في مصر ..... وهل أفسد الناس إلا الملوك وأحبار سوء و رهبانها [2] .

و أما في الجزائر فإن أول من اصطدم به ابن باديس من الصوفية و مشايخها:–الطريقة العلوية– و شيخها أحمد بن عليوة المستغانمي ، و أن هذا الصدام كانت دواعيه شاملة للهدفين اللذين أعلن ابن باديس أنه يعمل لهما في الميدانين الديني و الدنيوي ،و قد تيقن بخطورة هذه الطريقة من خلال الأهداف الدينية التي كانت تروجها الطريقة الصوفية ، من الباطنية و الدعوة إلى مذهب الحلول ، ووحدة الوجود و أما الهدف الدنيوي فهو كان متعلقا بالقوى الاستعمارية و التحالف معا و التعاون بينهما [3] .

وكان لابن باديس أيضا رسائل في الرد على بعض مقولات مشايخ الصوفية كمقال له بعنوان:"رسالة جواب سؤال عن سوء مقال"، ضمن هذا المقال جملة من الردود على بعض المنتسبين للصوفية في مقدمة و أربعة فصول مقتضبة ،و خاتمة تضمنت نصيحة نافعة ووصية جامعة [4] .

---

[1] – عبد الحميد بن باديس،الصوفي السني بين الحكومة السنية و الحكومة الطرقية،جريدة السنة ،المصدر السابق،ص 263 .

[2] – نفس المصدر و العدد.

[3]– أحمد حماني :صراع بين السنة و البدعة ،مرجع سابق ، ص 60 .

[4] عبد الحميد بن باديس،:آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج5،ص263.

وبين من خلال هذه الرسالة ميزان الأدب ، والخلق الحسن مع حضرة النبي صلى الله عليه و سلم ، وأنه الفيصل ، والمعيار في تقويم الناس و ليس كما يدعي بعض شيوخ الصوفية ،الذين وهبوا لأنفسهم صفات الولاية ، والمراتب العليا .و نصبوا أنفسهم أئمة على الناس و مشايخ على بعض صغار العقول،وأخذوا ينالون من مقام النبي صلى الله عليه وسلم،وبالمقابل فقد أورد منهج بعض الأولياء في الدفاع عن السنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك في الرسالة قائلا : " فانظر أخي رحمك الله بإنصاف إلى هذا العارف الكبير –يقصد أبا يزيد البسرطامي رحمه الله –كيف وزن الرجل بميزان الشرع ،فطرحه لإخلاله بأدب واحد من الآداب ،و هو التعرض لمقام الرسول صلى الله عليه و سلم بسوء الخطاب ،فالولاية لا تتأتى لتارك السنة ،و إن كان ذلك جهلا منه[1]" .

ولم يتوقف الخلاف بين ابن باديس من خلال خطابه الدعوي و بين الصوفية عند إظهار السقطات التي كان يقع فيها مشايخ الصوفية ، بل إن الأمر تعدى ذلك إلى محاولة اغتيال عبد الحميد بن باديس من طرف بعض أعوان الصوفية ، ففي ليلة الأربعاء التاسع من شهر جمادى الثانية على الساعة السابعة مساءا قام أحد المتعصبين للطائفة العلوية بنصب كمين لعبد الحميد بن باديس ،و هو في طريقه للعودة إلى داره بعد أن فرغ من درس التفسير ، و فاجأه بضربتين الأولى على رأسه و الثانية تحت العين ، و لولا لطف الله و تدخل بعض المارة لقتل الرجل عبد الحميد بن باديس »[2]

لقد كانت حياة ابن باديس على المحك خصوصا مع اصطدامه مع بعض التيارات الفكرية المخالفة لمنهج السلف الصالح ، ومع ذلك كله ، فإن ابن باديس لم يتراخى بتاتا في خدمة الدين الإسلامي ، فكان في خطابه الدعوي حريصا كل الحرص على مجابهة كل المذاهب المنحرفة و الأفكار الهدامة و الخطابات المضللة، وضرب عرض الحائط جميع المخاوف و المخاطر و التهديدات التي يتلقاها أثناء مساره الدعوي، وهذا ما يضع الداعية اليوم أمام الأمر الواقع و يقوم بتحفيزه للنهوض بنصرة هذا الدين، وكأن لسان حال ابن باديس أثناء تجربته الدعوية يذكر الدعاة و القائمين بمهمة

[1]–عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج3 ،ص222. .

[2]–محمد الأمين العمودي، السطو،الشهاب،مج11 ، ع75 ،جمادى الآخرة، 16 ديسمبر 1926 .

الإصلاح، أن الدعوة إلى الله تمثل مسؤولية شاقة ، و حملا ثقيلا وجب من خلالها الصبر و الاحتساب والإقتداء بالداعية الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ابتلى أشد البلاء أثناء دعوته ونشر رسالة الإسلام ن قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ البقرة: 214/

النهي عن بعض الأقوال والتصرفات:

قد يقع من الإنسان ألفاظ لايأبه بعواقبها ، ولا يدرك أخطارها وقد نبه ابن باديس إلى مثل هاته العادات اللفظية بعنوان " كلمات الشر " فاختار من هذه الكلمات" :

النهي عن قول" ماشاء الله وشئت " فقد ورد في ذلك حديث في "سنن ابن ماجة عن حديث حذيفة ابن اليمان [1]"، وهو نهي عن أن يقرن الرجل مشيئة الخالق بمشيئة المخلوق وبالواو وجواز ذلك بحرف " ثم " ، " كقول شاء الله ثم شئت "، ونزل بعد ذلك إلى واقع المجتمع الجزائري، وأورد الألفاظ التركية كقول " برب والشيخ [2]"، و" إذا حب رب والشيخ " وهي كلمات شرعية تضاهي الكلمات المذكورة في الحديث السابق.

إن وجود المضامين العقدية في الخطاب الدعوي لابن باديس دليل على محاولة ابن باديس اقتفاء أثر الأنبياء والرسل في نشر العقيدة السليمة بين المدعويين ، وإدراكه لمدى أهمية هذه المضامين في وسط المجتمع ، ومدى خطورة المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالجانب العقدي والتي كانت سائدة في وسط المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية.

[1] الحديث : اذا حلف أحدكم فلا يقل ماشاء الله وشئت ، ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت .أنظر:ابن ماجة ،سنن ابن ماجة ،حديث رقم602.

[2] عبد الحميد بن باديس ، مجال التذكير من حديث البشير النذير،مصدر سابق، ص 113.

المطلب الثاني : المضامين الأخلاقية والتربوية :

دعا ابن باديس من خلال خطابه الدعوى إلى الاهتمام ببناء النفس وتكوينها ، وذكر من خلال الدعوة إلى التحلي بمحاسن الأخلاق كما دعى أيضا إلى ملازمة مجالس العلم ، وحث أبناء بلده على طلب العلم ، فارتكزت مضامين خطابه التربوي والأخلاقي على مايلي:

أولا: التربية عن طريق القدوة:

أ–النبي صلى الله عليه وسل م:لاريب أن القدوة الأولى في إصلاح المجتمع الإسلامي هو شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١فسيرته صلى الله عليه وسلم أول مرجع يستند إليه في تنشئة الأجيال وتربية المجتمعات ، فكان ابن باديس " يتعرض إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما اتصف به من أخلاق كالرحمة والأمانة ، والعدل والصدق ، وغيرها من الخصال الحميدة التي جمعت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام بسرد أدبه وأخلاقه وجعله القدوة والأنموذج الذي يجب على كل فرد الاجتهاد في اتباع هديه والتأسي بأخلاقه وسنه[1].

ب–الصحابة والسلف الصالح : خصص ابن باديس باب في مجلة الشهاب لتقديم تراجم بعض رجال ونساء السلف أسماه ب."رجال الإسلام ونساؤه" ، وذكر فيه الصفات التي أكسبهما الإسلام ، وماكان منهم من أعمال في سبيله ، وذكر أن في ذلك تثبيت للقلوب ، وبعث على القدوة ، ووضع لروح الحياة ، فما حيي خلق إلا بحياة سلف[2]."

ومن الصحابة الكرام الذين اختصهم ابن باديس بالذكر في خطابه عباد ة الصامت ، وسعد بن الربيع ، أبو ذر الغفاري ، وبلال الحبشي ومن النساء سمية بنت خياط، هند بنت عتبة ، والشفاء بنت عبد الله العدوية ، وتحدث عن الصفات والمنازل التي كان يحظى بها كل واحد منهم بين قومه،

[1]عبد الحميد بن باديس ،تبليغ الرسالة ، الشهاب ،ج 9 ،م6 ، جمادى الثانية 1348 هـ – نوفمبر 1929 .

[2]عبد الحميد بن باديس، رجال السلف و نساؤه ،المصدر نفسه، ج1 ،م 10 ، غزة رمضان 1362 هـ ،جانفي 1932 م.

لما نوه أيضا بفضل ابن العربي ودوره في نشر المذهب المالكي، فقدم ترجمة له وللكتابة الموسوم ب " العواصم من القواطع ".

ج–أعلام الجزائر والمغرب العربي : جمع ابن باديس بين التعريف بتاريخ الجزائر التليد ورجاله المخلصين ، وبين الدعوة إلى اصلاح المجتمع من خلال إرشاده إلى النخب الجزائرية ، الذين اتصفوا بالأخلاق الحسنة وعرفوا بها ، فارتقوا بذلك إلى مصاف القدوات ، فقام بإحياء سيرهم ، وجعلها ضمن برامج التربية والإصلاح عند المربيين ، فذكر منهم : عبد الحليم بن سمانية ، عبد القادر المجاوي ، محمد بن الخوجة وأضاف إليهم المفكر محمد بن أبي شنب[1] .

ثانيا:التربية عن طريق إبراز القيم الأخلاقية و الاجتماعية :

دعا ابن باديس إلى تزكية النفس وإزالة كل الشوائب التي من شأنها أن تفسد على الفرد دينه وخلقه، وامتثل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »[2].فذكر أن: صلاح الأخلاق واستقامتها قائم على عضلة واحدة في جسد الإنسان تلك العضلة وحدها قادرة على توجيه الفرد إلى التخلق بالصفات الحسنة، وأضاف بقوله أن إصلاح هذه الصفات لا يكون إلا بإصلاح القلب، وأن إصلاح القلب لا يأتي إلا بمراقبة الله في السرّ والعلن ،فظواهر الفرد تتبع بواطنه، وما الأخلاق . الصفات المتجلية إلا مرآة لما تحمله النفوس المضمرة وكما أن إصلاح المجتمع يبدأ من إصلاح الفرد، فإن إصلاح الأخلاق وتقويمها يبدأ من الدعوة إلى تزكية النفوس وتهذيبها ، وذكر ابن باديس في خطابه الدعوي جملة من التوجيهات والإرشادات لعامة المسلمين ليحفظوا دينهم و دنياهم ، و من أمثلة تلك الإرشادات والتي تحتوي القيم و المبادئ التي نص عليها الدين الإسلامي ، وهي من بين المقاصد الخمس الكبرى للشريعة الإسلامية ،نجد التوجيهات المتعلقة بحفظ العرض ، ففي حديث

[1] زهور ونيسي،الإمام عبد الحميد ابن باديس و نهضة أمة ،منشورات ألف ،الجزائر،ط 1 ،2015م، ، ص 262.

[2] – مسلم: مصدر سابق، حديث رقم: 1599.

ابن باديس حول كيفية الاستئناس بسنة و هدي رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنه يمثل القدوة و الأنموذج لجميع المسلمين[1]

وذكر في هذا الباب الحديث المروي عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها : « أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، تزوره في معتكفه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ، ثم قامت تتقلب-أي تمشي- فقام النبي صلى الله عليه و سلم —يقلبها-أي يرافقها في مشيها- حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار على رسول الله صلى الله عليه و سلم ،فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وانطلقا،فقال لهما النبي صلى الله عليه و سلم : على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي ، فقالا سبحان الله يا رسول الله —وكبر عليهما ذلك-، فقال لهما النبي صلى الله عليه و سلم : إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، و إني خشيت أن يقذف على قلوبكما شيئا »[2] .

وذكر ابن باديس أنه مثلما يتوجب على المسلم أن يقي عرضه من طعنات الألسن، بالسوء ،عليه أن يقيه كذلك من هواجس النفوس به ،فإن الهواجس مبادئ الظنون ، و الظنون مطايا الأقوال، و الأقوال سهام نافذة ،وقلما يثبت عرض على كثرة الرمي، و من خسر عرضه خسر قيمته و خسر كل شيء ، ولخطر هذه النهاية لزم الاحتفاظ على العرض من تلك البداية[3] .

وبين ابن باديس إلى أنه من الواجب على المسلم أن يدرأ عن عرضه كل ما يمس العرض بسوء ،وإن كان ذلك على وجه الكلام دون الفعل، "فلا ينبغي للمسلم أن يرى حيث تقع في أمره شبهة ،وتتوجه ضده تهمة، ولو كان في نفسه بريئا، وعن ما يرمى به بعيدا،فليس الإنسان يعيش في هذه الدنيا لنفسه فقط، بل يعيش لنفسه ولإخوانه،وإذا تعرض للتهم خسر نفسه وخسر

[1]- عبد الحميد بن باديس،على رسلكما إنها صفية،الشهاب،ج2 ،م10 ،غرة شوال 1352هـ-جانفي 1934م.

[2] -البخاري : صحيح البخاري ، رقم 3161 ، حديث صحيح

[3] -عبد بن باديس : مجالس التذكير من حديث البشير النذير،مصدر سابق،ص 270 .

إخوانه،وأدخل على نفسه البلاء منهم،وأدخل البلاء عليهم به، فكانت مصيبة على الجميع،و كان الضرر عائدا على الإسلام وجماعة المسلمين، خصوصا إذا كان المؤمن يقتدى به ويرجع إليه،فإن زوال الثقة به خسارة كبرى،وهدم لأركان الدين،وتعطيل لانتفاع الناس بما عنده من منافع في أخلاقه، أو علمه، أو فضائله، وإذا صادف وأن تواجد المرء في مكان فيه شيء من الشبه،وجب عليه المبادرة إلى التصريح بحقيقة تواجده،وحسن نواياه،وليس لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمن مكانته عند الناس ،ومع ذلك فإنه هو صلى الله عليه وسلم من بادر إلى شرح ذلك الموقف ليدرأ كل الشبه،ولا يجعل حظا للشيطان ليتمكن من الصحابيين في النيل من عرضه صلى الله عليه وسلم،ومنه وجب تبيين وتصريح المواقف،لضمان بقاء ثقة الناس ،وما في ذلك من خير للمرء،وللأمة[1]"

ودعا ابن باديس إلى الاهتمام كذلك بالنفس، والعناية بها، ومحاولة الاستفادة قدر الإمكان من النعم التي منَّ الله بها على عباده من الصحة، والفراغ، و قد بين ابن باديس عند شرحه لحديث النبي صلى الله عليه و سلم : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة و الفراغ [2]» أن عمر الإنسان أنفس كنز يملكه ،ولحظاته محسوبة عليه و كل لحظة يحصل فيها ثمرة بعمل مفيد، فقد أخذ حظه منها و فاز بحياته ،و كل لحظة تمر فارغة، فقد غبن حظه منها و خسرها ، و كذلك بدنه ، فهو أنفس آلة عنده ،وإنما فائدة الآلة بالعمل فإذا كانت في عمل فهو في ربح و زيادة، وإذا كانت في بطالة فهو في نقص وخسران ،فالرشيد النبيه هو من أحسن استعمال ذلك الكنز الثمين ، و تلك الآلة العظيمة فعمر و قته بالأعمال النافعة ، و داوم على استعمال ذاته فيما فيها ربحها، والسفيه الوضيع من أساء التصرف فيهما فأخلى وقته من العمل النافع، وعطل ذاته عن الشغل فخسرها [3] .

[1] عبد الحميد بن باديس :مجالس التذكير من حديث البشير النذير،مصدر سابق،،ص271.

[2]البخاري:صحيح البخاري،6412.

[3] –عبد بن باديس: مجلس التذكير من حديث البشير النذير،مصدر سابق،ص 175

وبعد أن بين ابن باديس أهمية الوقت و قيمته في حياة الإنسان و أن كل جزء من ذلك الوقت يمثل فرصة عظيمة للإنسان لكسب الفوائد الجليلة، والأرباح الطائلة ،فقد حدد بعدها صاحب "مجالس التذكير" أن أهم أمر يشغل به الإنسان وقته ، ويعمل على بناء حياته فيه هو طاعة الله سبحانه وتعالى و التقرب إليه بالطاعات و العبادات فذكر ذلك قائلا : « فإذا عمر الإنسان وقت فراغه من الكد لعيشه بطاعة من طاعات الله و استعمل بدنه مغتنما فرصة صحته فيها ، ثم عرض عليه شغلا من أشغال عيشه فقطعه عنها، أو طرأ عليه مرض فمنعه منها ، ولا زالت نية المداومة على تلك الطاعة باقية لولا الشاغل و المانع ، فإنه يكتب له في شغله و في مرضه ثواب ما كان يعمله في صحته و فراغه ، و الدليل على ذلك حديث البخاري : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا »[1] ،والسفر نوع من الشغل [2] ،فالفطن الكيس هو الذي يحسن استغلال وقته و يعمره بما ينفعه في الدنيا، والآخرة ،والحاذق هو من أدرك حقيقة الدنيا و عرف أنه مرتحل منها ، و أنها ليست دار إقامة ،ولا خلود فيها، و إنما هي دار استضافة و ما على الضيف إلا الرحيل طال الزمن أم قصر.

وضرب ابن باديس في ذلك أمثلة ونماذج عن أولئك الذين أدركوا حقيقة الدنيا، وأحسنوا استغلال ما أنعم الله عليهم من نعم كالصحة و الفراغ ، و عمروها بالطاعة فقال: "إن الذين يعمرون أوقاتهم كلها – أعمال القلب و أعمال اللسان و أعمال الجوارح–، فلا ينشغلون عن طاعة إلا بطاعة ،و لا يخرجون من عمل إلاَّ لعمل ، فإذا مرضوا صبروا و احتسبوا ، و أتوا بما يستطيعون، أولئك تتضاعف أجورهم بأعمالهم و بنياتهم و يربحون جميع حياتهم ، أولئك هم الفائزون سلك الله بنا، وبالمسلمين مسلكهم بمنه وكرمه [3]"، أي إن عبد الحميد بن باديس قد بين للمسلمين عامة،

[1] –البخاري : مصدر سابق،حديث رقم 2996.

[2] –عبد الحميد بن باديس: الصحة والفراغ: استغلالهما والاستفادة منهما ، الشهاب،ج2 ،م7 ، غرة شوال 1349 هـ..

[3] عبد الحميد بن باديس: الصحة والفراغ،المصدر السابق..

وللجزائريين خاصة أن حياة كل فرد منهم تعتبر قطعة نادرة وجب استغلالها في خدمة الدين الإسلامي و نشره ،و أن تلك الحياة لا تمثل أمرا شخصيا متعلقا بصاحبها ، بل إنها جزء من الكل المتعلق بمصير المجتمع المسلم و الأمة الإسلامية .

لذلك فإن كل فرد من أفراد المجتمع المسلم مسؤول عن كيفية وطريقة التصرف في فترة حياته فالإنسان يحي ويموت لله ،ولا يفضي إلى عمل أو جهد،بل إلى حركة أو سكون إلا لله،ثم يأتي بعد ذلك ما يسمى بالأولويات التي يشغل بها المرء وقته، فذكر ابن باديس مسألة هامة في هذا الشأن ،وأوردها بعنوان "لمن أعيش"،وجواب هذا السؤال ذكره ابن باديس بقوله : على أنه يجب على كل واحد منا أن يعيش للإسلام وللجزائر،وأوضح شبهة النظر الضيق،والتعصب للنفس والقصور في العمل والتقصير في النفع،التي قد تتبادر إلى البعض،فقد يقال أن هذا شيء من الأنانية،وبعد عن الإنسانية والقومية والأخوة المشتركة بين باقي الأجناس والأوطان،فرد ابن باديس على هذه الشبهة بقوله"نعم إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها والحدب عليها في جميع أوطانها و احترامها في جميع مظاهر تفكيرها و نزعاتها هو ما نرمي إليه ، و نعمل على تربيتنا و تربية من إلينا عليه فضل، و لكن هذه الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ، و تفعيلها دون واسطة ، فوجب إذن التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة و إيصال هذا النفع للجميع، و الإسلام هو دين الإنسانية الذي لا نجاة لها و لا سعادة تحصل لها إلا به ، و أن خدمتها لا تكون إلاّ على أصوله،وأن إيصال النفع للإنسانية لا يكون إلا من طريق الإسلام ، فإذا عشت له فإني أعيش للإنسانية لخيرها و لسعادتها ، في جميع أجناسها و أوطانها ، و أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي يربطني بأهله روابط الماضي و الحاضر و المستقبل بوجه خاص ،و تفرض عليّ

تلك الروابط لأجله –كجزء منه –فروضا خاصة ، و أنا أشعر بأن كل مقومات شخصيتي مستمدة منه مباشرة ، فلنقل كلنا ليحي الإسلام و لتحي الجزائر [1]».

ثم بين ابن باديس كيف أنه كان يوجه الخطاب الدعوي إلى الشعب الجزائري بصورة أخص دون الأمة الإسلامية، و الذي يبدو في ظاهره التحيز للشعب و للوطن دون الخوض في هموم الأمة الإسلامية ،فذكر بأن الدعوة الموجهة للفرد الجزائري هي تنطبق كذلك على باقي الأفراد في العالم و أن تخصيصه في الخطاب لمفهوم الجزائر دون العالم الإسلامي ما هو إلا من باب لفت نظر المخاطب و هو الفرد الجزائري المتواجد مع صاحب الخطاب سواء كان ذلك في الدرس المسجدي أو في النادي أو في المسجد بالنسبة لمستمعي خطب ابن باديس ، فقال ابن باديس : « ليس ما ندعو إليه و نسير على مبادئه من الإصلاح بأمر يخص المسلم الجزائري و لا ينفع به سواه ، كلا فإن صحة العقيدة و استنارة الفكر و طهارة النفس و كمال الخلق و استقامة العمل – و هذا هو الإصلاح كله– مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان ، وإنما نذكر المسلم الجزائري لأنه هو الذي قدر له أن يكون منا و نكون منه ، كما يكون الجزء من كله و الكل من جزئه ، فحاجته أشد وحقه أوجب [2] » .

إن الخطاب الدعوي لابن باديس الذي اهتم بإبراز القيم النفسية و الذاتية ، و التحلي بالخلق الحسن و الاتصاف بمكارم الأخلاق ، ما هو إلا دعوة من ابن باديس إلى الامتثال لنصوص الشريعة الإسلامية التي تؤكد على ضرورة الالتزام بالأخلاق الحميدة، وغرسها في المجتمع، فخطابه الدعوي إذن يمرر الأوامر الشرعية للمجتمع الإسلامي، والجزائر من جهة، و يخدم أبناء وطنه و أمته من جهة ثانية، فيحصل الخير من الجهتين، و يكون لانتشار تلك القيم بين المجتمع الآثار الطيبة التي تكون مدعاة للنهوض بالمجتمع و الأمة .

[1] عبد الحميد بن باديس:لمن أعيش؟، الشهاب،ج10 ، م12 ،غرة شوال 1355هـ جانفي1937م.

[2] – المصدر نفسه.

وفي هذا المقام تتجلى الكثير من الأبعاد الدعوية في خطاب ابن باديس الدعوي المتعلق بالتربية عن طريق إبراز القيم في مايلي:

1/ الدعوة إلى الاهتمام بالنفس من الجانب الروحي، والأخلاقي لإحداث التغيير على نطاق أوسع وأشمل ، استنادا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١ ﴾ الرعد: ١١ الرعد: ١١ ،فذكر ابن باديس " أن العناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس ، و أن نجاح الإنسان و خسرانه إنما يقاسان بصلاح نفس الإنسان و فسادها [1]"، مستدلا في ذلك بقول الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ الشمس: - 9.10-، وهو خلاف المدرسة الإصلاحية الاجتماعية التي ترى أن الإصلاح ينبغي أن يبدأ بتغيير المؤسسات الاجتماعية باعتبار أن الإنسان صار إلى ما صار إليه نتيجة العوامل البيئية المختلفة ، وابن باديس لا يتطرف في هذا الطرح، و يرى أن إصلاح المؤسسات الاجتماعية لابد أن يتساوى و إصلاح النفس و تغييرها و لكن ينبغي البدء بالإنسان أولا.

2/ القلب وعاء السلوك: فكما أن تقديم الإصلاح الفردي على الإصلاح الجماعي هو حتمية لتحقيق الإصلاح، فإن إصلاح القلب، والاهتمام بمعالجة الأدواء التي تحيط بغشائه، هي كذلك ضرورة حتمية لتقويم سلوك الفرد ،ذلك أن القلب هو موطن الذكر، ومحرك الفعل، والتصرف وبصلاحه يستقيم المظهر ، ويعتدل الخلق ويحسن العمل، وبفساد القلب، ينحرف المظهر ،ويسوء الخلق ويفسد العمل . و قد ذكر ابن باديس هذا المبدأ في كثير من مضامين خطابه الدعوي فقال"إن الأعمال هي دلائل الصلاح ،وأما الصلاح لا يكون إلا بها ،ولا يستحقه إلا أهلها ،و إذا

[1] عبد الحميد بن باديس:مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،مصدر سابق،ص101.

صلحت النفس قامت بالتكاليف التي تضمنتها هذه الآيات الجامعة لأصول الهداية ،فالأعمال الصالحة مرتبطة بتزكية النفس، وتهذيبها ،و كذلك فإن فساد الأعمال مرده لسوء الحال "[1].

3/تحقيق الإصلاح الاجتماعي لا يكون بمجرد إلقاء الدروس، والمواعظ على عامة الناس ، وإنما يكون نفعه أكبر، وأثره أوضح و أشمل ،عندما ينتقل من كل ما هو مكتوب و مرسوم في التراث الإسلامي إلى ما يعمل به في الواقع المعيش ،وما يراه الناس في حياتهم اليومية ،وقد ذكر ذلك ابن باديس في مجلة الشهاب[2] عندما فرق بين الإسلام التقليدي الوراثي الذي يدين به الكثير من الناس: و هو الإسلام القائم على مزاولة العبادات و الطاعات الموروثة عن الآباء و حصر الدين الإسلامي في تلك العبادات دون التفكر، والخشوع حتى في آدائها ،بينما نجد أن المعنى الحقيقي للإسلام هو أن يحمل المسلم المفهوم الصحيح للإسلام و المبني على إدراك رسالة الإسلام القائمة على تفحص مضامين الكتاب و السنة و تطبيقها في المجتمعات الإسلامية " ، وقد عمم ابن باديس في مقالاته بمجلة الشهاب الغرض من وراءه تحقيق الإصلاح الديني انطلاقا من إصلاح المجتمع الإسلامي،ولم يخصص المجتمع الجزائري دون غيره من المجتمعات التي تدين بالدين الإسلامي". [3] ، ودعا إلى التفكر في الآيات الكونية ،وربطها بالجانب التعبدي،و من ثم بذل الجهد في تفعيل كل ذلك وسط المجتمع و العمل على نشره و دعوة الناس إلى تطبيق ذلك في حياتهم ، وهو السبيل لبناء صرح الحضارة ، و تدعيم معالم العمران ، وهو الوجه الحقيقي لتحقيق سنة الاستخلاف في الأرض .

[1] عبد الحميد بن باديس،صلاح النفس و إصلاحها،الشهاب،ج5 ،م6،غرة محرم 1349هـ ،جوان 1930م.

[2] – عبد الحميد بن باديس، الافتتاحية، الشهاب ، ع3 ، 9 ذي الحجة 1345هـ،جوان 1927م..

[3] – محمد بهي الدين سالم : ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق ، القاهرة، ط1، 1968م ،ص50.

4/إبراز القيم الاجتماعية:

إن منهج التربية الذي قام عليه الخطاب الدعوي لعبد الحميد ابن باديس لم يقتصر على الجانب الروحي والفردي فقط، بل اشتمل أيضاً على توحيد صف المجتمع من خلال دعوته إلى تفعيل الخصال الحميدة التي غرست في كل فرد من أفراد المجتمع، والتحلي بها وإظهارها في وسط المجتمع فذكر ابن باديس: "حصول القوة والمنعة لا تتأتى إلا بتوفر شرط الجماعة المنتظمة التي تتشاور وتتآزر فيما بينها ، وأشار إلى حرمة الاعتداء على الآخرين أو على أموالهم وأعراضهم مستدلا في ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وحذر أيضاً من العجب واعتبره أصل هلاك المجتمع[1].

ثالثا :التربية عن طريق التعليم:انقسم العمل التربوي التعليمي لابن باديس إلى قسمين:

1–القسم الأول: وهو خاص بالتعليم المسجدي إلى جانب الدروس الوعظية التي كان يحظى بها عامة الناس وكذا الخطب المنبرية التي كانت تلقى أيام الجمعة وفي الأعياد فإن ابن باديس كان يلقي على مسامع الحاضرين دروسا في:"تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ودروسا أخرى في الفقه، والعقائد، وفي الآداب والأخلاق الإسلامية وكذا مبادئ وأوليات في علوم الآلة، من نحو وصرف وكذا دروس في المنطق والحساب وغيرها من العلوم العقلية "[2]، فاجتمع للمسجد الدور التعبدي الذي عرف به وكذا الدور التعليمي والتربوي الذي عمل ابن باديس من خلاله إحياء مجالس العلم، واستقطاب طلبته ومريديه، فتكون وتخرج من تلك المساجد أجيال تحصنوا بنور العلم وتربوا على الفضيلة.

2– القسم الثاني : خاص بالتعليم المدرسي وضع ابن باديس منها جانبا تعليميا خاصا بالطلبة الوافدين إلى المدارس التي كان يشرف عليها ابن باديس وقد شمل هذا المنهاج " تقويم الطلبة

[1]–أنظر عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،مصدر سابق،ص96.

[2]–عبد الحميد بن باديس: الدروس العلمية الإسلامية بقسنطينة، الصراط السوي،ج4، 2 رجب 1352هـ/ 21 أكتوبر 1933م.

وتقييمهم إلى مستويات يراعى في ذلك التقييم أعمار الطلبة وجنسهم ومستوياتهم التعليمية "[1] ، فبالإضافة إلى دروس المسجد التي كان يحضرها الطلبة، فإنهم كانوا يتلقون أيضاً دروسا، وهي الأكثر توسعا والأدق تخصصا من تلك الدروس التي كانوا يستمعون إليها في المسجد، ومنها : دروس في الفقه، والحديث، التاريخ الإسلامي، الحساب، الفلك، الجغرافيا والبلاغة"[2].

ولم يغفل ابن باديس أهمية تعليم المرأة وتثقيفها، تلك المرأة الجزائرية :" التي حرمت من كل شيء فأصبحت فريسة سهلة للبدع والخرافات،وأصبح نشاطها الاجتماعي يقوم على نقل الأحجية وحرق البخور وزيارة الأولياء والقبور"[3]، فذكر ابن باديس أن النساء شقائق الرجال في التكليف فمن الواجب تعليمهن ،فقد علمهن النبي صلى الله عليه وسلم وأقرهن على طلب التعلم ،واعتز بهن، كما لايجوز اختلاط النساء بالرجال في التعلم،فإما أن يفردن بيوم منفصل عن الأيام التي يدرس فيها الرجال،وإما أن يتأخرن عن صفوف الرجال[4] .

وعمد ابن باديس إلى رد الاعتبار للمرأة الجزائرية وفتح لها أبواب طلب العلم وتحصيله، فهي الأم والبنت والأخت، وذكر أنه: من الواجب علينا أن نعتز بتعليم بناتنا تعليما يحفظ علينا مستقبلنا ويكّوّن لنا الرجال العظماء والنساء العظيمات"[5]، وخصص دروسا للنساء وربات البيوت، كما وضع منهاجا خاصا بالبنات."وأنشأ مكتبا لتعليم الأطفال والفتيات في جمعية التربية والتعليم الإسلامية"[6]، وكان ابن باديس يهدف من وراء عمله التربوي إلى تكوين جيل أو أجيال مسلحة بعقيدة سليمة

---

[1]- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان: مرجع سابق، ص266، بتصرف.

[2]- محمد بهي الدين سالم: مرجع سابق، ص103.

[3]- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط 1، 1985م، ص80.

[4]- عبد الحميد بن باديس، حق النساء في التعلم ،الشهاب، ج2،م15،صفر 1358هـ-مارس 1939م.

[5]- المصدر نفسه.

[6]-عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، دار مداد،فسنطينة،الجزائر،ط1 ،2009م،ج1 ،ص41.

وفكر مستنير ووطنية صحيحة؛ كي تعمل-أي تلك الأجيال- على بعث النهضة في المجتمع الجزائري ،لأن هدفه البعيد هو تغيير الواقع الجزائري من خموله وسلبياته، إلى نشاطه وإيجابياته ولا مناص إلى ذلك إلا بتحرير العقول من الجمود والجهل[1].

لقد ربط عبد الحميد ابن باديس بين مفهوم التعليم و مفهوم التربية والتكوين، و زاوج بينهما في تقديمه لخطابه الدعوي، و اعتبر ابن باديس أن التعليم و التربية أمران مهمان للغاية في حياة الفرد و المجتمع الجزائري ،والأمة الإسلامية، وعمل ابن باديس على تفعيل دور التعليم و التربية، وإعطائه القدر الذي يليق به في مجابهة الاستعمار، و كل ما ترتب عليه من آفات كالجهل و الضلال الفكري و الديني ، و أكد على أن "قدرة التعليم تكمن في غرس القيم و قلب الأوضاع السلوكية على مستوى الفرد و المجتمع [2]، فسعى في ذلك الأمر من خلال فتحه للكتاتيب و المدارس،دون أن يستثني جنسا معينا أو فئة عمرية، وجعل العلم متاحا لكل من أراد أن يطلبه،وانتهج في ذلك النهج الإسلامي البحت القائم على إعطاء الأولية لتعليم الأصول الشرعية للناس.

لم يزدري ابن باديس من شأن المرأة التي كانت في ذلك الزمان أشبه ما تكون إليه في زمن الجاهلية ،أين أخذ منها الكثير من الحقوق ، أبرزها التعليم ،فخصص ابن باديس حلقات من المذاكرة، والتلقين للنساء وصغار الطالبات، وكان أيضا يشجعهن على تحصيل العلم و رفع الجهل ، وكان يذكرهن كذلك بدورهن الأساسي في المجتمع ، وأنهن مصانع الرجال، والأمم، وبهن تؤسس الحضارات و الأوطان ،وكان تكوينه للنساء تكوينا يجمع بين تشجيعهن على طلب العلم ، وتعزيز ثقتهن بأنفسهن من جهة، ودعوتهن لالتزام الحشمة والحياء، وطاعة أزواجهن من جهة أخرى ، وهذا ما نفتقده اليوم في المدارس والجامعات الإسلامية ، أين نرى كيفية استغلال المرأة من جانب التحرر والإدعاء بمواكبة العصر، وأن المرأة مثل الرجل لها من الحقوق ما له ، و يترتب عليها من

[1]- عبد الكريم بوصفصاف،: المرجع السابق، ص405.

[2] -محمد المبلي : ابن باديس و عروبة الجزائر،منشورات وزارة الثقافة ،الجزائر،2007،ص53 .

الواجبات ما يترتب على غيرها من الرجال، وهذا في حقيقة الأمر ظلم وتعسف في حق المرأة كونها غير قادرة على الجمع بين الكثير من الواجبات التي فرضها عليها المجتمع في هذا العصر الفوضوي ،فتم حدوث تداخل بين حقوق المرأة ، وواجباتها ،ولم يضبط حريتها ، لتصبح بذلك فريسة لبقايا الثقافة الغربية الممسوخة ،وأزال عن صورة المرأة معالم الرقة و الحياء التي فطرت عليها .و اغترت بالنزر القليل من العلم الذي حصلته في بعض الهيئات التعليمية ،وترفعت عن طلب الواجب منها من العلوم الشرعية ،وحتى الدنيوية على الوجه الذي يعود عليها و على مجتمعها بالنفع و الفائدة .

إن الصيغة التعليمية التي قدمها ابن باديس لأبناء زمانه و أمته القائمة على الجمع بين التربية و التعليم، قد ضاع الكثير منها اليوم في المؤسسات التعليمية بالمجتمعات الإسلامية، وقد ظهرت آثار ذلك الغياب جليا وبصورة أوضح وأبلغ في ما يخص المرأة، فأضحى المجتمع كله يعاني من تلك الضريبة التي جاءت بعد أن استغنى ذلك المجتمع على أصول، ومضامين التربية و التعليم التي كانت موروثة عنده، والتي جاءت من قبل خيرة علمائه ومفكريه ودعاته، ولجأ إلى أصول التعليم الغربي الذي لم يعد عليه إلا بالوبال والضياع.

المطلب الثالث: المضامين السياسية:

مثلت الفترة التي عاشها عبد الحميد بن باديس منعرجا في التاريخ السياسي للجزائر؛ كون هذه الفترة مهدت للثورة الجزائرية التي كللت بالاستقلال، هذا الاستقلال الذي جاء بعد تظافر الجهود من قبل النخب السياسية في الجزائر وعلى رأسها عبد الحميد بن باديس، الذي كان له الدور الكبير في وضع معالم الخارطة السياسية وإعداد الشعب للإيمان بأحقيته في تسيير بلاده بنفسه، فتضمنت خطابات ابن باديس السياسية مايلي:

أولا:وضع المبادئ السياسية:تمثلت أهم المبادئ السياسية التي وضعها ابن باديس فيما يلي:

أ-رفض سياسة الاستعمار الفرنسي:

تضمن الخطاب الدعوي في المجال السياسي لعبد الحميد بن باديس الاحتجاج على السياسة الفرنسية المفروضة على الشعب الجزائري وكان هذا الاحتجاج " يصطبغ بالصفة القانونية في حال ورود الخطاب السياسي لابن باديس في الجزائر والمجلات أو الجمعيات التي كان يشرف عليها ابن باديس؛ وذلك لضمان المحافظة على هذه الهيئات وحمايتها من التوقيف أو المصادقة، وتتصاعد حدة هذه الاحتجاجات خارج هذه الهيئات، فكانت خطاباته تعبر عن العداء الشديد الذي يكنه ابن باديس للمستعمر الفرنسي وهو ذات العداء الذي يحمله كل جزائري حر لهذا المستعمر البغيض[1]".

وقد أعلن ابن باديس عدائه الشديد وبغضه الجسور للاستعمار الفرنسي بداية من تصريحه" بجرم التجنس بالجنسية الفرنسية "،ودعوته إلى المسارعة للتوبة من خطيئة التجنس،وذكر كذلك جرائم الاستعمار الفرنسي في العديد من مقالاته التي تفضح فرنسا وسياسته الاستعمارية في الجزائر[2].

ب– الوطنية:

إن أول تعبير لابن باديس حول قضية الوطن وحقوق المواطن هو الشعار الذي حملته أول صحيفة كان يديرها ابن باديس سنة 1935 وهي جريدة المنتقد بشعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء[3]"،وهو شعار جريء في فترة كان الوطن فيها بأمس الحاجة إلى التضحية والتصريح بمثل هذه الشعارات، ثم إن ابن باديس لم يتوقف عند هذا الشعار بل إنه تطرق إلى قدسية الوطن في الكثير من مقالاته وأشهرها مقالته الموسومة بـ " **الوطن والوطنية**" أين اعتبر فيه " الوطن بمثابة البيت الكبير ،فكما أن البيت الذي يعيش فيه الفرد مع أسرته لا يقوم إلا على الحب والتضحية؛ فإن البيت الكبير الذي هو الوطن أشد احتياجا للتضحية، والشعور بروح الانتماء للوطن لا تقل أهمية عن روح

[1] بهي الدين سالم:مرجع سابق،ص59.

[2] – ابن باديس: التجنس والتوبة منه، البصائر، ع:95، س3، يناير1938م

[3]– عبد الكريم بوالصفصاف، مرجع سابق، ج3، ص228.

الانتماء للأسرة"[1]. وتقديم مصلحة الوطن- والتي سماها ابن باديس بالمصلحة العامة- على المصلحة الخاصة من أبرز المبادئ التي دعا إليها ابن باديس في خطابه السياسي فقال: " عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجد للشر ثغرة، ويتحتم حينئذٍ التآزر والتآلف حتى تزول الشدة وتنفرج الأزمة"[2].

والوطنية تتطلب الدفاع عن كرامة أبناء وطنه والذود عن حقوقهم وحرياتهم، فابن باديس يدعو إلى مواجهة الاعتداءات التي كان يتعرض لها الشعب الجزائري من قبل الاستعمار بالاعتداء على حريته؛ هذه الحرية التي تمثل حياة الإنسان فمقدار ما عنده من حرية هو مقدار ما عنده من حياة"[3].

وبهذا يكون ابن باديس قد استنهض همم الجزائريين في الدفاع عن إنسانيتهم وأحقيتهم في ممارسة حرياتهم السياسية التي تقرر مصيرهم ومصير وطنهم، وتهيئة الشعب للمشاركة في العمل السياسي هي نوع من أنواع حفظ الكرامة والعزة للشعب والوطن.

ج- محاربة سياسية الاندماج:

صرح ابن باديس في هذا الجانب قائلا: " إن سياسة الاندماج بعيدة عن الأمة وعن أخلاقها وعقائدها"[4]. وأكد ابن باديس على التمسك بالوطن، وإلزامية التنكر لفرنسا وعدم الانتماء إليها حتى وإن جاء هذا الموقف على مراحل وفترات زمنية . إلا أن موقفه تجاه الاستعمار الفرنسي حسم في مقال " الوطن والوطنية" بعد التساؤل الذي طرحه قائلا: " هل آن أوان اليأس من فرنسا"[5]، وهو تساؤل عميق يحمل في ثناياه رسائل واضحة المعالم للشعب الجزائري وهي أن مسألة حتمية، وأن الحل الوحيد لإخراج الجزائر من الأوضاع المزرية التي تعيشها ليس بالانضواء تحت جناح فرنسا وإنما

---

[1]- عبد الحميد بن باديس: الوطن والوطنية:الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيئ، الشهاب، "ج7، م13،سبتمبر 1937 م.

[2]- عبد الحميد بن باديس: ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان، الشهاب،ج5 ،م8 ،غرة محرم 1351هـ ،ماي 1932م.

[3]- عبد الحميد بن باديس،آثار ابن باديس،مصدر سابق، ج5، ص182.

[4]-عبد الحميد بن باديس:لمن أعيش الشهاب، ج10، م11 ، 21 جوان 1928، ، ص152.

[5]-عبد الحميد بن باديس: " الوطن و الوطنية" ،الشهاب، ج7، م13، مصدر سابق.

هو الشعور بكيان الجزائر وتطبيق هذا الشعور وتجسيده في طلب الاستقلال عن فرنسا . وختم مقال " الوطن و الوطنية " بدعوة الشعب الجزائري للعودة إلى دينه الإسلام ي وتاريخه ومراجعة نفسه، ثم الاتكال على الله والاعتماد على النفس"[1].

وهي إيماءات واضحة لرفض الاستعمار جملة وتفصيلا، والمناداة بالثورة والتمهيد لها. كما أوضح ابن باديس أيضاً موقفه تجاه التجنيس ،وبدا صارما تجاه هذه القضية التي تمس ثوابت الوطن والدين فأصدر ابن باديس فتوى بطلب من لجنة الفتوى التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وأقر فيها مجموعة من الفتاوى والبنود التي تنص على: " أن التجنيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما شرعيا فهو مرتد، والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى على نفسه وعلى ذريته"[2].

ثانيا: أصول الحكم عند ابن باديس:

أ-إن الولاية أو نظام الحكم يقتضي عموم النظر وشمول التصرف في روابط الناس ومعاملاتهم، على أصول عادلة تكفل لكل فرد حصوله على حقه، وتضمن له العيش في سلام وأمان" [3]، وفصل ابن باديس بين الملك النبوي والملك البشري، فالملك النبوي يمثل مصدر الخير ويقوم على العدل والرحمة، بخلاف الملك البشري الذي يغلب عليه طبع الأنانية، والكيل بمكاييل مختلفة، والتعصب والانحياز"[4].

ومن بين أهم الأصول التي ذكرها ابن باديس في السياسة والحكم؛ أصل الشورى وعدم التعصب للرأي ووجوب الاستماع إلى رأي الناصح، ولو كان من عامة الناس.

---

[1]- نفس المصدر و العدد.

[2]- عبد الحميد بن باديس: البصائر، عدد 95، سلسلة 3 من السنة الأولى، 14 جانفي 1938.

[3]- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص10.

[4]- المصدر نفسه، ص12.

وضرب ابن باديس في ذلك مثالا فسرد قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابي " الحباب بن المنذر" في غزوة بدر فبعد نزول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر في موضع ،استعدادا لملاقاة المشركين أشار الصحابي الجليل " الحباب بن منذر"[1] على الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير موقع النزول وأعطى في ذلك الحجة لتعزيز رأيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي الحباب بن المنذر، وغير موقع الجيش وأظهر للأمة دور الشورى والأخذ بآراء ذوي العقول والنهي، ومشاركتهم في آرائهم ولو بالمناقشة، ليتبين الأصلح والأنسب للأمة، وقد أشار إلى ذلك ابن باديس بقوله: " قد عصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فلا يستقر أمره في جميع سياسته وتدبيره إلا على أحسن الوجوه بما يهدي إليه من نفسه، وما يرجع إليه مما يشير به أصحابه. والحكمة في ذلك أن يبين لأمته حرية إبداء الرأي في الشؤون العامة من الكبير والصغير والرجوع للصواب إذا ظهر من أي أحد كان، هذا الأصلان–حرية إبداء الرأي من طرف جميع أفراد الرعية والرجوع إلى الصواب من طرف الحاكم–، عليهما تبنى سعادة الأمة و يؤسس لمجدها وعظمتها ،وبهما تشعر الأمة بالوحدة ، ومنهما كذلك تستمد الأمة النظم اللازمة لها في حياتها، وقد قررهما الإسلام وبينهما النبي صلى الله عليه وسلم تبيانا علميا في قصة الحباب بن المنذر مع بئر بدر[3]".

وهذا توجيه دعوي يخص العلاقة التي يجب أن تكون بين الحاكم وبين الرعية، فضلا عن علاقة الحاكم مع وزرائه ومستشاريه، وفي حياة السلف الصالح وخصوصا منهم الحكام والخلفاء أصدق الأمثلة وأنجح النماذج التي أظهرت للأمة أهمية التواضع و الاستماع إلى الآراء ووجهات النظر،ومن ثم تمحيصها،والأخذ بالرأي الذي يناسب حال الأمة وينفعها.

[1]– الحباب بن المنذر:هو الصحابي الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب الأنصاري الخزرجي،يكنى أبا عمرو،شهد بدرا،شهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،يقال عنه أنه صاحب رأي وحكمة،توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه،–شمس الدين الذهبي ،مرجع سابق ،ص242.

[2]–ابن هشام:السيرة النبوية،تعليق:عمر تدمري ،دار الناشر،لبنان ،ط3 ،1990،ج2، ص284.

[3]عبد الحميد بن باديس:رجال السلف و نساؤه،الشهاب،ج1،م11،مصدر سابق.

ومع غياب هذين الأصلين الهامين في الحكم-أصل الشورى ،وأصل الأخذ بالرأي المناسب والرجوع إليه حتى وإن قام الحاكم بخلافه في بادئ الأمر-،فإن الدعاة والعلماء اليوم مطالبون بتوجيه الأمة ،وحمل مسؤولية النصح لعامة المسلمين وخاصتهم، وإقناع أولي الأمر بأهمية الشورى،وفائدة الاستماع لوجهات النظر المختلفة التي تصدر من الرعية ،وخاصة إن كانت من طرف من يتصف برجاحة العقل وقوة البصيرة،والذين لن تخلو الأمة من أمثالهم أبدا إلى الآراء ووجهات النظر، ومن ثم تمحيصها والأخذ بالرأي الذي يناسب حال الأمة وينفعها ومع غياب هذا الأصل الهام في الحكم – الشورى والاستماع إلى آراء ذوي الحكمة والرأي السديد بالبلدان الإسلامية-، فالدعاة والعلماء اليوم مطالبون بتوجيه الأمة، وحمل مسؤولية النصح لعامة المسلمين ولخاصتهم، وإقناع أولي الأمر بأهمية الشورى وفائدة الاستمتاع لوجهات النظر المختلفة التي تصدر من الرعية وخاصة إن كانت من قبل من يتصف برجاحة العقل ونور البصيرة والذين لا تخلو الأمة من أمثالهم.

وضع ابن باديس شروط لقيادة الأمة والإمساك بزمام الأمور، انطلاقا من تفسيره لقصة النملة مع سيدنا سليمان في سورة النمل، فالنملة مثلت دور القائد الناجح، والحاكم الناصح، لما اتصفت به من فراسة، واستشراف لما سيقع ،وذلك بقراءة المعطيات التي تلقتها، والأحداث التي ترقبتها ولم تغفل عنها، لتصل إلى نتيجة مفادها إنقاذ أمتها من الهلاك المحتم، ومن هذه القصة استخرج ابن باديس سنة كونية في نجاح قيادة الأمة وأن هذه السنة جرت وتجري على خلق الله وهي أنه: " لايصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلا من كان عنده بعد النظر، وصدق الحدس وشدة الفراسة، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها، ما يجعله يمتاز به عن غيره. ويكون سريع الإنذار بما يحس ويتوقع"[1]، وهي المعايير والصفات القيادية التي وجب على كل حاكم إسلامي أن يتحلى بها، وعلى الأمة كذلك أن تختار الرجل الذي يحمل هذه المواصفات ويتميز بهذه الخصال ليقدر على تحمل أعباء

[1]- عبد الحميد بن باديس:مجالس التذكير من حديث البشير النذير ،مصدر سابق ،ص28.

أمته وأن يخدم دولته وشعبه على الوجه الصحيح والكامل فهو رأس الدولة، وبه يحصل للأمة رقيها وازدهارها أو بسببه تتخلف الأمة وتضعف.

ثالثا: السياسة الداخلية:

1- التعرض للمشاكل السياسية في الجزائر:

أ) اتفق ابن باديس مع صديقه الابراهيمي في دراستهما للأوضاع في الجزائر على أن البلوى الحقيقية للجزائر تكمن في أمرين:

- **الاستعمار المادي:** وهو الاستعمار المعتمد على النار والحديد ،وهو استعمار قديم ،يتم فيه استخدام القوة والعنف ،وتراق فيه الدماء، ينطلق من مبدأ الاستيلاء على الأراضي والثروات والقبض بيد من جديد على دواليب الحكم والرياسة في البلد المستعمر ومن ثم إذلال الشعب المستعمر ،ويتم فرض الأعباء عليه واستغلاله أسوأ استغلال.

- **الاستعمار الروحاني:** وهو يمثل بعض من يدعون المشيخة، ويتم تدعيمهم من طرف الاستعمار المادي، ليخدموا المشاريع والتوجهات السياسية لفرنسا" [1] ،وهي دعوة إلى العمل معا والتكاثف لمواجهة هذين العدوين اللذين يشكلان خطرا على الوطن وعلى الشعب الجزائري.

ب) الرفض القاطع للقوانين والقرارات المنبثقة من قبل الإدارة الفرنسية حول النشاط السياسي، وبالخص ضد قرار مارسيل رينيه [*] ، ليظهر بعد ذلك ابن باديس كناطق رسمي باسم المضطهدين المحرومين من الممارسة السياسية"[2].

ج) مساهمته في تهدئة الأوضاع وإخماد نار الفتنة بعد اعتداء اليهود على بعض السكان في قسنطينة مع إنكاره لهذا الاعتداء الذي مس مقومات الشعب الجزائري، وتعرض اليهود للدين

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،مصدر سابق،ج5 ،ص17.

[*]- مارسيل رينيه: وير الداخلية الفرنسي في فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق،ج3، ص108.

الإسلامي بالسب والشتم، حيث ذكر ابن باديس حاثة الاعتداء الذي شنه مجموعة من اليهود على المصلين الذين كانوا يرتادون الجامع الأخضر ،وذلك يوم السبت إثر صلاة العشاء،وكيف قاموا برمي كل ما سقط في أيديهم على المصلين. [1] و أورد ابن باديس مدى سماحة الإسلام وسماحة المسلمين الجزائرين ،وكيف أعطى المسلمون الأمن والعهد لليهود في حرية التصر في دولة مسلمة وهي الجزائر،فقال:إن فتح أسواق الخضر الإسلامية كعادتها وتعاطي المسلمين البيع والشراء مع اليهود واليهوديات،دليل قاطع على أن المسلمين كانوا لا يحملون العداء لليهود،ولم يبيتوا لهم على أمر الاعتداء عليهم ،وإنما كان الاعتداء من طرف اليهود ذاتهم[2].

2) المطالبة بحق التمثيل:

نادى ابن باديس بأحقية الشعب الجزائري في المشاركة السياسية، والانتخابات، خصوصا في ظل الانفتاح السياسي الذي يشهده العالم بعد الحرب العالمية الأولى، وكيف أعطت الدول لمستعمراتها حقوقهم السياسية وحرية التعبير عن آرائهم والإدلاء بأصواتهم، [3] وسخر ابن باديس من ردود فرنسا، وتذرعهم بنقص كفاءة الشعب الجزائري، وعدم قدرته على التعبير عن مطالبه وحقوقه، فكفته الإدارة الفرنسية مؤونة ذلك" [4]، وكان ابن باديس كثيرا ما يسلط الضوء على حق الشعب في التمثيل السياسي في أثناء اجتماعه مع أعضاء جمعية العلماء المسلمين أو مع النخب السياسية الجزائرية، وكان يطالب الإدارة الفرنسية بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين في المشاركة السياسية للجزائر، ويرفض وصاية الأحزاب الفرنسية التي تدعى الديمقراطية وتتغنى بها[5].

---

[1]-عبد الحميد بن باديس: فاجعة قسنطينة"،الشهاب،ج4،م14،ربيع الثاني وجمادى الأولى 1358هـ.

[2]-عبد الحميد بن باديس:استنتاجات وتحليلات، الشهاب ،غرة جمادى الثانية 1353هـ،ديسمبر1932م .

[3]- عبد الحميد بن باديس: آثار عبد الحميد،مصدر سابق، ج 2، ص50.

[4]-عبد الحميد بن باديس:الانتخابات وتمثيل الأمة ،المنتقد ، ع16، س1، الخميس 26ربيع الأول 134هـ/ 15أكتوبر 1925م.

[5]-عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس ،مصدر سابق،ج5،ص259.

رابعا:السياسة الخارجية:

أ- موقفه من الخلافة العثمانية:

يفصل ابن خلدون بين مفهوم الخلافة ومفهوم الملك، فالخلافة عنده هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالح الدنيا والآخرة، فالخليفة يمثل حارس الدين ويسوس دنيا العباد بهذا الدين، أما الملك فهو حمل الكافة على مقتضى الشهوة، وهذا الحمل يكون على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح ودفع المضار الدنيوية [1]، وقد سار ابن باديس على هذا المفهوم، وكانت له نفس الرؤية التي عالج من خلالها موضوع الخلافة العثمانية، فرغم أنه كان يعترف للدولة العثمانية بالفضل في التقدم وإقرار الأمن والاستقرار في الجزائر، إلا أنه ينتقد نظام هذه الدولة التي أصابها الضعف وتفشى فيها الفساد[2].

ويرى ابن باديس أيضا أن الخلافة الإسلامية كانت حصنا منيعا للإسلام والمسلمين، وأن التخلف والانحطاط اللذان اتصف بهما دول الإسلام ليس بسبب الدولة العثمانية، أو الخلافة كنظام وهيئة، وإنما مرد ذلك إلى "عدم الأخذ بأسباب التمكين من التمسك بسنن النصر، وكذا الوهن الذي دب في الأفراد والنفوس قبل أن ينخر المجتمع والدولة ككل" [3]. والدولة العثمانية في نظر ابن باديس تمثل سلطنة ولا يمكن الاعتراف بها كخلافة، ذلك أن أغراض الدولة العثمانية أصبحت سياسية ودنيوية، وأن شهوة الملك وغريزة التمدد والتوسع جرى في عروق آخر حكام الدولة العثمانية، "هؤلاء الحكام الذين اتهمهم ابن باديس بالتواطؤ والخيانة، وخدمة السياسة الإنجليزية"[4].

---

[1]-أنظر عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون ،تحقيق:خليل شحادة،دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت، 2001م،صص 200- 202.

[2]- عبد الكريم بوالصفصاف،،مصدر سابق،ج3، ص313.

[3]-عبد الحميد بن باديس:آثار ابن باديس، مصدر سابق،ج.1، ص201.بتصرف.

[4]- عبد الله شريط:منهجية في بحث الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده، مجلة حوليات الجزائر،جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر مجلد1، عدد1،1986م، ص24.

كما ذكر أن إلغاء الأتراك للعثمانية، لم يكن ذلك إلغاء للخلافة الإسلامية، إنما هو إلغاء لنظام حكومي خاص اغتر به الكثير من المسلمين، واستغله الكثير من الدول الغربية لضرب الأتراك وخداع الدول الإسلامية بأن الغرب أسقط الخلافة الإسلامية،وضرب بذلك عنق الإسلام"[1].

ب) موقفه من قضايا الأمة العربية وفلسطين:

أبدى ابن باديس اهتماما واضحا باللغة العربية وبالعرب، وأفرد جزءًا خاصا في تفسيره سماه بـ" **العرب في القرآن الكريم** "وربط فيه بين مدنية العرب قبل مجيء الإسلام، والتاريخ العريق والحضاري الذي كان يحظى به العرب، وضرب أمثلة في ذلك كحضارة عاد، وحضارة ثمود ،وفي عناية القرآن بإحياء هذا السؤدد في نفوس العرب، تهيئة لهم وإعدادهم لسياسة البشر و حلم ونصرة هذا الدين الذي سيبلغ أقصى الأرض وأدناها، وبه سيحصل للعرب الشرف كون اصطفاء الله لخير الرسل وخصه بخير الكتب، واشتراكهما- أي الرسول والقرآن في كونهما جاءا بلسان عربي مبين. لينتقل ابن باديس من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر الذي عرف انتكاس وخضوع أغلب الدول العربية إلى سلطة الاستعمار ويقول في ذلك:" ....وكيف فقدت الأمة العربية عزها بسبب هذا الاستعمار، الذي يمثل أكبر عائق لتوحيد صف الأمة العربية وإقامة ما يسمى بالوحدة العربية"[2].

فالشرط الأساسي إذن لإقامة الوحدة العربية هو التخلص أولا من قيود الاستعمار، وحصول الدول العربية على سيادتها في أقاليمها، وهو بذلك لايثبط من عزائم الذين ينادون بإقامة الوحدة العربية، بل إنه يدعوهم أولا إلى تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق الوحدة، وذلك بالعمل على تحرير الشعوب العربية لأوطانها أولا ثم التفكير بعدها في لم شمل العرب تحت راية واحدة وهي راية العروبة وأبانت خطابات ابن باديس السياسية عن انتمائه المغاربي ومساندته للحركات السياسية القائمة في

[1]-عبد الحميد بن باديس:العرب في القرآن الكريم، الشهاب،ج11، م13، غرة ذي القعدة 1356هـ، جانفي1938.

[2]-ينظر:عبد الحميد بن باديس: هل بين العرب وحدة سياسية"، المصدر نفسه.

كل من تونس والمغرب وعبر عن تضامنه مع القضايا السياسية المغاربية ، دون أن ينسى " الحركات الإصلاحية في الدول العربية الأخرى الشقيقة كبلاد الرافدين ومصر"[1].

وكانت لفلسطين ولا تزال مكانة كبيرة عند المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الارتباط الديني بها، فإليها كان مسرى النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي شهدت معراجه إلى السماء السابعة، كما سطرت في التاريخ الإسلامي صفحات عبرت عن بطولات قادة المسلمين حملوا على عاتقهم حماية فلسطين ونصرتها، وعليه سار الكثير من المصلحين من خلف هذه الأمة كابن باديس الذي صرح أن" الدفاع عن القدس واجب على كل مسلم"[2].

هذا التصريح إنما يدل على إحساس ابن باديس، والشعب الجزائري بالآلام والأوجاع التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني وكذا الخيانة التي ظهرت من قبل الكثير من الحكام والقادة العرب، والخوار الذي أصابهم في نصرة فلسطين وشعبها.

وبهذا يكون عبد الحميد بن باديس قد جمع بين التضحية في سبيل وطنه الجزائر، وبين الانتماء إلى أمته العربية والإسلامية فكان منه أن بذل حياته وعلمه في سبيل توعية الشعب الجزائري ومطالبة السلطات الفرنسية بإعطاء هذا الشعب كل حقوقه وحرياته ثم سعى بعد ذلك إلى التأكيد على ضرورة الانتماء إلى الامة العربية والإسلامية والشعور بآلامها وجراحها رغم الظروف القاسية التي يمر بها الشعب الجزائري.

[1]- ينظر:عبد الحميد بن باديس:بعد مصر والعراق ، الشهاب،ج3 ،م12، غزة ربيع الأول 1355هـ، جوان 1936.

[2]- عبد الحميد بن باديس: فلسطين الشهيدة، الشهاب، ج6، م14، جمادى الثانية 1357هـ، 1938م.

المبحث الثاني: مضامين الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب

شغل الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب دوائر ومجالات متعددة على المستوى الداخلي والخارجي، واشتمل هذا الخطاب أصولا وقواعد تتعلق بالشؤون الدينية والدنيوية ليتبلور مضمون الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب كالتالي:

المطلب الأول: المضامين الدينية والعقدية

واشتملت هذه المضامين على ما يلي:

الفرع الأول: القرآن الكريم

إن المنطلق الذي اعتمد عليه سلف هذه الأمة وخلفها، للفصل في كبرى القضايا ودقائقها؛ هو الرجوع والاحتكام إلى القرآن الكريم، واستخراج الشواهد منه، ثم إدراج ما استشكل عليهم فهمه من القضايا والنوازل مع ما كان بين أيديهم من النصوص القرآنية التي تعالج مثل تلك القضايا، فكان القرآن سببا لإزالة اللبس والغموض الذي غشي مدارك الناس، وحارت عقولهم لإيجاد مناقد وحلول للكير من مسائلهم، قد كان ولا يزال القرآن مع كل هذا مقصدا لرجاء حصول البركة، ومطلبا للشفاء من الأسقام الروحية والبدنية، فاعتنى به الكثير من المصلحين وجعلوا منه منهاجا يسيرون وفقه، ولا يتخطون سبيله ولا يحيدون عنه، وكان للقرآن نصيب وافر في مضامين الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب فكتابه " **فضائل القرآن**[1]" تضمن إثني عشرة بابا تحدث فيها المؤلف عن فضائل القرآن والكرامة والمنزلة التي يحظى بها أهل القرآن، مستدلا ببعض الآيات والأحاديث التي تقر بفضل القرآن وتعد أهله بالخطوة والمكانة الرفيعة، كما حذر المؤلف من بعض التصرفات أو الاعتقادات التي يقع فيها القرّاء كالرياء والجدال في القرآن[2]".

[1]- ابن عبد الوهاب: فضائل القرءان، تح: عبد العزيز زيد الرومي وصالح بن محمد الحسن، المركز الإسلامي، مصر، ط 1، د. ت

[2]- ابن عبد الوهاب: فضائل القرءان، مرجع سابق، ص18- 25- 29.

وأنشأ ابن عبد الوهاب مؤلفات أخرى تضمنت تفاسير لبعض سور القرآن الكريم، وتضمن مجموع ما فسره ابن عبد الوهاب ونقل إلينا ثلاثة وعشرون سورة، اختار من كل سوره بعض الآيات، وقام بشرح معانيها وله كتاب خاص بتفسير سورة الأنفال، عمد ابن عبد الوهاب في " هذا الكتاب وفي غيره من الكتب التي حوت تفسير بعض آيات القرآن الكريم[1]" إلى معالجة بعض المسائل الدينية "كالصلاة والسيرة وقصص الأنبياء، وكذا بعض الأدواء التي قد تصيب الفرد والمجتمع كالسحر والحسد وظلم اليتيم واحتقاره [2]"وغيرها من المواضيع التي تمثل رسائل دعوية في شكل تفسير لآيات القرآن الكريم وتدعمت هذه الرسائل الدعوية بشرف الشواهد القرآنية التي ألبستها رداء الحجة، كون القرآن قطعي الثبوت وكل ما يوافق آياته فهو قطعي الثبوت أيضا.

وفي الجانب النظري أيضا نجد ومضات لمحمد بن عبد الوهاب من علم القراءات ونشوئها ،منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم،وقد خصص محمد بن عبد الوهاب لهذا المدخل-مدخل علم القراءات- بابا في كتابه الموسوم ب:"فضائل القرءان الكريم"سماه ب:"باب ما جاء في الاختلاف في القرءان الكريم في لفظه أو معناه"،وبين أن الاختلاف هو سنة الله في الخلق،من خلال إيراده للآية الكريمة"قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ هود: ١١٨،وأن هذا الاختلاف الذي جبلت عليه الإنسانية ،وصبغت به الطبيعة البشرية من اختلاف في اللون ،والنطق ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الروم: ٢٢، كان سببا في مراعاة الفروق الحاصلة بين البشر عامة وبين المسلمين خاصة من الجانب الشرعي،فجاء الإسلام ليخفف عن بعض الناس الذين يجدون مشقة في قراءة القرءان على وجه لم يعتادوه،أو كانوا من بين أولئك الذين لايحسنون اللغة العربية،ويتعذر عليهم نطق بعض الألفاظ التي أنزلت بلسان قريش،فخفف الله سبحانه وتعالى رحمة منه على عباده هذا الحرج،وأنزل القرءان الكريم على أوجه عدة وقراءات مختلفة تتناسب مع

[1]- ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، تح: محمد بلتاجي، المركز الإسلامي، مصر، ط1، 1398هـ، وينظر: كتاب: ابن عبد الوهاب: مختصر تفسير سورة الأنفال، تح: ناصر الرشيد، المركز الإسلامي،مصر، ط1، 1398هـ،

[2]- المرجع نفسه، ص31، 86، 122، 129، 162.

الوجه والقراءة التي يتيسر على الناس تلاوة القرءان الكريم بها،دون الخروج عن الوجه العام للقرءان الكريم [1]، ذلك أنه منزه عن التحريف ومحفوظ من التبديل والتغيير قال الله تعال:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩-،وهذا ماعرف بالتواتر،وكذلك الرسم العثماني الذي وضع ضوابط لحفظ القرءان من أن يضاف إليه رواية لا توافق الروايات أو القراءات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستدل ابن عبد الوهاب في كلامه عن القراءات[2] بالحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:"سمعت رجلا يقرأ آية ،سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها،فأخذت بيده،فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فذكرت ذلك له،فعرفت في وجهه الكراهة،فقال :"كلاكما محسن ،فلا تختلفوا ،فإن من كان من قبلكم اختلفوا فهلكوا[3]"

كانت مضامين الخطاب الدعوي لمحمد بن عبد الوهاب المرتبطة بهذا الباب لا تخرج عما ورد في كتاب الله ،أو سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم،،فابن عبد الوهاب لم يتطرق إلى شروحات وتفاسير نصوص الوحي المتحدثة عن هذا العلم-علم القراءات-،وإنما اكتفى بسرد الآيات القرءانية،وجمع الأحاديث النبوية التي تشير إلى أن القرآن الكريم لم ينزل على وجه واحد،وإنما أنزل بقراءات مختلفة،وأحرف متعددة،وهذا ماذكره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:"إن هذا القرءان أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسر منه[4]"

لقد جمع محمد بن عبد الوهاب بين الجانب النظري المتعلق بالقرآن الكريم وبين الجانب العلمي التطبيقي المتعلق كذلك بمضامين القرآن الكريم وعلومه، وقد كان اهتمام ابن عبد الوهاب بهذا العلم الجليل —علم القرآن الكريم- واضحا في الآثار العلمية التي تركها ابن عبد الوهاب والتي تعكس لنا صورة الداعية وعلاقته بكلام الله؛ فالداعية مرتبط ارتباطا وثيقا بالوصايا الربانية، والأحكام الشرعية

[1]- للاستزادة ينظر: عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 2008م، ص5

[2]- ابن عبد الوهاب: فضائل القرءان، مرجع سابق، ص30.

[3]- البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث: 106.

[4]- المصدر نفسه، رقم الحديث: 6936.

التي وضعها الله تعالى للبشر وللمسلمين وبينها في كتابه المبين، وكانت مضامين ابن عبد الوهاب المتعلقة بالقرآن الكريم تبرز كذلك النهج القويم الذي خطه الله للناس لتنظيم شؤون حياتهم وتسيير كل ما يطرأ عليهم على نحو من الحكمة والامتثال للضوابط الشرعية، فأورد في كتابيه " تفسر آيات من القرآن الكريم"، و"مختصر تفسير سورة الأنفال" الجانب النظري المتعلق بدراسة القرآن ،والعناية بشرح مفرداته وألفاظه وبعد تتبع ما تضمنه تفسير ابن عبد الوهاب من آيات وسور القرآن الكريم، نجد أن تفسير ابن عبد الوهاب لم يكن تفسيرا كاملا وإنما كان تفسيرا مقتصرا على اختيار بعض الآيات من بعض سور القرآن الكريم نحو: " سورة الفاتحة، البقرة، آل عمران، الأنعام، الأعراف، يوسف، هود، يوسف، الحجر، النحل، الكهف، طه، المؤمنون، النور، القصص، الزمر، الحجرات، الجن، المدثر، العلق، الإخلاص، الفلق، الناس[1]"، وكذلك سورة الأنفال في تأليف مستقل عن كتاب " تفسير آيات القرآن الكريم" عنونه بـ "مختصر تفسير سورة الأنفال ".

وفي كتاب "فضائل القرآن" فإننا نجد أن المضامين الدعوية في هذا الباب منها ما هو متعلق بالجانب النظري للقرآن الكريم مثل باب: "تقديم أهل القرآن وإكرامهم[2]"؛ أين قام المؤلف بذكر جملة من الأحاديث النبوية التي تبرز مكانة القرآء ومنزلتهم بين الناس، ومنزلتهم عند الله، وأن تلك المكانة والمنزلة لم يكونوا ليحظوا بها، لولا ملازمتهم لقراءة القرآن وتدبر معانيه؛ فذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَلا يُؤَمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلا يَقْعُد فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِه "[3]. وقد بين ابن عبد الوهاب من خلال الحديث "أن أهل القرآن من ذوي الفضل والرفعة[4]" وأنهم أولى الناس

[1]- ينظر: ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص350،352،359

[2]- المرجع نفسه، ص9.

[3]- مسلم: صحيح مسلم، مصدر سابق، حديث رقم: 673.

[4]- ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص3 -8.

بالإمامة، وأظهر مرتبتهم، وبين سبقهم على من كان لهم علم بالسنة[1]، أو كان لهم فضل بالهجرة، أو من كان لهم مكانة بالكبر والسن، وهذا تبيان على أن تقديم صاحب القرآن على غيره من ذوي المكانة والمنزلة هو تقديم الأفضل على الفاضل؛ وهو إبراز كذلك لشأن صاحب القرآن الذي علت منزلته وارتفعت درجته بين الناس، فكيف مع الله، وإن كان هذا هو الشأن مع صاحب القرآن وحامله فالأمر أجل وأعظم بمضامين القرآن التي كانت سببا في إعلاء ورفع من أخذوا به.

وعليه فقد جاء الباب الثالث[2] من أبواب كتاب " فضائل القرآن الكريم" ليرشد إلى وجوب تعلم القرآن وتفهمه والاستماع إلى من يتلوه والتغليظ على من ترك ذلك ،وقد أورد في هذا الباب صاحب الكتاب جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توجه المسلمين إلى التمسك بمعرفة أسرار القرآن الكريم، وكيفية تدبره والإكثار من تلاوته لنيل الأجر والثواب، ومن الجانب الآخر فقد تطرق ابن عبد الوهاب إلى التحذير من الإعراض عن القرآن الكريم؛ وذلك بهجرانه وعدم تخصيص وقت كاف لتلاوته، فضلا عن أولئك الذين أعلنوا القطعية عن كلام الله وصاروا لا يفتحون دفتي المصحف إلا نادرا في حياتهم ، ولا يكون الهجران من وجه التلاوة لوحدها،بل إنه مقترن كذلك بوجه التدبر وإعمال العقل لفهم ما ورد فيه من نصوص، وضمن ذلك كله في باب" الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين"[3].

وأورد محمد بن عبد الوهاب في كتابه كذلك مجموعة من الأبواب التي تحدثت عن الآثام التي يقع المسلم عند تعامله مع القرآن الكريم مثل باب:"من فجر بالقرآن الكريم[4]" أين ذكر المؤلف آية فيها تحكيم الناس بغير ما أنزل الله في قوله تعالى "قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

[1] ينظر: مسلم: صحيح مسلم، مصدر سابق، حديث رقم: 673.

[2]- ابن عبد الوهاب: فضائل القرءان، مرجع سابق، ص8- 15.

[3]- المرجع نفسه، ص12.

[4]- المرجع نفسه، ص16.

﴿فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ المائدة: ٤٧ وقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ البقرة: ١٧ وبين أنه يوجد فريق آخر من الذين ينتسبون إلى الإسلام صورة وشكلا من غير العمل بما جاء به، والعمل بما أنزل الله تعالى من القرآن الكريم، ليس تهاونا وتخاذلا من عندهم، وليس جحودا وإعراضا منهم، وإنما كان مرد ذلك إلى القصور الفكري والجهل والعمى الذي أصاب عقولهم وبصائرهم، فراحوا يتكلمون في كلام الله بما لا يعرفون، ويخبطون خبط عشواء ،وتأخذهم العزة في أنهم كانوا يجتهدون في الطاعات ويكثرون من تلاوة القرآن وقيام الليل، فاغتروا بعبادتهم وظنوا أنهم قد بلغوا مرتبة فهم الجوانب الخفية من كلام الله ،فأنتجوا خطابات منافية للمقصد الرباني من إنزال القرآن الكريم، وقد أشار ابن عبد الوهاب إلى هذا الصنف من الناس،وحذر عامة الناس وخاصتهم منهم، أو من الوقوع في أخطائهم ،وذلك من خلال استدلاله[1] بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب والقائل:"يخرج في هذه الأمة –ولم يقل منها– قوم يقرأون يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم وحلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية،فينظر إلى نصله،إلى رصافه،فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء"[2] فقد بين الرسول حال هذا الصنف، وشبه خروج هؤلاء من الدين كخروج السهم من القوس دون إصابة الهدف، حتى أن الرامي يحمل نفسه على النظر إلى السهم مرة، وإلى نصل السهم مرة فلا يجد أي أثر للدماء فيه؛ أي أنه لم يصب من هدفه شيئا، فقراءة بعض الناس للقرآن وملازمة تلاوته والصلاة به وسماعه، قد لا يغني عنهم شيئا؛ بل قد يكون حجة عليهم ويعود عليهم بالخسران والندم، وهذا ما جعل ابن عبد الوهاب يقوم بتوظيف الجزء الذي تضمنه خطابه الدعوي من القرآن الكريم بإدراج مفهوم التطبيق العلمي لمضامين القرآن الكريم.

[1]– ابن عبد الوهاب: فضائل القرءان، مرجع سابق، ص22

[2]– البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، 6931.

وأدرك ابن عبد الوهاب حجم المسؤولية الملقاة أمامه، وثقل الدعوة في ظل انتشار الفساد، وشيوع المنكرات العلمية والعقدية، فاختار في تفسيره المختصر جملة من الآيات القرآنية التي تتحدث عن واقع الأمة الإسلامية، وعن حال بعض المسلمين الذين ابتعدوا عن الأوامر الإلهية وانصاعوا للأهواء والمعاصي فصارت المجتمعات الإسلامية تتجرع مرارة البعد عن توجيهات القرآن الكريم، ودفعت الأمة الإسلامية ضريبة الانحراف العلمي فكثر الخبث، وانتشرت المعاصي بشكل أكبر بكثير مما كانت عليه الأمة عصر نزول القرآن الكريم وزمن الخلافة الراشدة فسادت الفوضى ،وامتنع فريق من الناس عن أداء بعض الواجبات الشرعية ،وسارعوا إلى إتيان بعض الذنوب والمعاصي،بل إن منهم من صار يجاهر بها ويعلن عنها صراحة،وكان من محمد بن عبد الوهاب أن قام بتوظيف الآيات القرآنية الواردة في تفسير سورة الأنفال،واختار من كتب التفسير التي ألفها –والتي جاءت مختصرة ،ولم تستوعب كل آيات وسور القرآن الكريم – ما يشتمل على ذكر واقع المجتمع الإسلامي والعالمي،من كل مامن شأنه أن يصادفه الناس في حياتهم وتعاملاتهم اليومية،سواء كان من باب الأحداث والمواقف الشخصية ،أو التعاملات الاجتماعية بدءا من الأسرة والمجتمع الضيق،وانتهاء إلى علاقة الإنسان المسلم بالآخر وبالمجتمعات التي لا تدين بدين الإسلام،وكان اهتمام الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب المتعلق بدراسة القرآن الكريم من الجانب التطبيقي والعملي هو محاولة جمع ماتيسر من الشواهد القرآنية التي تتناول القضايا الشخصية والاجتماعية والعالمية،وتحليلها ومن ثم إعطاء التصور الإسلامي الصحيح للتعامل معها،ومن بين تلك القضايا :"قضية السحر"،التي اعتبرها محمد بن عبد الوهاب من بين القضايا الخطيرة ،والتي بدأت في الانتشار بين أوساط المسلمين،وأكد أن هذه القضية –قضية السحر كانت من أعمال اليهود[1]".

وعند تفسيره لسورة البقرة ابتدأ بآية ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ

[1]– ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص21.

بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ البقرة102

وبخلاف تفسيره لسورة الفاتحة والذي كان تفسيرها على شكل شرح مفردات ثم شرح مواضيع وآيات،فإن تفسيره لبعض الآيات من سورة البقرة وكذلك باقي تفسيره للقرآن الكريم فقد كان على شكل تفسير موضوعي ،شرع فيه محمد بن عبد الوهاب مباشرة بعد ذكر الآية الكريمة إلى استخراج المسائل التي شملتها الآية ،وعدها إحدى وخمسين مسألة نذكر منها:

1/ احتجاج أهل الكتاب بالأدلة الباطلة المستوحاة من الكتب المبنية على الشك والافتراء.

2/أن من قام بعمل السحر كفر،ولو عرف أنه باطل.

3/أن طاعة الهوى هو مفتاح للشر،ومخالفته مفتاح للخير.

4/أن السبب في القيام بمعصية السحر وفي أغلب المعاصي التي قد يرتكبها الإنسان هو اشتراء شيء خسيس دنيوي لا قيمة له عند الله تعالى،بمقابل دفع ثمن الدين والإيمان[1].

لقد عالج محمد بن عبد الوهاب هذه الظاهرة الاجتماعية والعقدية التي تنخر كيان المجتمع ،وتعمل على التفريق بين الأحبة ،وتهدم أعمدة البيوت ،وتكون سببا في التفريق بين الأزواج والأخلاء،وعرض ابن عبد الوهاب جميع ما يحيط بهذه الظاهرة من أسباب وأضرار وأحكام شرعية،فابتدأ بمنشئ هذه الظاهرة،وهو افتراء اليهود على سيدنا سليمان عليه السلام ،وادعوا أنهم أخذوا تلك العلوم-علوم السحر والتكهن-من ما تركه سيدنا سليمان من كتب،في حين أن الله برأ سيدنا سليمان من هذه التهم. والافتراءات.

[1]- ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص30.

وذكر ابن عبد الوهاب أسباب ودوافع القيام بالسحر والتي يتقدمها ما نص عليه القرآن الكريم من محاولات للتفريق بين الأزواج،وهز الاستقرار الأسري والاجتماعي،وبين أن حكمه الشرعي هو التحريم الذي يفضي إلى الكفر والخروج من الإسلام بناء على صريح الآية المباركة،[1]فجاء عظم الذنب والإثم بمقدار عظم الآثار الناجمة عنه ،والأخطار المترتبة من انتشاره على الأفراد والأمة ككل،وهذا ما يبرز حرص الشريعة الغراء على الحفاظ على تماسك المجتمع ووحدة الأفراد،وردع كل من تسول له نفسه إلحاق الأذى على غيره،سواء كان هذا الأذى منحصرا في فرد من الأفراد،أو متعديا إلى الجماعات وإلى الأمة.

ونعتقد أن تطرق ابن عبد الوهاب إلى مسألة السحر واختياره لهذه الظاهرة، يمثل اهتمامه بقضايا الأمة، وإدراك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه كداعية ومبلغ، وأن علاج هذه القضايا يحصل أولا بالرجوع إلى ما نص عليه القرءان الكريم من توجيهات وإرشادات ربانية، ومن ثم تحليل تلك النصوص، والبحث في عمق المجتمع الإسلامي عن الأشكال الجديدة التي اتخذتها تلك الظواهر التي تحدث عنها القرءان الكريم،ذلك أن شياطين الانس والجن، أحدثوا الكثير من المنكرات والمعاصي بما فيها معصية السحر،وراحوا يبررون أعمالهم المنحرفة بإطلاق مسميات جديدة ومصطلحات مستجدة لتلك المعاصي المحرمة بنص القرءان الكريم الصريح،وخدعوا الكثير من مرضى القلوب وضعاف العقول،واحتجوا عليهم بأن هذه الألفاظ–الألفاظ الجديدة للمعاصي– لم يرد فيه نصوص شرعية تدل على تحريمها،وأن هناك من أحلها واعتبرها جائزة.

إن استخراج محمد بن عبد الوهاب لإحدى وخمسين مسألة متعلقة بمفهوم السحر[2]،هو بمثابة نموذج للدعاة والوعاظ في طرح مختلف القضايا التي تضرب استقرار الأمة، وتفتن المسلمين في دينهم، وهو كذلك بالنسبة للمفسرين والمنشغلين بعلوم القرءان الكريم ،فلا يشتغلوا بذكر الفوائد اللغوية،

[1]– المرجع نفسه، ص22

[2]– ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص16.

والأدبية الواردة في مضامين القرءان الكريم،ويعرضوا عن الجانب الوعظي والدعوي للقرءان الكريم،بل إن الواجب على الجميع اتخاذ القرءان الكريم كمصدر أول ومرجع رئيسي لدعوة الناس إلى فعل الخيرات وترك المنكرات.

وبين محمد بن عبد الوهاب الجانب النظري المتعلق بذكر كل ما يرتبط بالقرءان الكريم من علوم وآداب وفضائل،فأظهر الجانب العملي المتعلق بذكر كل ما ارتبط بالقرءان الكريم من دعوة الناس إلى إصلاح أنفسهم، وإصلاح مجتمعاتهم، وإصلاح الانسانية من كل ما يخدش المروءة والأخلاق والفضيلة، فهناك جانب آخر في خطاب محمد بن عبد الوهاب المتعلق بدراسة مضامين القرءان الكريم، وهو الجانب الروحي والجانب الإيماني،وهو الجانب القائم على التصديق الجازم بكل ما أخبر به الله تعالى نبيه في القرءان الكريم من حقائق غيبية ،وأسرار خفيت عن الناس سواء من أحداث ماضية ، أو أخرى قدرت في المستقبل أوحقائق إيمانية لم يطلع عليها البشر إلا من ما اجتباه الله به رسله فأنبأهم على أخبارها وحوادثها مثل حقائق يوم القيامة،والملائكة،والجنة،والنار...

لقد كان للخطاب الدعوي الخاص بابن عبد الوهاب الحظ الوافر من جانب دراسة القرءان الكريم والاستشهاد به، وذكر بعض الآيات القرءانية التي تنقل لنا تفاصيل وحيثيات مختلفة تطرق إليها القرءان الكريم،ومن بينها مايلي:

تفسيره لسورة الأنعام[1] والتي اختار من هذه السورة الآيات التالية الذكر "قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ

[1]- ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص53.

إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣ الأنعام: ٧١ - ٧٣

و استخرج صاحب التفسير من هذه الآيات جملة من المسائل التي بينت حقائق غيبية وإيمانية نذكر منها:

-أن الإنسان مأمور بإقام الصلاة

-أن الإنسان مأمور بمخافة الله واتقائه

-أن الله قوله قول الحق الذي لا خلاف فيه

-أن الله له الملك كله يوم ينفخ في الصور فكيف بالإنسان الضعيف أن يعصيه،ولا يطيعه في أمره[1].

ثم بين ابن عبد الوهاب ما على المرء من واجبات أمام هذه المشاهد الغيبية وهو التسليم بها يقينا فقال"وأن عذاب الله ونعيمه دائمين ،وأن الإيمان بتلك الحقائق ينجي صاحبها من عذاب الله ويجعله يسعد بنعمه[2]".

لقد اهتمت المضامين الدعوية لخطاب ابن عبد الوهاب المتعلقة بالقرآن الكريم بتعليم الناس مختلف العلوم والفنون المادية كعلم الأكوان، وما حواه من العلوم المنبثقة عنه والتي أشار إليها القرءان الكريم في مواضع مختلفة كذكره لعلم الفلك المتمثل في نشأة الكون ومايحيط الأرض من نجوم

[1]- ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان الكريم، مرجع سابق، ص63.

[2]- المرجع نفسه،ص66.

وأقمار، وعلم الطب البشري،المتمثل في ذكر أطوار خلق الإنسان[1]،وكذلك العلوم الإنسانية القائمة على إصلاح الفرد والمجتمع بتقويم أخلاقه وتحسين سلوكاته[2]،والجانب الآخر من تلك المعارف و العلوم التي أشار إليها القرءان الكريم نجد كل ماارتبط ذكره بعلاقة الإنسان بربه من جانب العبادات والشرائع والأحكام كالصلاة والصوم والحج[3]...،وأما الجانب الثالث فهو الجانب العقدي والغيبي والمرتكز على تفضيل القرءان الكريم وتخصيصه لهذه الأمة بجملة من المعارف والعلوم الغيبية التي لم يطلع عليها غيرها من الأمم.

إن الداعية الناجح هو من يوازن في خطابه الدعوي بين هذه العلوم والمعارف،ولا يقتصر على جانب منها دون الآخر ،جاعلا من الخطاب القرآني الكامل والمثالي أنموذجا له في طرحه لقضايا الدعوة المختلفة،شأنه شأن الدعاة الناجحين الذين سبقوه إلى هذا الاقتداء وهذا الفضل.

الفرع الثاني: السنة النبوية:

حظي مضمون الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب أيضا بشرف السنة النبوية بداية بتذكيره بواجب الأمة تجاه نبيها الكريم، ويتمثل هذا الواجب في اتباعه؛ والاتباع يفرض الطاعة في القول، والتأسي بالفعل والامتثال لأوامره والانتهاء عن ما نهى وزجر عنه"[4]. وأن مقام النبي صلى الله عليه وسلم هو أرفع مقام، وأعلى مكان، فهو أفضل الرسل وأكرمهم عند الله. وكتب مؤلفا خاصا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم سماه " **مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**"[5]، تضمن هذا

---

[1]- المرجع نفسه، ص200.

[2]- ابن عبد الوهاب: فضائل القرءان، مرجع سابق، ص12- 18.

[3]- ابن عبد الوهاب: تفسير آيات من القرءان، مرجع سابق، ص210- 212.

[4]- عبد الرحمان محمد القاسمي النجدي: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مرجع سابق، ص161.

[5]- محمد بن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تح: عبد الرحمان بن ناصر وآخرون، دار الشؤون الإسلامية والاوقاف، المملكة العربية السعودية، ط1، 11418هـ، ص12.

الكتاب الأحداث التي سبقت مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، والبيئة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، والنسب الرفيع والسؤدد الذي كان يحظى به بنو هاشم في قريش.

ثم تحدث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المحطات الهامة في تاريخ السيرة النبوية كإسلام كبار الصحابة وحصار مكة، وحادثة انشقاق القمر، والهجرة والغزوات التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وشمل هذا الكتاب دروسا وعبرا مأخوذة من التاريخ الإسلامي ومن سير بعض الصحابة والخلفاء من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد الخلافة العباسية.

وقد كانت مضامين هذا الكتاب تدعو إلى التأسي والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والتعريف بشمائله وفضائله، وما تعرض له من محن وشدائد في سبيل نصرة الدين الإسلامي، ولم يقتصر الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب المتعلق بدراسة السنة على كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،بل إن له أعمالا أخرى تضمنت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته كذلك،وقد جمعها المصنفون في قسم مستقل من مؤلفات محمد بن عبد الوهاب وعنونوه ب:"قسم الحديث"،واشتمل هذا القسم على أكثر من أربعة آلاف حديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ناهيك عن الكثير من الآثار الواردة من عند السلف كأقوال بعض الصحابة والتابعين في مواضيع السنة النبوية،وهناك كتب أخرى فقهية وعقدية وحتى كتب التفسير الخاصة بابن عبد الوهاب نجد فيها آثارا واضحة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم،وعن كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب الذي احتوى الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في جانب العقائد.

لم يتوقف الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب عند حد ذكر الأحاديث في هذا الكتاب بل إن ابن عبد الوهاب كان يجمع الفوائد والحكم والمسائل التي تعرضت لها تلك الأحاديث، فعند ذكر ابن

عبد الوهاب لحديث النبي صلى الله عليه وسلم المروي عن **ابن عباس**[1] رضي الله عنه حيث قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له:"إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلا الله [2]"، وحديث **سهل بن سعد**[3] رضي الله عنه الذي قال فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر"لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ،ويحبه الله ورسوله،يفتح الله على يديه[4]"، واستخرج محمد بن عبد الوهاب من هذين الحديثين ثلاثين مسألة أحاطت بالكثير من أبواب العلم الشرعي منها:

-المسألة الأولى: أن الدعوة طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-المسألة الثانية: التنبيه على الإخلاص.

-المسألة الثالثة:من دلائل حسن التوحيد تنزيه الله تعالى عن المسبة.

-المسألة الثالثة عشر:مصرف الزكاة.

-المسألة الثانية والعشرون:فضيلة علي،وفضائل الصحابة.

-المسألة الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الله والإسلام قبل القتال.

---

* **ابن عباس**: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، كان يسمى بالبحر، وبحبر الأمة لسعة علمه، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالخير فقال عنه" اللهم علمه الحكمة"- الترمذي 3822 - استعمله الإمام علي على البصرة فعينه أميرا عليها، كان يرجع إليه الكثير من الصحابة في أمور العلم،وتوفي عن عمر الثمانين سنة. ابن الأثير: كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2012م، ص697. لمن

[2]- البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث: 4210.

*هو **سهل بن سعد بن مالك** بن خالد الخزرجي الأنصاري، كان اسمه حزن، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهل، لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان عمر سهل خمس عشرة سنة، شهد قضاء النبي صلى الله عليه وسلم في المتلاعنين، توفي سنة 88هـ بالمدينة المنورة.

[4]- البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث: 1496.

-المسألة السابعة والعشرون:الدعوة بالحكمة لقوله صلى الله عليه وسلم:"أخبرهم بما يجب عليهم".

-المسألة التاسعة والعشرون:ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

-المسألة الثلاثون:الحلف على الفتيا[1].

ومع أن ابن عبد الوهاب لم يقم بشرح تفصيلي لأكثر هذه المسائل المستنبطة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،والتي هي بذاتها تمثل أصولا من أصول الإسلام، إلا أن قدرة ابن عبد الوهاب على تحليل نصوص السنة النبوية، وتمكنه من استخراج كل هاته المسائل الدعوية يشكل بحد ذاته عملا دعويا قائما يستحق أن يقعد له، وينظر لصاحبه في كيفية استخدام وتوظيف السنة النبوية في العمل الدعوي والوعظي، ذلك أن الكثير من الدعاة اليوم وأولئك الذين تصدروا المشهد الدعوي نجدهم بعيدين كل البعد عن الانشغال بالتركة النبوية الموصوفة بالحكمة من قبل الله تعالى" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء: ١١٣،ونرى الكثير منهم يستدل في طرح القضايا الدعوية ببعض القصص والروايات ،أو تراه يستأنس بأقوال بعض الفلاسفة الغربيين ،ويجعل منهم قدوات للمسلمين ،متجاوزا في ذلك وعاء الحكمة الذي لا ينضب —سنة النبي صلى الله عليه وسلم-.

لقد جمع ابن عبد الوهاب بين دراسة الحديث ودراسة السيرة ، وفي ذلك ربط بين الجانب النظري مع الجانب العلمي للإسلام، وفيه أيضا دعوة إلى إحياء سنة المصطفى وإعطاء صورة عن

[1]- محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد، تصح: عبد العزيز الرومي، القسم الأول: العقيدة، المركز الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، د. ت، ص23. يوجد أكثر من واحد تحقيقين وتصحيح

الإسلام العلمي وتفنيد التصور الخاطئ على أن الإسلام مجرد دين نظري وأنه غير قابل للتطبيق والممارسة.

وحذر ابن عبد الوهاب من مسألة مجاوزة الحد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المحذور الذي وقع فيه بنو إسرائيل مع أنبيائهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[1]، ففي هذا الحديث نهي عن التكلف الزائد في المدح والثناء الذي يوصل صاحبه إلى الكفر". كأن يساوي الرجل بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الله تعالى " فإطراء النصارى لأنبيائهم أوصلهم إلى اتخاذ الأنبياء أربابا من دون الله، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر وعبد من عباد الله، وهو خير البشر وأفضل الرسل ويبقى مع ذلك في صنف البشر"[2].

الفرع الثالث: الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر

يرى ابن عبد الوهاب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم "على مبدأ التحقق والتثبت من الفعل دون التجسس وتتبع عورات الناس، إلا إن أظهروا ذلك الفعل وجاهروا به"[3]، فإن النهي عن المنكر حينئذ يكون بحسب المجاهرة التي حصلت منهم؛ وعليه فقد تضمن الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مايلي:

أ) التحذير من الإعراض عن الله وطول الغفلة:

أرشد محمد بن عبد الوهاب من خلال خطبه المنبرية إلى ملازمة طاعة الله وذكره، وحذر من مغبة الوقوع في الغفلة التي تورث قساوة القلوب فذكر حال الأمة التي طال إعراضها عن النبأ العظيم

---

[1]- البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، 1271.

[2]- عثمان بن عبد العزيز التميمي: فتح الحميد في شرح التوحيد، تح: سعود العريفي وحسين السعدي، دار علم الفؤاد، مكة المكرمة، ط1، 1425هـ، ص875.

[3]- مرفت بنت كامل بن عبد الله **أسرة**: احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، مرجع سابق، ص182.

تغافلا وجهلا، وكثر اشتغالها بالعرض الأدنى[1]. وأن هلاك الأمم وعذابها كان بسبب الإعراض والغفلة والاغترار بالدنيا وملذاتها، كما نبه إلى أهمية الوقت فساعات العمر وأوقاته تمضي وتنصرم، والسعيد من أدلج السير إلى الخير والشقي من كان سباقا إلى المعاصي والذنوب"[2].

ب) النهي عن الظلم:

حذر ابن عبد الوهاب من الظلم، وعواقبه مستأنسا في ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تؤكد حرمة الظلم، ووصف حال الأمم الهالكة وما لحقها من عذابها بسبب الاعتداءات التي كان يمارسها طغاتهم على ضعفائهم" وفي ذلك تنبيه للواقع المعيش في شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة، وما ساد القبائل والطوائف العربية من خلافات وحروب واعتداء العشائر بعضها على بعض.

ج) الدعوة إلى المسارعة إلى الخيرات:

كانت بعض خطب ابن عبد الوهاب تدعو الناس إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحة من خلال " اغتنام مواسم الطاعات؛ كشهر رمضان، والتماس الأجر والثواب في أيام الله ولياله المباركات أين يتضاعف فيها الأجر وتزيد فيها الحسنات"[3]، ودعا أيضا إلى تعظيم شعائر الله كالحج وأعياد المسلمين[4].

[1]- محمد بن عبد الوهاب: الخطب المنبرية، تح: صالح بن عبد الرحمان ومحمد بن عبد الرزاق الدويش، المركز الإسلامي، السعودية، ط1، د. ت، ص12.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: الخطب المنبرية، مرجع سابق، ص5.

[3]- المرجع نفسه، ص21.

[4]- المرجع نفسه، ص39.

وهي من الأسباب المفضية إلى تحقيق خشية الله واتقائه، كما دعا كذلك إلى " المبادرة إلى التوبة النصوح ومراجعة النفس بالاستغفار قبل الرحيل[1]".

الفرع الرابع: الفقه:

إن اتساع أبواب الفقه وتشعب المسائل فيه جعلت محمد بن عبد الوهاب يورد مؤلفات متعددة في هذا العلم، فابتدأ بأهم المبادئ في دراسة ومعرفة الفقه ولخصها في أربع قواعد وهي: " القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، القاعدة الثانية: أن كل ما سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يضع له حكم التحريم أو الوجوب أو الكراهة أو الاستحباب، القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل واضح والاستدلال بالمتشابه هو طريق أهل الزيغ، القاعدة الرابعة معرفة أن بين الحلال والحرام أمور متشابهات"[2].

واعتبر أن هذه الأساسيات"لاتقتصر على علم الفقه فقط بل هي مدار علوم الدين ككل"[3]. وشرح هذه القواعد الأربع وبين أهميتها، وضرورة معرفتها في دراسة الأحكام الفقهية وأنشأ مؤلفات فقهية أخرى ك:

* كتاب "**المناسك**[4]": الذي ضم فصولا عن مناسك الحج وفصولا أخرى عن الجهاد والبيوع.

* كتاب "**الطهارة**[1]": الذي ضم أبواب: المياه، الغسل، الوضوء، التيمم، الحيض، والنفائس وباب إزالة النجاسة الحكيمة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص5.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: أربع قواعد تدور أحكام عليها، تح: عبد العزيز الرومي وصالح بن محمد الحسن، المملكة العربية السعودية، ط1، د. ت، ص4.

[3]- المرجع نفسه، ص6.

[4]- ابن عبد الوهاب: مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، تح: عبد العزيز الرومي والسيد حجاب، المركز الإسلامي، مصر، ط1، 1398هـ، ص.237،257

* كتاب "**مختصر الإنصاف والشرح الكبير**": الذي أضاف فيه أبواب الفقه الأخرى التي لم يذكرها في كتابيه " **المناسك**"، و" **كتاب الطهارة**" مثل: صلاة التطوع، الأعياد والجمع، أحكام أهل الذمة، أحكام النكاح وأحكام الديات والحدود[2].

ولابن عبد الوهاب مؤلف آخر يحمل عنوان "**مبحث الاحتهاد والاختلاف**"، تعرض فيه إلى اجتهادات الصحابة وحجية الأخذ باجتهاداتهم، كما ذكر بعض الاختلافات الناشئة بينهم في المسائل الفقهية وأن اجتهاداتهم لا تخرج عن ستة أوجه:

–الأولى:" أن يكونوا أي الصحابة قد سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم.

–الثانية: أن يكونوا قد سمعوها ممن سمعها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

–الثالثة: أن يكونوا فهموها من كتاب الله فهما خفي علينا.

–الرابعة: أن يكون قد اتفق عليها ملؤهم، ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي.

–الخامسة: أن يكونوا لكمال علمهم بدلالات اللفظ على الوجه الذي انفردوا به عنا، أو لمجموع أمور فهموها عن طول زمن وصحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم

–السادسة: أن يكونوا فهموا ما لم يورده الرسول صلى الله عليه وسلم"[3].

ولابن عبد الوهاب أيضا كتيب صغير هو " شروط الصلاة[1]"، احتوى على كل ما يتعلق بالصلاة من شروط وأركان وواجبات، وله أيضا فتاوى ومسائل في أبواب الفقه[2] المتنوعة كمسألة الوقف على الأولاد، والحلف بالطلاق وتأخير الزكاة، وغيرها من الفتاوى.

---

[1]– ابن عبد الوهاب: كتاب الطهارة، تح: صالح الأطرم ومحمد الدويش، المركز الإسلامي العربي، القاهرة، ط1، 1398هـ، ص16،5،32

[2] محمد بن عبد الوهاب: مبحث الاجتهاد، تح: عبد الرحمان بن محمد السرحان، وعبد الله بن عبد الرحمان، المملكة العربية السعودية، ط1، د. ت،

[3]– محمد بن عبد الوهاب: مختصر الانصاف والشرح الكبير، تح: عبد الرحمان بن محمد السرحان، وعبد الله بن عبد الرحمان، المملكة العربية السعودية، ط1، د. ت، ص151،60،49.

يمكن القول مما سبق بأن الخطاب الدعوي الفقهي لابن عبد الوهاب قد تميز بثراء المكانة العلمية، في محاولة منه للإحاطة بأكبر قدر ممكن من المسائل الفقهية مع معالجته لبعض القضايا الفقهية المستجدة في عصره وأوانه وما يعني تفطنه لدراسة فقه الواقع ومشاركته لأدواء أمته ومتطلباته الشرعية والفقهية وموروثه الفقهي لا يزال محفوظا في الكتب والمجلات، ويرجع إليه الكثير من طلبة العلم والفقهاء، وبالأخص في المذهب الحنبلي الذي يتبعه ابن عبد الوهاب.

الفرع الخامس: العقيدة:

تضمن الخطاب العقائدي لابن عبد الوهاب المرتكزات التالية:

أ) التوحيد:

يعتبر التوحيد أول أركان الإسلام، وهو الركن الذي قامت عليه الرسائل السماوية قبل مجيء الإسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ الأنبياء: ٢٥

. وبالتوحيد يخرج الإنسان من دائرة الكفر ليدخل إلى هدي الإسلام قال صلى الله عليه وسلم: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» [3].

والتوحيد هو إفراد الله وتخصيصه بالعبادة، وتضمنت مؤلفات عبد الوهاب في التوحيد ما يلي:

---

[1]- ابن عبد الوهاب: شروط الصلاة، تح: عبد العزيز الرومي وصالح المحسن، المركز الإسلامي العربي، القاهرة، ط 1، 1398هـ، ص25

[2] ينظر فهارس كتب المناسك،الطهارة،فتاوى ومسائل.

[3]- البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الإيمان، 156

*كتاب"**التوحيد**" الذي هو حق الله على العقيدة وكانت مقدمته آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السنة النبوية تتعلق بالتوحيد وضرورته للنجاة"، وفضل كلمة التوحيد التي ترجع الميزان إذا ما قورنت بجميع المخلوقات، ومن حقق التوحيد دخل الجنة"[1].

والتوحيد عند ابن عبد الوهاب، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الألوهية

وهو توحيد الله في العبادة، فلا يعبد ولا يتقرب ولا يرجى إلا الله، ويندرج ضمن توحيد الألوهية الرجاء والتوكل، الرغبة والرهبة والإنابة والتوبة"[2].

وأتبع أنواع العبادة هذه –من رجاء وتوكل.واستغاثة –بالآيات القرآنية التي تثبت ارتباط التوحيد بها[3].

القسم الثاني: توحيد الربوبية:

وهو الاعتقاد بأن الله هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، وهو التوحيد الذي كان يعترف به المشركون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[4]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ يونس: ٣١

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

---

[1]– اقتباس من حديث: فلو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله في كفة من الصحيح المسند، رقم الحديث: 809.

[2]– عبد الرحمان السعدي: القول السديد في شرح كتاب التوحيد، تح: صبري سلامة، دار الكتاب، السعودية، ط 1، 1425هـ–2004م، ص40.

[3]– ينظر: محمد بن عبد الوهاب: أربع قواعد تدور أحكام عليها، مرجع سابق، ص12.

[4]– ابن عبد الوهاب: الأصول الثلاثة وأدلتها، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط1، 1420هـ، ص23.

وهو توحيد الله بنعوت العظمة والجلال والجمال، بإثبات ما نسبه الله لنفسه أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسماء وصفات، ويكون ذلك من غير تكييف ولا تشبيه."[1].

وقد استدل محمد بن عبد الوهاب في إنشاء تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة-توحيد الألوهيه،توحيد الربوبية،توحيد الأسماء والصفات-إلى النصوص الثابتة الموجودة في القرءان الكريم،وفي السنة النبوية ،وأثر السلف الصالح،وكذلك ما ذكره ابن تيمية في كتابه"مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية"،عندما أوضح الفارق بين توحيد المسلمين القائم على توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة دون غيره ،وكذلك الإقرار بتوحيد الربوبية[2] ،هذا القسم الأخير الذي كان يعترف به مشركو قريش بصريح الآية الكريمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ الزمر: ٣

،فمشركو قريش كانوا يوحدون الله من جانب ربوبيته ويعترفون أنه خالق هذا الكون وسيده والمتصرف في شؤونه،بدليل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ العنكبوت: ٦٣

غير أنهم يجعلون مع الله آلهة أخرى ،يعظمونها ويعبدونها كما يعبدون الله،وتحقيق المشركين لقسم توحيد الربوبية لم يشفع لهم بإخراجهم من دائرة الكفر،فوصفهم الله بالكذب والكفر معا رغم اعترافهم وإيمانهم بأن الله هو الرب، فالفرق إذن بين توحيد المسلمين وما يعتقده المشركين يكمن في توحيد الألوهية .

ولما سئل ابن عبد الوهاب عن هذا التقسيم ذكر قائلا:" إن توحيد الربوبية هو الذي أقر به الكفار كما في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن

[1]- ابن تيمية: العقيدة الوسطية، تح: عبد القادر السقاف، المملكة العربية السعودية، ط1، 1433هـ، ص4.

[2]- ينظر: ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - توحيد الألوهية، والرد على أهل الحلول والاتحاد- مرجع سابق، م 2، ص36- 38. وم3-مجمل اعتقاد السلف-ص131و96.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ يونس: ٣١

،وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده دون جميع خلقه،لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة ،وكانوا يقولون إن الله سبحانه وتعالى هو إله الآلهة ،لكن يجعلون معه آلهة أخرى ،يعبدونها كما يعبدون الله،مثل عبادتهم للصالحين،والملائكة،وغيرهم مما خلق الله،ويقولون أن الله تعالى يرضى عبادتهم لهؤلاء المخلوقات والمقرونة بعبادته،ويزعمون كذلك أن هذه الآلهة تشفع لهم عنده سبحانه ،وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم،لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف يدعون مع غيره هذا مع إقرارهم بأحقيته للعبادة،وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بصفات الله تعالى التي وصفها بها نفسه[1]".

وعلى هذا الأساس فقد اعتمد ابن عبد الوهاب في تفصيل مسألة التوحيد،وتبسيط كنهها لكي يسهل للجميع إدراك معنى التوحيد،والعمل بمقتضاه،ذلك أن العمل لايحصل ولا يتأتى إلا بعد حصول المعرفة والإدراك ولذلك **قَالَ تَعَالَى:** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ محمد: ١٩، فذكر محمد بن عبد الوهاب في هذا الباب قائلا " إن التوحيد يقوم على مسألة العلم، وهو معرفة العبد لربه ،وتحصل هذه المعرفة بالأدلة والقرآن، كالأدلة التي ذكرها الله في القرآن الكريم**قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فصلت: ٣٧

[1]– محمد بن عبد الوهاب: فتاوى ومسائل، جم: صالح بن عبد الرحمن الأطرم، المركز الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط 1، د. ت، ص42.

وقوله تعالى أيضا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ الحج: ١٨

، وهي أدلة كونية –أي بمعنى المعجزات الكائنة في المخلوقات التي أبدع الله صنعها– و تعبر عن عظمة خالقها، وكذا الأدلة النقلية المتمثلة في الآيات والأحاديث الداعية إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن: ١٨، وبعد مسألة العلم يأتي العمل؛ وهو تطبيق التوحيد في حياة المسلم" فيصرف العبادة والطاعة والانقياد لله، وأن لا يفعل ما ينافي ذلك من اعتقاد أو ذبح لغير الله، أو أعمال تفضي إلى الكفر كالسحر والتمائم"[1].

وقد أخذ موضوع التوحيد حيزا كبيرا في الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب، كيف لا وهو أساس الدين، وعليه قاتل النبي المشركين وهو سبيل السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وقد ينكر البعض هذا التقسيم بحجة أنه بدعي، وما جاء به رسول الله ولا أصحابه ولكن الحقيقة هي أن هذا التقسيم هوتبسيط، وشرح لمعاني التوحيد؛ التوحيد الذي فهمه الصحابة والتابعون وأشكل على الكثير من بعدهم فوقعوا في محاذيره ثم إن هذا التقسيم يستند إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ولا يخرج عن مضامينها.

ب) ضوابط التكفير:

إن ضوابط التكفير عند ابن عبد الوهاب مقيدة بما نص عليه الشرع الحنيف، ولا يحيد عن الأحكام الواردة في القرآن والسنة، ومن أهم الضوابط:

[1]– محمد ابن عبد الوهاب: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبد، تح: أحمد الخليل وآخرون، المملكة العربية السعودية، ط1، د. ت، ص 24– 35.

* **التوسل لغير الله:** فهو يفضي إلى الإقرار بأن المتوسل إليه من دون الله،أقدر من الله على دفع الضرر وجلب النفع، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والتوسل لا يقصد به إلا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ الأنعام: ١٧

وأما التوسل بصفات الله فهو أمر مشروع ومستحب**قَالَ تَعَالَى:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ الإسراء: ٥٧

***التبرك بالشجر والحجر ونحوهما.**

***استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة**[1]. فذكر ابن عبد الوهاب تكفير الصحابة لمن أحل الخمر[2].

* **الشك في حكم من أحكام الله وأخبر من ما أخبر به:** وذكر ابن عبد الوهاب أنه من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعا[3].

ج) الإيمان:

لابن عبد الوهاب مؤلف خاص بالإيمان سماه بـ "**أصول الإيمان**[4]"، ذكر فيه أركان الإيمان، ووظف فيه العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية عند ذكر كل ركن من هذه الأركان، وعند

[1]- ابن غنام: روضة الأفكار والأفهام لمرتداد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام- المعروف بتاريخ ابن غنام-، مرجع سابق، ص128.

[2]- ابن عبد الوهاب: مؤلفات ابن عبد الوهاب، قسم العقيدة، مرجع سابق، ص380.

[3]- ابن عبد الوهاب: مؤلفات ابن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص213.

[4]- ابن عبد الوهاب: أصول الإيمان، تح: عبد العزيز الفريح ومحمد عيد، المركز الإسلامي العربي، مصر ط1، 1398هـ، ص...

استقرائنا لهذا الكتاب نجده يشتمل على مجموعة من الشواهد والآثار المروية، ولا نجد تعاليق لصاحب التأليف، أواجتهادات في هذا الكتاب، بل إن الجهد الوحيد الذي بذله ابن عبد الوهاب في تأليف هذا الكتاب هو انتقاد الآيات، والأحاديث وأقوال السلف.

وفي ذلك دليل على اتباع ابن عبد الوهاب للمنهج الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واقتفى أثره الصحابة والتابعون، ولم يحدث في هذا الدين ولم يبتدع شيئا من عنده، بل إن خطاباته كانت تمثل تذكيرا لأهل الصلاح، وتنبيها لكل من وقع في المحاذير، أو غاب عن علمه شيء من هذه الأصول.

د) الولاء والبراء:

الولاء من الولاية بمعنى النصرة والعون والمحبة والعطف، وضده العدواة والبغضاء، والبراء هو نقيض الولاء وهو الترك وإعلان القطيعة[1] ،وقد ذكرت مسألة الولاء والبراء في قوله **قَالَ تَعَالَى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ الممتحنة: ، وقد ذكر ابن عبد الوهاب في كتاب الأصول الثلاثة: أن طاعة الله والرسول توجب التقيد بموالاة من أمر الله ورسوله بموالاتهم والبراء ممن أمر الله ورسوله بالبراء منهم[2]،وذكر أن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين تعتبر ناقضا من نواقض الإسلام"[3].

[1]- محمد ابن عبد الوهاب: كتاب التوحيد، ص25.

[2]-محمد ابن عبد الوهاب: الأصول الثلاثة، مصدر سابق، ص4.

[3]- محمد ابن عبد الوهاب: القسم الأول العقيدة، مجموعة رسائل في التوحيد، ص386.

المطلب الثاني: المضامين التربوية والتعليمية

قبل ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب كانت الفوضى تعم أرجاء شبه الجزيرة العربية والعالم الإسلامي ككل وكانت منطقة شبه الجزيرة وكذا العالم الإسلامي بحاجة إلى من يضخ في عروقها دماء الإصلاح، ويذكر بالقيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام، وكان لمجيء ابن عبد الوهاب أثر واضح في تغيير الكثير من العادات والقيم التي غلب عليها طبع حب الذات والتعصب للقبيلة، وأسهم خطابه الدعوي في تثبيت معالم الأخلاق الإسلامية وإفشاء مراكز التعليم، والدعوة إلى طلب العلم والأدب، فكانت مضامين خطابه التربوي والتعليمي كالتالي:

أولا: الدعوة إلى إصلاح النفوس وتزكيتها والاهتمام بالجانب الروحي للفرد:

يحتوي مصنف لابن عبد الوهاب الموسوم بـ "**الكبائر**" بابا يتناول أمراض القلوب، وهي الأدواء التي من شأنها أن تضر بقيم الفرد والمجتمع وتفسدها، واعتمد في تشخيص هذه الأدواء على الأحاديث النبوية الصحيحة التي تدعم طرحه في خطورة هذه الأمراض الروحية، فذكر أن القلب هو العضو الذي به يحصل للفرد الصلاح، أو الفساد مستندا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ[1]»؛ فالقلب هو محرك لباقي الجوارح، وبه تنقاد هذه الجوارح للطاعة أو تصرف إلى المعاصي[2]، ثم قام بسرد هذه الأمراض وذكر منها " العجب، الرياء، والفرح الذي يجعل المرء يحس بالارتياح دون الخوف من الله أو من عذابه؛ وهو بمعنى الأمن من مكر الله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الأعراف: ٩٩، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا

[1]- البخاري: صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الإيمان، 28/1.

[2]- عقيل بن عمر السقاف، شرح كتاب الكبائر، تحقيق: أكرم مبارك، دار الأحلاء، وزارة الثقافة، اليمن، ط 1، 2010م، ص12.

ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ الأنعام: ٤٤

كما حذر أيضا من إساءة الظن بالله، بل على المسلم أن يجمع بين الرجاء والخوف، وبين الطمع في جنة الله وبين الخشية من عذابه"[1].

وفي ذكر ابن عبد الوهاب لهذه الصفات تنبيه إلى مراجعة النفس ومراقبتها، والتحرز من الوقوع في هذه الصفات المؤدية إلى الهلاك، وفي ذكر هذه الخصال أيضا دعوة من ابن عبد الوهاب إلى إصلاح الأفراد وتقويم أخلاقهم وتهذيبها والحرص على الالتزام بالإرشادات التي نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال استشهاد ابن عبد الوهاب بهما في ذكر هذه الخصائص.

أولا: الدعوة إلى التأدب مع أهل الفضل

ومن أهل الفضل الذين أشار إليهم ابن عبد الوهاب ودعا إلى توقيرهم وإجلالهم "آل البيت"، فذكر "مسألة تقبيل زيد بن ثابت يد ابن عباس، وقال "هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت بيننا" وقال أن الله أوجب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوقا لا يجوز لمسلم أن يسقطها "[2]، كما أشار إلى حقوق الوالدين، وذكر الأدلة التي تبرز فضلهما على الأبناء وأن عقوقهما من أكبر الكبائر التي حذر الشرع من الوقوع فيها[3].

ثالثا: الدعوة إلى إصلاح القيم الاجتماعية:

وذلك من خلال تعرض ابن عبد الوهاب للصفات والأخلاق السائدة في المجتمع؛ كالبذاء، الفحش، الكذب، إخلاف الوعد والحسد، كما أكد على أن هذه الأخلاق تقوم بإفساد المجتمع،

[1]- محمد بن عبد الوهاب: الكبائر، باب أكبر الكبائر،مصدر سابق، ص9.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية، ، مصدر سابق، ص284.

[3]- محمد بن عبد الوهاب: الكبائر، باب أكبر الكبائر، مصدر سابق، ص3.

وتهد أركانه فهي تورث الشحناء والبغضاء بين أفراده فضلا على كونها معصية للإله، وهي سبب لاستحقاق العقوبة، وإحلال السخط خاصة إذا ما فشت وجاهر بها أبناء المجتمع.

وأما بالنسبة لمضامين ابن عبد الوهاب الدعوية المرتبطة بإصلاح المرأة فإن مضامينه الدعوية كانت عل شكل فتاوى ومسائل فقهية ارتبطت بكل القضايا الفقهية والمرتبطة بفقه المرأة مثل أحكام العدة وأحكام الظهر،والرضاع،وغيرها من الأحكام فذكر ابن عبد الوهاب في كتابه"فتاوى ومسائل[1]"لما سئل عن عدة المرضع،فأجاب ابن عبد الوهاب:المعمول عليه عندهم إلى أن يزول الرضاع،وعندنا إذا قامت سنة ،ولو كانت ترضع ولا أعلم دليلا يعارض كلام[2].

وكذلك لما سئل عن حكم غناء النساء في ولائم الأعراس فأجاب:رفع الصوت بالغناء من الباطل لايجوز،وأما إن كان فيه من المخالفات الشرعية كاجتماع الرجال والنساء فإنه غير جائز[3].

رابعا: الدعوة إلى طلب العلم والحث عليه:

إن المعرفة والعلم في نظر ابن عبد الوهاب هي أول مراتب الدعوة إلى دين الله، وهي ضرورية كذلك لتحقيق أهم ركن في الإسلام وهو التوحيد، فذكر أن العلم هو المسألة الأولى في تحقيق التوحيد[4]".

والعلم ليس غاية في حد ذاته، إنما هو وسيلة مثلى للغاية الحقيقية من خلق الإنسان وهي عبادة الله"[5]، وقد غاب هذا الأمر عن الكثير من طلبة العلم، ونبه إليه ابن عبد الوهاب في مؤلفاته.

---

[1]- محمد بن عبد الوهاب: فتاوى ومسائل، تح: محمد الأطرم وعبد الرزاق الدويش، المركز الإسلامي العربي، مصر، ط 1، 1398هـ،

[2]- المرجع نفسه، ص122.

[3]- المرجع نفسه، ص127.

[4] ابن عبد الوهاب: كتاب التوحيد، ص13- 24.

[5]- مرفت بنت كامل بن عبد الله **أسرة**: احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، مرجع سابق، ص197.

كما ذكر شروط الدعوة المتمثلة في طلب العلم فقال: "وأهل العلم يقولون بأن الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث مسائل:أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه، وأن يأتمر بما يأمر به ،وينتهي عن ما ينهى عنه"[1].

وذكر الآيات القرآنية التي تحث وتشجع على طلب العلم في رسائله وخطبه المنبرية، وربط بين "العلم والجهل من خلال دعوته إلى معرفة الله من خلال الأدلة ثم العمل على ما شرعه الله وأمر به واستدل في ذلك بسورة العصر"[2]. وأورد أيضا مجموعة من الأحاديث التي تحث على طلب العلم مثل حديث أبي الدرداء* رضي الله عنه:« منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ» [3].

كما أنشأ بابا في كتاب "**أصول الإيمان**" سماه بـ" **كتاب قبض العلم**" تحدث فيه عن الفتنة التي قد تلحق بالعلم والعلماء في آخر الزمان، وما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبض العلم"[4].

---

[1]- محمد ابن عبد الوهاب: مجموعة رسائل ومسائل أعلام نجد من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا هذا، جمع " عبد الرحمان بن قاسم القحطاني"، دار الإفتاء، المملكة العربية السعودية، ط2، 1385هـ، 1965م، ص296.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: الأصول الثلاثة، مصدر سابق، ص1.

*- أبو الدرداء: هو عويمر بن قيس الأنصاري، صحابي جليل، شهد أحدا، كان عابدا، مات في أواخر خلافه عثمان بن عفان.

[3]- الترميذي: سنن الترميذي، مرجع سابق، رقم الحديث: 3641.

[4]- راجع حديث: إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال، صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم الحديث: 100.

وزوال العلماء وموتهم، وافتنان الناس الناس بالجهلة والأدعياء، كما أنشأ بابا آخر هو باب "التشديد في طلب العلم للمراء والجدال"[1]، وفيه من التحذير والوعيد لمن اتخذ طلب العلم مطية للافتخار ،وطلبا السمعة ،ومجاراة العلماء وذوي البصائر.

ولم يقتصر الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب على مؤلفاته التي كانت تدعو إلى طلب العلم، وتضع الضوابط الشرعية لتحصيله، بل تعداه إلى عقد مجالس العلم وحلق الذكر وتدريس العلوم الشرعية المختلفة.

المطلب الثالث: المضامين السياسية:

الفرع الأول:عقد التحالفات

يرتبط الخطاب والسياسة بطريقتين أساسيتين "إحداهما على الصعيد الاجتماعي السياسي للوصف إذ يتم تكوين البنى السياسية على الصعيد الاجتماعي والسياسي، والأخرى على الصعيد الإدراكي الاجتماعي للوصف السياسي، حيث يتم ربط التمثيلات السياسية المشتركة مع المفاهيم والمعتقدات"[2]. وعلى هذا النحو كانت ترتكز المضامين السياسية لخطابات محمد بن عبد الوهاب فكانت تقوم على أمرين:

الأمر الأول: تمتين العلاقات مع الأعضاء الفاعلين في الدولة، أو الأشخاص من المهيئين لقيادة الأمة؛ مثل انتقال ابن عبد الوهاب إلى بلدة العيينة واستنجاده برئيسها عثمان بن معمر* وهي الخطوة السياسة الأولى لتدبير ابن عبد الوهاب في الحكم والسياسة ،وتمثل تثبيت أقدام الدعوة الإصلاحية التي كان ينادي إليها، والتي تحتاج إلى النصرة والمنعة. فما كان منه إلا أن لجأ إلى صاحب

[1]-محمد ابن عبد الوهاب، أصول الإيمان، مصدر سابق، ص275.

[2]-توين فان دايك: الخطاب والسلطة، تر: غيداء العلي، الهيئة العامة، شؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 2014م، ص328.

* **عثمان بن معمر:** هو عثمان بن حمد بن عبد الله بن حمد بن طوق بن معمر، من بني سعد من تميم، تولى بلدة العيينة بعد ما قتل أخوه محمد بن حمد، وجدير بالذكر أن عثمان هذا هو جد الامام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود لأمه، من كتاب "عنوان المجد" لابن بشر، ص38.

العينية وتروج من عمة الأمير عثمان بن معمر، ولكن التقلبات السياسية التي فرضتها بعض القوى الخارجية المناوئة لدعوة ابن عبد الوهاب حالت دون بقاء ابن عبد الوهاب في العينة واستمرار التحالف مع عثمان بن معمر، هذا الأخير الذي ألجأه خوفه على نفسه إلى التنازل عن حماية ابن عبد الوهاب، وبدوره هذا الأخير قام بتغيير القاعدة الدعوية والسياسية من العيينة إلى بلدة الدرعية" وهي منطقة مشهورة بالخيل والملابس الفاخرة والأسلحة والذهب"[1]، وفيها من المقومات ما يؤهلها إلى حمل ثقل الدعوة التي جاء بها ابن عبد الوهاب.

فعقد العهود مع أميرها محمد بن سعود، وأعطى كل واحد منها للآخر ميثاقه بالنصرة والعمل عل نشر دعوة ابن عبد الوهاب الإصلاحية[2]. واتفقا على أن تكون الإمارة والسلطة لمحمد بن سعود، وأن تكون المشيخة لمحمد بن عبد الوهاب[3]، وبعد ذلك حصل الكثير من المعارك والأحداث السياسية التي جعلت من دولة ابن سعود تتسع، ويتعاظم نفوذها وتستحوذ على إمارة نجد كلها ، وتثمر بعد زمن بتأسيس المملكة العربية السعودية.

الأمر الثاني: ربط المفاهيم السياسية مع المعتقدات:إذا سلمنا بأمر التوسع الحاصل في إمارة الدرعية من منطلق الصراعات التي نشأت بين دولة محمد بن سعود وبين الإمارات المجاورة لها، وأن هذه الصراعات لم تسلم من الحروب والتقاء الطرفين في ساحات المعارك ،فإننا من الواجب أن نسلم أيضا بدور ابن عبد الوهاب في استقطاب الجيوش وفي مشاركته الرأي والمشورة، بل إن ابن سعود كان يعمل في الكثير من الأحيان بآراء ابن عبد الوهاب فقد ذكر صاحب" كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد أن " ابن عبد الوهاب كان يتحمل مؤونة الجيش واحتياجاتهم، وكان يقضي هذه التكاليف على حساب الغنائم والأخماس والزكاة التي كان يشرف على جمعها وتوزيعها، وكان

[1]- عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص39.

[2]- المرجع نفسه، ص40.

[3]- أمين الريحاني: نجد الحديث وملحقاته، مرجع سابق، ص45.

صاحب الحل والعقد، ولما فتحت الرياض ،وأمنت السبل جعل محمد بن عبد الوهاب الأمر بيد عبد العزيز، وفوض إليه أمور المسلمين وبيت المال واعتزل للعبادة وتعليم العلم، دون أن يقطع عليه عبد العزيز المشورة والرأي[1].

وقد كانت هذه المشورة مؤسسة على تصحيح المفاهيم العقدية، والاحتكام إلى ما ورد في السياسة الشرعية وإنذار القبائل والمناطق المجاورة لإمارة الدرعية، وتبيين ما وقعوا فيه من محاذير، وعند رفض الاستجابة لتطبيق الشريعة الإسلامية واستئثار البدع والخرافات على الشريعة والسنة، فإن ابن عبد الوهاب يسارع إلى وضع الفتاوى بتجييش الجيوش وتوحيد الصف لمواجهة القبائل باسم الانتصار للعقيدة، وهنا يبرز لنا أن شكل الحكم وهيئته وسيلة وليست غاية، وأن ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم قائمة على مسمى الإسلام وتطبيق الشريعة"[2]، وأن العلاقة بينهما هي علاقة الفرع بالأصل، فالسياسة فرع من فروع الدين، وهي من آليات الإصلاح والدعوة لدين الله، وتندرج ضمن الصنف الأول الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإحقاق الحق إبطال الباطل وهو عن طريق اليد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُنْكِرْهُ بِلِسَانِهِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُنْكِرْهُ بِقَلْبِهِ، وَذَاكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ[3]».

كما أن الحكم يفرض على العامة الخضوع إلى تطبيق الأحكام الشرعية، والامتثال للأوامر الدينية والتوقف عند النواهي، وفي ذلك ما ورد عن الخليفة عثمان بن عفان قوله" إن الله يزع بالسلطان مالا يزعه بالقرآن[4]"، ولهذا نجد أن عبد الوهاب هو عنصر فعال بين أهل الحل والعقد

---

[1]- عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص47، 48.

[2]-أحمد سالم: جدل الدين والسياسة- مناظرات حول: هل ثمة حل في المشروع الإسلامي- الشريعة بين حكم العالم والديمقراطية، التكفير والقتال في الدعوة الوهابية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت، ط1، 2015م، ص115.

[3]- مسلم: صحيح مسلم، مصدر سابق، رقم الحديث: 49.

[4]- أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تح: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1422هـ-2001م، ص107 .

،وله إسهامات كبيرة في فتح الكثير من الإمارات كفتح حريملاء سنة 1168هـ[1]، " وغزو جلاجل، ثم فتح الرياض سنة 1170 هـ"[2]. وغيرها من الفتوحات والغزوات،

و قد كان ابن عبد الوهاب كان حاضرا في الكثير من مجالس الصلح والمجالس التي يعقد فيها الولاء للدولة السعودية أو لإمارة ابن سعود بتعبير أدق.

نخلص إلى القول بأن ابن عبد الوهاب كان سياسيا من الطراز الأول مدبرا للأمور،يحسن إقناع محدثيه، ويأسر قلوبهم بطلاوة بيانه، وحلاوة لسانه، وقد مكنه دهاؤه وحكمة تدبيره من توطيد دعائم الدعوة التي جاء بها، وتسيير شؤون إمارة ابن سعود، والمساهمة في بناء الدولة السعودية الأولى.

ثانيا:بعض المبادئ السياسية لمحمد بن عبد الوهاب:

أ) إقرار مبدأ الشريعة كمصدر أساسي في نظام الحكم والتثبت في حالة الحرب:

لم يبادر محمد بن عبد الوهاب إلى إقرار الحرب ضد أي إمارة دون عرض مضمون الدعوة التي جاء بها، وفي ذلك استنان بسنة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم في فتح الأمصار كما أن دولة محمد بن سعود كانت تبقي البلاد التي تدين لدين الله بالولاء، وترضى بالتزام الشرع، وتعمل على تطبيق أحكامه.

فقد كان كان هدف كل من محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب هو خضوع البلاد للشريعة الإسلامية بغض النظر عن حاكمها من يكون وخير دليل على ذلك إبقاء أمير حريملاء على بلدته دون منازعته أمر بلدته[3] وذلك بعد إقراره بتنفيذ الأحكام الشرعية.

---

[1]- عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص69- 74- 128.

[2]- حسين خلف خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص341.

[3]- ابن غنام: روضة الأفكار والأفهام لمرتداد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام- المعروف بتاريخ ابن غنام-، مرجع سابق، ص68.

وكان يهدف كذلك إلى تحكيم شرع الله في تثبيت نوع الحكم وطبيعة السياسة، فألغى قانون الأعراف والتقاليد المتعارضة مع أحكام الشرع، ولم يعد العمل بها جائزا أو مشروعا في الأحكام التي تضبط بها شؤون الناس ومصالحهم"[1].

ب) جمع الكلمة على إمام واحد[2]:

وهو الاتفاق الذي تم بين ابن عبد الوهاب، وابن سعود، وقد سبق ذكره وهو يبرر اهتمام ابن عبد الوهاب بتوحيد شمل الأمة ومحاولة جمعها حول أمير واحد وفي ذلك محاولة لإعادة الأمجاد التي كانت تحظى بها الأمة الإسلامية في عصرها الذهبي يوم أن كانت مجتمعة على رأي واحد وعلى خليفة واحد.

ج) رأيه في الخلافة:

يرى محمد بن عبد الوهاب بوجوب التفاف المسلمين حول إمام و احد تجتمع فيه الشروط التي تؤهله لقيادة الأمة، ومن بين الشروط التي ذكرها ابن عبد الوهاب شرط العدل وقد ذكر في باب " الجور والعلم وحظر الولاية"[3] من كتاب "**الكبائر**" حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة، فلم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار"[4]، وذكر أيضا شرط الإسلام والتوحيد وعدم موالاة المشركين بدليل الآية **قَالَ تَعَالَى:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

---

[1]- هارفرد بريدجز: موجز التاريخ الوهابي، تر: عويضة متريك، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط 1، 1426هـ- 2005م، ص280.

[2]- عابد بن مسفر العقيلي: الأمن الفكري في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وآثاره، مرجع سابق، ص379.

[3]- محمد ابن عبد الوهاب: كتاب الكبائر، مرجع سابق، ص58. أول مرة يذكر بقية المعلومات

[4]- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1422هـ- 2002م، رقم الحديث: 7014.

وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ المجادلة: ٢٢، كما ذكر ابن عبد الوهاب أيضا مجموعة من الأحكام السياسية المستمدة من الكتاب والسنة مثل: النهي عن طلب الولاية[1]، النفقة على الرعية[2]، ملازمة الجماعة[3]، حرمة الخروج عن طاعة ولي الأمر[4]؛ وهي الأحكام المذكورة في الكتب الفقهية التي ألفها ابن عبد الوهاب والتي تعبر عن منهج ابن عبد الوهاب في مسلك السياسة وإتباعه للسلف الصالح في تعاملهم مع الرعية إن كانوا حكاما، أو تعاملهم مع الحكام والخلفاء إن كانوا رعايا.

د) العلاقة مع الدولة العثمانية:

قد يتساءل الكثيرون عن التناقض الظاهري الحاصل في فكر ابن عبد الوهاب حول مسألة طاعة ولي الأمر، وكيف خرج محمد بن عبد الوهاب عن الخلافة العثمانية التي كانت تحمل لواء الخلافة الإسلامية في ذلك العصر، بحيث كان ابن عبد الوهاب يسرد الأحاديث التي تدعو إلى وجوب طاعة ولي الأمر وتحذر من الخروج عنه وعن جماعة المسلمين ولكن الحقيقة التي ذكرها كبار المؤرخين المختصين بدراسة تاريخ المملكة العربية السعودية"[5] أن إقليم نجد لم يكن خاضعا لسلطة الدولة العثمانية، ودليلهم في "ذلك تواجد العديد من الإمارات على مستوى هذا الإقليم، وتفرد بعض أعيان تلك الإمارات للزعامة والرياسة على مستوى بلداتهم في إقليم نجد"[6] ، كما أن اقليم نجد لم يكن ضمن التقسيم الإداري للدولة العثمانية الذي كان يضم اثنتين وثلاثين أيالة، فابن عبد

[1]-محمد ابن عبد الوهاب: الكبائر، مرجع سابق، ص56.

[2]- المرجع نفسه، ص56.

[3]- المرجع نفسه، ص46.

[4]- المرجع نفسه، ص45.

[5]- أمثال: صالح العبود، وعبد الله العثيمين، وحسن خزعل.

[6]-موسى بن حنيطل الجمار، الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الهاشمية، الأردن، سنة، ص75.

الوهاب لم يخرج عن الخلافة العثمانية التي لم تضع قواعدها في إقليم نجد، وهو كذلك لا يرى بخلافة العثمانيين على بلاد المسلمين.

وكانت الحركة الوهابية في جوهرها معادية للدولة العثمانية فهي من الناحية الفكرية العقدية ، تعادي فكرة الدولة العثمانية ،التي احتضنت البدع و الخرافات و الشعوذة التي شوهت جوهر الإسلام الصافي النقي [1]، وقد كان صراعها السياسي ضد التخلف العثماني مؤسسا في البداية على الجانب الفكري ،ذلك أن المنهج الذي جاء به ابن عبد الوهاب عمل على تجديد عقائد الإسلام الدينية و تحرير الضمير المسلم من كل ما يشوبه من بدع، وضلالات فكرية غطت بركامها الغريب على جوهر الإسلام حتى كادت أن تطمس أعظم ما يتميز به هذا الدين، و هو نقاء التوحيد و صفاؤه ، وهذا الركام الوافد من البدع و الخرافات كان يومئذ يمثل قسمة من قسمات الفكرة العثمانية ، والذين يراجعون سيل الكتب ،التي صنفت يومئذ للرد على الوهابية وعلى ظهور دعوة محمد ابن عبد الوهاب يدركون جيدا الصراع الرئيسي بين الخلافة العثمانية، والوهابية، وأن هذا الصراع السياسي لم يكن حول الحكم، والخلافة بقدر ما هو نتاج للانحراف الفكري و العقدي [2] .

لقد كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب ،دعوة تهدف إلى إصلاح حال الأمة الإسلامية و تجديد الدين الإسلامي، وإرساء قواعد الشريعة في حياة الناس، ومحاربة كل ما من شأنه أن يشيع الفساد، وينشر البدع ،بدءا بزعماء القبائل النجدية، وأتباعهم، وانتهاء إلى الدولة العثمانية التي نخرها الفساد، وهدمها الانحراف، إذن فالغاية المقصودة من إعلان القطيعة، والنكران على الدولة العثمانية و خلفائها هو بمثابة رسالة ابتكار، ورفض لما تم شيوعه وانتشاره في الدول الإسلامية التابعة للخلافة العثمانية من انزلاقات، وخروج عن مقصد العقيدة و الشريعة التي جاءت بها رسالة محمد صلى الله عليه و سلم و إذا كان الحاكم أو السلطات قد أذن لذلك الأمر بالاستفحال ، و لم يظهر برائته منه

[1]- يوسف السيد: فجر الحركة الإسلامية المعاصر، الوهابية، الصوفية، المهدية، مرجع سابق، ص39.

[2]- محمد عمارة: الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري، مرجع سابق ص21.

، هذا إن لم يكن وسيلة فعالة لتفشيه وانتشاره ، فإنه و إحقاقا لإنكار المنكر و رفضه ، و الدعوة كذلك إلى مقاطعة تلك المنكرات ، فقد لجأ ابن عبد الوهاب إلى الإعلان بأن الطريقة المثلى لوأد المنكرات والضلالات الفكرية و العملية هو الإفصاح عن حرمتها و تبيان الأدلة في ذلك، ثم الإنكار على أهلها ،و عدم الانصياع لكل من يدعو إليها ، ذلك أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [1].

ومن أسباب عدم خضوع نجد للنفوذ العثماني « عدم تركيز اهتمام الدولة العثمانية على هذا الإقليم حيث أن منطقة نجد لم تكن تمثل للدولة العثمانية أي أهمية اقتصادية أو سياسية أو دينية، ولذلك لوحظ أن الدولة العثمانية ركزت جل اهتماماتها – في تلك الفترة –على الحجاز حيث الأماكن المقدسة ،وعلى السواحل الشرقية و الغربية خاصة بعد تصديها لحملات البرتغاليين ،و على الرغم من ذلك فقد كانت هناك محاولات لبسط النفوذ على هذا المنطقة ، منها محاولات أشراف الحجاز ،وبني خالد– حكام الأحساء–، إلا أن جميع تلك المحاولات لم تصل إلى درجة بسط النفوذ و الاستيلاء على نجد [2] و لم تسفر سلطة الأشراف السياسية ،التي يبدو أنها جاءت إلى نجد عن طريق قوة آل أبي نمي،وكذلك عن طريق النمو الاقتصادي والرخاء الذي شهدته نجد خلال القرون الثلاثة التي سبقت ظهور محمد بن عبد الوهاب،وكذلك أثناء فترة حياته،عن أي تغيير في نظام السياسة بإقليم نجد وضواحيها،فتركت البلدات والمستوطنات والجماعات القبيلة وحدها لتحكم نفسها بنفسها، كما كان الحال من قبل ظهور الدولة العثمانية ،و بهذا لم تتم أي محاولة لإيقاف أومنع الحروب الثائرة بين مختلف البلدات، والقبائل أو لحماية عامة الناس المستقرين من البدو ،أولضمان سلامة الطرق و كلها واجبات أساسية تقع على كاهل الحاكم و لم يتكفل بها السلطان العثماني في يوم من الأيام بإقليم نجد ، و لا حتى عن طريق الأشراف[3] .

[1]– الحسن ابن الفراء البغوي: شرح السنة، مرجع سابق، 2455.

[2]– عبد الله العثيمين: بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص7 –72.

[3]– عويضة بن متريك الجهني: نجد قبل حركة الاصلاح السلفية: إحسان زكي، مرجع سابق، ص251.

وكل هذه المعطيات والمؤشرات توحي بأن محمد بن عبد الوهاب بقي ملتزما بمبادئ السياسة الشرعية في تعامله مع الخلافة العثمانية، ومع ولاتها – أشراف مكة –، وهي عدم الخروج على طاعتهم، وعدم منازعتهم في سلطانهم وحكمهم، ذلك أن الإقليم الذي ظهرت فيه دعوة محمد بن عبد الوهاب، وانتشرت إلى ضواحيه من أقاليم و بلاد أخرى ، هي في واقع الأمر لم تكن يوما تحت لواء حاكم، ولا خليفة من خلفاء الدولة العثمانية بل هي قبائل متفرقة ، يسودها النظام القبلي و يحكمها الدستور العرفي ،"والدولة العثمانية رغم أن مناطق نفوذها قد أحاطت نجد من أغلب جهاتها ، إلا أن بلاد نجد لم تشهد خلال هذه الفترة ولاة عثمانيين و لا حامية تركية[1] " ،"أي أن نجدا لم تشهد نفوذا عثمانيا مباشرا في فترة ظهور محمد بن عبد الوهاب و ما ورد من أن بعض أئمة المساجد النجديين كانوا حينذاك يمجدون السلطان العثماني أو يدعون له في الخطبة ، ربما كان سببه ما يكنه السنة عامة من مشاعر طيبة تجاه السلطان العثماني ". [2]

وكخلاصة للقول فإن نجدا لم تبرح محتفظة باستقلالها و حريتها ،و أن نجد أثناء فترة ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب كانت خارج دائرة حساب الدولة العثمانية، ولم تخضع لأي حكم، ولا سلطان، بل كانت في عداد المناطق الخارجة عن النفوذ العثماني، والتي لم يكن يحسب لها أي حساب ،فلا يرجى نفعها، ولا يخشى من كيدها .

[1]– عبد الله العثيمين: بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص13.

[2]– المرجع نفسه، ص39.

المبحث الثالث: أوجه الاتفاق و الاختلاف بين مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد ابن باديس و محمد ابن عبد الوهاب :

المطلب الأول:أوجه الاتفاق:

1-الاهتمام والتركيز على مصادر الشريعة الإسلامية:

فقد أخذت نصوص الوحي من الكتاب و السنة الحظ الوافر من مضامين الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب، وهذا ما يبرز مدى إدراك وفقه الدعوة بالنسبة للشخصيتين، ذلك أن نجاح الخطاب الدعوي مرتهن بمحتوى، ومضمون ذلك الخطاب، ولا يمكن للداعية أن يجد أنفس، وأبلغ من نصوص الوحي لتضمينها في خطابه الدعوي ،فسعى كل من ابن باديس و ابن عبد الوهاب للاستفادة من نصوص الوحي و توظيفها في إعداد الخطاب الدعوي.

2- القيام بواجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

فالخطاب الدعوي لابن باديس، وابن عبد الوهاب لم يكن خطابا نظريا مجردا من التطبيقات الواقعية والعملية، بل إن كلا من عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب قد سعيا للنزول إلى واقع الناس المعيش، والاهتمام بقضاياهم و شؤونهم الدينية، والدنيوية وكانوا بمنزلة الحكيم الذي يتفحص المريض من كل الجوانب ،ثم يقدم وصفة العلاج ،فمحصا وفحصا النقائص و العيوب التي كان يعاني منها الأفراد، والمجتمعات على مستوى خطابهم الدعوي –المتعلقة بمتلقي الخطاب – ثم استخرجا الأحكام الواردة في كل ما تعلق بذلك الخطاب من أوامر و نواهي و قاما بدعوة الناس إلى الامتثال بها.

3-الإصلاح العقدي :

أخذ الإصلاح العقدي حيزا كبيرا من مضامين الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس، ولمحمد بن عبد الوهاب، واهتم كل منهما بإصلاح الجانب العقدي للأمة ،فطرحوا أهم القضايا و الاعتقادات المنتشرة في الوسط الدعوي،والصبغة الدينية لبعض الممارسات والانحرافات التي ألصقها بعض الأدعياء والملفقين لإيهام الناس وتضليلهم.

4-المضامين السياسية:

اتفق الخطاب الدعوي لابن باديس مع الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب من الجانب السياسي فيما يخص العمل على توحيد الأمة، والاهتمام بشؤونها، والشعور بالانتماء السياسي لجميع الدول الإسلامية، كما اشترك الخطابين أيضا في مسألة تقصير الخلافة الضمانية وعجزها عن تمثيل الأمة الإسلامية ،وعن قيادتها للحفاظ على هيبة، وقوة الدولة الإسلامية فأنكر صاحبا الخطابين حصر مصطلح الدولة الإسلامية أو الإسلام السياسي في اسم الدولة العثمانية، و اعتبر كل من ابن باديس، وابن عبد الوهاب أن الدولة العثمانية ما هي إلا صورة من صور الحكم الوضعي الذي له محاسن، و عليه الكثير من المآخذ ،و هذه المآخذ هي التي كانت سببا في تشويه صورة الإسلام بعد أن تم إلصاق مفهوم الدولة الإسلامية بالخلافة العثمانية .

المطلب الثاني:أوجه الإختلاف

1 –على مستوى القرآن الكريم والسنة النبوية:

نجد أن الخطاب الدعوي لعبد الحميد ابن باديس كان يركز بشكل أكبر على الاهتمام بالقرآن الكريم، وعلومه ،وقد أخذ تفسير القرآن الكريم من الخطاب الدعوي لابن باديس شطرا كبيرا ،ومساحة شاسعة مقارنة بباقي المضامين ،فجعل ابن باديس من القرآن، وتفسيره مرجعا ثابتا في طرحه للمضامين الدعوية ،بينما نجد أن ابن عبد الوهاب قد اقتصر على تفسير بعض السور و الآيات من القرآن الكريم، ونجد كذلك أن تفسيره لآيات القرآن الكريم كان تفسيرا لغويا محضا ،

يهدف إلى تبيان غريب القرآن الكريم، وتبسيطه لعامة الناس، ولطلبة العلم، ونجد الجانب الدعوي والوعظي لابن عبد الوهاب في تفسيره للقرآن الكريم غائبا تماما،وكأن ابن عبد الوهاب قد فاته توظيف تفسير القران الكريم في خدمة الدعوة .

وأما بالنسبة للسنة النبوية فإننا نلاحظ أن استدلالات محمد بن عبد الوهاب للسنة النبوية و توظيفها في خدمة الدعوة ، كانت أوسع و أشمل من توظيف ابن باديس للسنة في الخطاب الدعوي رغم مؤلف هذا الأخير في هذا الباب والموسوم بمجالس التذكير من حديث البشير النذير

2- من الجانب العقدي :

مع أن الخطابين الدعويين اتفقا على أهمية الإصلاح العقدي و دوره في تقويم الأفراد و المجتمعات إلا أن الخطابين افترقا في بعض المضامين من هذا الجانب، فقد ركز الخطاب الدعوي لابن باديس في جانب العقيدة على قواعد الإيمان و الأخلاق،والنهي عن اتباع بعض المناهج المخالفة للعقيدة السليمة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تدعو إلى ارتكاب بعض المخالفات و تقديس بعض الأسماء بحجة الولاية سواء كانوا أحياء أم أمواتا أما الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب، فقد فصل أكثر في مسألة التكفير و قام بتحديد ضوابطها و من يقع عليه ذلك الحكم ،كما ربط الجانب العقدي بالجانب السياسي و اعتبره جزءا هاما في إقرار نظام الحكم على الوجه الشرعي .

لقد كانت المضامين السياسية للخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس تواجه خطر الاستعمار الفرنسي، وهو خطر خارجي يكن العداوة و البغضاء للإسلام و الدعوة فكان الخطاب الدعوي من الجانب السياسي لابن باديس يواجه عناصر تشويش تمثلت في الاستعمار الفرنسي بأيديولوجيته المسيحية و مبدئه في أن الجزائر هي جزء من الأراضي الفرنسية ،و بالتالي فإن الاستعمار الفرنسي كان يعمل جاهدا على إقصاء مثل هذه الخطابات التي تشكل خطر عليه وعلى تواجده في أرض الجزائر بخلاف الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب المتعلق بالمضامين السياسية فإننا حتى و إن

لاحظنا وجود استنكار لدعوة ابن عبد الوهاب من قبل عثمان بن معمر في بادئ الأمر ، إلا أن الخطاب الدعوي بعد ذلك قد وجد حلفاء و أنصارا حملوا على عاتقهم المشاركة في نشر الدعوة و تأسيس الدولة فحدث تزاوج و ملائمة بين الشق السياسي والشق الديني ،و كمل كل منهما الآخر و ساعد ذلك صاحب الخطاب الدعوي محمد ابن عبد الوهاب على نشر الخطاب الدعوي و العمل على إصلاح الجانب السياسي في إقليم الدعوة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة:رغم وجود بعض من النقاط التي اشترك فيها كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب في تضمينهما لخطاب كل واحد منهما الدعوي،إلا أن هنالك فوارق كبيرة بين مضامين الخطاب الدعوي لكل واحد منهما،خاصة في المجال السياسي الذي كان عاملا مساعدا في دعوة ابن عبد الوهاب،وساهم بقدر كبير في نشر دعوته،بينما كان مثبطا ومعيقا لدعوة ابن عبد الوهاب في وضع مضامينه الدعوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

آليات ومناهج الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس و محمد بن عبد الوهاب

المبحث الأول: آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس

المطلب الأول: المساجد والمدارس ودورهما التعليمي والإصلاحي

المطلب الثاني: النوادي والمؤتمرات ودورها الدعوي

المطلب الثالث: جمعية العلماء المسلمين

المطلب الرابع: الجرائد والمجلات

المطلب الخامس : المناهج الدعوية المستخدمة في الخطاب الدعوي عند ابن بايس

المبحث الثاني: آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب

المطلب الأول: الخطط الحربية والمشاركة السياسية.

المطلب الثاني:الرسائل والمكاتبات

المطلب الثالث:مجالس العلم

المطلب الرابع:المناهج الدعوية المستخدمة في الخطاب الدعوي عند ابن عبد الوهاب

المبحث الثالث: المقارنة بين آليات الخطاب عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب

المطلب الأول: أوجه التشابه

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

خاتمة الفص

إن آليات ومناهج الخطاب الدعوي هي تلك المنظومة المتكاملة لعملية الدعوة الإسلامية، والتي تشتمل على أصول ومضامين تعين الداعية على إنجاح خطابه الدعوي فهي تسمح له باستغلال الظروف الملائمة والأحوال المناسبة[1]، لجعلها في خدمة الدعوة، كما تعينه أيضا على بلورة الخطاب وصياغته بما يتلاءم ويتوافق مع طبائع وإدراكات ومشاعر المدعويين، وإعطاء الأولوية لمنهج أو مضمون على حساب منهج أو مضمون آخر، حسب الأحوال والأوضاع التي يشهدها المدعوون، ومع أن الاختلاف في الأحوال وكذا الأزمنة والعصور، يفرض على الداعية استخدام مناهج وآليات لم تكن في الأزمنة التي سبقته، أو تختلف عن جغرافية الدعوة، فيؤدي بذلك إلى اختلاف المناهج والآليات، وتقديم الأصلح والأنسب للوصول إلى مردود دعوي أكثر وأنفع، ومع هذه الحتمية المنطقية إلا أن ذلك كله لا يمنع من وجود نقاط تقاطع وعدم نكران للمدارس الدعوية الأولى بدءً من مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم ومروراً بزمن السلف الصالح من هذه الأمة، ووجوب تقليد الأعراف الدعوية والاستئناس بسير هؤلاء الدعاة العظام الذين سطروا في تاريخ الأمة الإسلامية أنجح الخطابات الدعوية، ويتقدمهم في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فيأخذ الداعية من تلك الآليات والمناهج، لتكون تلك الآليات والمناهج بمثابة الثوابت والمراجع التي يشترك فيها جميع الدعاة ويوظفها المصلحون والقائمون على نشر رسالة الإسلام وتعليم الناس الخير.

ونحن في إعداد هذا العمل البحثي، سنتطرق إلى دراسة مدرستين دعويتين هما مدرسة عبد الحميد بن باديس ومدرسة محمد بن عبد الوهاب، وكما أسلفنا الذكر عند حديثنا عن الأوضاع التي عايشها كل منهما، فإننا الآن سنتناول مدى تأثير تلك الأوضاع والأحوال في اختيار كل منهما للآليات والمناهج الدعوية المناسبة لخطاب كل من الشخصيتين، ومدى تميز كل خطاب عن الآخر وكذا المشتركات بين الخطابين.

[1]- عبد الرحمان محمد المغذوي: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية – دراسة تأملية على ضوء الواقع المعاصر –، دار المقدمة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط3، 1430هـ، ج1، ص70.

المبحث الأول: آليات الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس:

تدعم الخطاب الدعوي لابن باديس بمجموعة من الآليات والمناهج التي نهضت بالخطاب الدعوي، وكانت سببا في نضوجه وانتشاره، فقد كانت هذه الآليات والمناهج تتسم بالتنوع والتعدد، ما خلق ميزة للخطاب الدعوي وساعد في إيصال الرسالة الدعوية للمخاطبين على اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبهم وطبائعهم.

المطلب الأول: آليات الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس:

أولا: المساجد والمدارس ودورهما التعليمي والإصلاحي:

تعد المساجد أقدس بقاع الأرض ،و الحق أن دورها لا يقتصر على العبادة فحسب ،فبالإضافة إلى كونهامكانا للعبادة والطهارة وإقامة أعظم شعيرة من شعائر الإسلام وهي الصلاة، لقوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾التوبة: ١٠٨؛ والمسجد أيضا مكان لتحصيل العلم ومدارسة الكتب، وقد كان منذ العهود الأولى للإسلام يمثل مركزا للقيادة ووضع الخطط الحربية وبناء دولة الإسلام من خلال المشاركة السياسية بتفعيل آلية الشورى التي كان مقر انعقادها المسجد. وقدحافظالمسلمونعلىهذاالعرفوحفظواللمسجدالمكانةالتيخصهابهاأسلافهمله،فرغمالتجديدوحركةالإصلا حالتيشهدتها معظم البلدان الإسلامية – ومن بينها الجزائر – فإن العلماء والدعاة وكذا الأئمة قد حافظوا على تقاليد التعليم المسجدي، فكانت مساجد مدينة قسنطينة تكتظ بالطلبة؛"وكان من أبرز الذين تصدروا التدريس في المساجد ثلاثة كان لهم التأثير الواضح في المجتمع؛ وهم عبد القادر المجاوي، حمدان لونيسي، وعبد الحميد بن باديس"[1]، وكان هذا الأخير يقر بدور المسجد في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه ودوره التعليمي الذي كان يناط به فقال: " إن المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهور الإسلام؛ فما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن استقر في دار الإسلام بيته ،حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه،

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،ط1 ،1998م، ج3، ص125.

فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة فكما أنه لا مسجد دون صلاة، فإنه كذلك لا مسجد دون تعليم"[1]، واتخذ ابن باديس مجموعة من المساجد وجعل منها مراكز دعوية يلقي فيها الدروس العلمية، وتنير تلك الصروح بأنوار الذكر والعلم، وكانت من أهم هذه المراكز الدعوية ما يلي:

1-**الجامع الكبير**:

وهو المسجد الموجود ببطحاء السويقة بشارع المهيدي – بمدينة قسنطينة-، يعتبر من أقدم مساجد المدينة حسب ما دلت عليه كتابة عربية كوفية كانت حول محراب المسجد نُقِش فيها هذا من عمل محمد بو علي البغدادي عام 1136م[2]، يبلغ طول جدار الجنوب الشرقي له 22,30م والجنوب الغربي 23,30م والشمال الشرقي 22,2م والشمال الغربي 20,60م، كما يحتوي على مجموعة من النوافذ يقدر عددها بتسع نوافذ، وله أربعة أبواب خشبية[3].

وكانت هناك توسعة للمسجد سنة 1561م "من طرف عائلة بن الفقون Ben Elfeggoune وكانت هذه الأسرة تتوارث خدمة هذا المسجد وإمامته، وخضع المسجد أيضا لتوسعات أخرى كانت على فترات زمنية مختلفة"[4]، وكان أول عهد لابن باديس بالتدريس قد حصل في هذا المسجد، واستمر فيه إلى أن منعه مفتي قسنطينة بمواصلة التعليم سنة 1913م، لينتقل بعد ذلك إلى الجامع الأخضر بعد توسط والد عبد الحميد بن باديس للسلطات الفرنسية لإعطاء عبد الحميد ابن باديس رخصة التعليم[5].

2-**الجامع الأخضر**:هو أحد المساجد الثلاثة الجامعة الباقية بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة، أسسه حسن بك، ويقع برحبة الصفوف، وكان منطلق الحركة الإصلاحية لابن باديس،

---

[1]- عبد الحميد بن باديس : آثار ابن باديس،مصدر سابق ج4، ص94.

[2]- مفتشية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة : " قسنطينة ومساجدها وعلماؤها"، جريدة العصر، ع 39، 11 ربيع الأول 1402هـ، 7 جانفي 1982م.

[3]- يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط 1 ، 2009م، ص95.

[4] -Earnest Mercien, Constantine au X VI Siecle, Paris, 1878, P13, 14.

[5]-عبد الحميد بن باديس: كلمة المحتفل به، الشهاب، ج 4، م 14، ربيع الثاني – جمادى الأولى 1357هـ-جوان، جويلية 1938م.

عرف عن المسجد منذ تأسيه بدوره التعبدي والتعليمي وهو يحمل اسم الجامع الأخضر، وليس جامع سيدي لخضر كما يقع الكثير من الباحثين في خطأ تسميته "، وسبب تسمية المسجد بالجامع الأخضر هو اللون الأخضر الذي تم طلاء المسجد به"[1].

وقد لازم ابن باديس هذا المسجد أزيد من ربع قرن يعلم ويربي النشء بالنهار، ويعظ ويرشد الكبار بالليل وختم تفسيره فيه سنة 1938م، وختم فيه أيضا موطأ الإمام مالك سنة 1939م"[2]، وقد قدر عدد الحاضرين إلى مجالس العلم التي كان يعقدها ابن باديس في هذا المسجد ألفي شخصا[3]، فكان المسجد يمتلئ عن آخره، وصار من غير الممكن استيعاب كل الوافدين إليه، ما أدى بابن باديس إلى فتح مساجد أخرى فرعية تابعة لهذا المسجد، وكان ابن باديس ملازما لهذا المسجد إلى أن وافته المنية[4].

3-جامع سيدي قموش:

يتواجد في أعالي رحبة الصوف بمدينة قسنطينة، وهو جامع صغير متواضع يملكه آل ابن باديس اتخذه عبد الحميد بن باديس كمسجد فرعي بعد أن منع إلقاء الدروس بالمسجد الكبير، وكان ابن باديس يجلس في صدر قاعة الصلاة المتواضعة والطلبة يجلسون من حوله على حصائر وزرابي متراكبة بعضها فوق بعض[5].

4-جامع سيدي بومعزة:

[1]- فاطمة الزهراء قشي: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ع 09، 2013م، ص14.

[2]- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهوده في التربية و التعليم،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،ط 1 ،دت،، ص 356، 357.

[3]- سليمان الصيد: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من أخبار، المطبعة الجزائرية،الجزائر،ط 1، 1994م، ص198.

[4]- عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر،مرجع سابق، ج 1، ص374.

[5]- زهور ونيسي: الإمام عبد الحميد بن باديس ونهضة أمة،مرجع سابق، ص207.

يقع هذا الجامع في حي الأربعين شريف، بمدينة قسنطينة وهو جامع صغير؛ يتم الدخول إليه بعد الصعود عبر درجتين للبلوغ إلى بابه، له مساحة ضيقة ولكنها تفي غرض أداء الصلوات وتحفيظ القرآن الكريم لأبناء الحي الشعبي، وهو مسجد بعيد عن الأنظار كونه صغير الحجم، لجأ إليه ابن باديس بعد المضايقات التي تعرض لها من قبل السلطات الفرنسية ويحتوي هذا المسجد أيضا على غرفة تقع أسفل المسجد، اتخذ ابن باديس هذا المسجد كمركز لتدريس مادة التاريخ التي تم منع تدريسها في الجزائر ونظرا لضيق المساحة فإن ابن باديس كان يطلب من تلاميذه الدخول إلى المسجد أفواجا[1].

5-مسجد سيدي عبد المومن:

هو مسجد قديم بمدينة قسنطينة يقع بحي السويقة، وكان إلى جانب كونه يقام فيه الصلوات الخمس، فإنه كان أيضا مكانا لتعليم الأطفال القرآن الكريم[2].

لقد كانت هذه المساجد تمثل القواعد الرئيسية التي اتخذها ابن باديس كمحاضن للدعوة من خلال الإعداد والتكوين التربوي والتعليمي والديني والسياسي للشعب الجزائري دون فصل هذا التكوين عن مسؤولية الشعور بالانتماء الوطني، والواجب عل هذا الشعب الالتزام بتأدية كل ما عليه تجاه وطنه.

6-مدرسة التربية والتعليم الإسلامية:

انتقل ابن باديس إلى التدريس في بناية الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست سنة 1917م، وتطورت سنة 1930م لتصبح مدرسة ولتحمل اسم " جمعية التربية والتعليم الإسلامية"، وحرر ابن باديس القانون الأساسي لهذه المدرسة وقدمه باسم جمعية العلماء المسلمين إلى الحكومة الفرنسية، فصادقت عليه هذه الأخيرة دون أن ترى نتائج ذلك القانون بتاريخ رمضان 1349هـ، مارس

[1]- زهور ونيسي:مرجع سابق، بتصرف، ص213.

[2]- مفتشية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة، مرجع سابق.

1930م، وكانت هذه الجمعية – جمعية التربية والتعليم الإسلامية- متكونة من عشرة أعضاء يرأسهم عبد الحميد بن باديس[1].

ومما جاء في القانون الأساسي للجمعية أن هدفها هو نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف الدينية والعربية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين، وتربيتهم تربية إسلامية تقوم على المحافظة على الدين واللغة والشخصية، وكذا تثقيفهم وتعليمهم اللغتين العربية والفرنسية، وأما من الجانب المالي فهي تهدف إلى تعويد الأمة على العطاء والإنفاق المنظم[2].

7-دار الحديث:

إن أكبر دعامة قامت عليها النهضة الجزائرية الحديثة هي تأسيس المدارس الحرة بمال الأمة، وقد قامت تلمسان بقسطها من هذا الواجب فشيدت مدرسة الحديث على طراز ليس له نظير في القطر الجزائري كله[3]، ومع أن هذه المدرسة تنسب إلى آثار البشير الإبراهيمي الذي يعتبر صاحب فكرة تأسيسها والمشرف على تشييدها من خلال جمع الأموال الكافية لبنائها [4]، ومتابعة مراحل تطورها وميلادها"، فإن ابن باديس أيضا كان حاضرا في توجيه النصائح والتوجيهات لأخيه وزميله البشير الإبراهيمي في وضع البرامج التعليمية فيها، وكان قد حضر حفل الافتتاح فيها، وقام بنفسه بتدشين هذه المدرسة بمعية الإبراهيمي يوم 22 رجب 1356 هـ، الموافق لـ 27 سبتمبر 1937م"[5].

وسميت بدار الحديث نسبة إلى دار الحديث الأشرفية بدمشق والتي سبق وأن درس فيها البشير الإبراهيمي[6]، وكتب فيها محمد العيد قصيدة بعنوان تحية دار الحديث فقال:

أحيي بالرضى حرما يزار...*... ودارا تستظل بها الديار

أحيي خير مدرسة بناها...*... خيار في معونتهم خيار

---

[1]- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من الحكيم الخبير، مصدر سابق، ص115.

[2]- ينظر:عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس ،مصدر سابق،ج6 ،ص146.

[3]-محمد البشير الإبراهيمي: الدعوة العامة، البصائر ، ع80، س2 ، الجمعة 2 رجب 1356 / 17 ديسمبر 1937م.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،مرجع سابق،ج2،ص 361.

[5]- محمد البشير الإبراهيمي: الدعوة العامة، البصائر ، ع80، س2،مصدر سابق.

[6]- محمد البشير الإبراهيمي: " الدعوة العامة"، المصدر السابق.

تلمسان احتفت بالعلم جارا...*... وما كالعلم للبلدان جار

لقد لبست من الإصلاح تاجا...*... يحق به لأهليها الفخار[1].

لقد كان ابن باديس يربي ويدرس أبناء بلده القيم والفضائل وكان ينادي بالإصلاح، ويعمل على الدعوة إلى الله فجاءت مناهج خطابه الإصلاحي والدعوي على النحو التالي:

– مجانية التعليم والإقامة:

كان التعليم على مستوى المساجد التي كان يشرف عليها ابن باديس مجانيا لكل الفئات، ولا تفرض على الطلبة ولا الحاضرين للدروس أية مبالغ أو رسوم، بل إنه كان يتم توفير الإقامة والإطعام للطلبة المقيمين والوافدين من ولايات أخرى غير ولاية قسنطينة، حتى يتفرغ جميع الطلبة لتحصيل العلم ولا ينشغلوا عنه بتوفير حاجتهم[2].

– السن والكفاءة: تم وضع مجموعة من الشروط والضوابط التي يجب على كل طالب أن يتقيد بها وهي:

* يشترط في كل تلميذ أن يكون حافظا للقرآن الكريم أو لبعضه كربعه على الأقل، وأن لا يتجاوز سنه إذا كان مبتدئا خمسا وعشرين سنة؛ وهذه الشروط لا تخص الذين يحضرون دروس ابن باديس التي خصها لكل الفئات والشرائح مثل دروس التفسير والموطأ.

* أن يأتي الطالب بفرشه وغطائه[3].

[1]– محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى ، الجزائر، ط1، 2010، ص65.

[2]– عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان:إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق،ص255 بتصرف.

[3]– عبد الحميد بن باديس: الدروس العلمية بقسنطينة ،الصراط السوي، ع 4،س1،الاثنين 19 جمادى الثانية 1352هـ، 9 أكتوبر 1933، ص3.

وكانت هذه اللوائح تشكل القانون الأساسي الذي تسير عليه المؤسسات التربوية والتعليمية التي كان يديرها ابن باديس، وهي في مجملها تراعي أحوال التلاميذ.

-المستويات التعليمية:

هناك أربع مستويات تعليمية للمدارس والمؤسسات التعليمية في المساجد التي كان يشرف عليها ابن باديس وهي:

***المستوى الأوّل**: وتضم المقررات التعليمية الآتية:

- الآجرومية في القواعد
- متن ابن عاشر في الفقه
- البيقونية في مصطلح الحديث
- أحكام التجويد
- إملاءات وعلم المنطق"[1].

ويلاحظ أن المستوى الأوّل يمثل مفاتيح أهم العلوم الشرعية واللغوية، كما نجد توافق في مزج العلوم الشرعية بأركانها الثلاثة الرئيسة؛ الفقه، علم الحديث، علم التجويد، مع التركيز أيضا على علوم الآلة.

ويلاحظ أيضا اعتماد ابن باديس في إعداد المقررات التعليمية على منهج التدريس بالمتون، فالمتون تحمل في ثناياها مختصرات للعلوم، وتجمع في أبياتها الكثير إن لم نقل جل الأبواب التي يضمها فن أو علم ما، وهي تتصف أيضا بالضبط فطالب العلم من خلال المتون يحفظ الكثير من

[1]- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان:إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق،ص260.

القواعد العلمية من النسيان، من خلال مذاكرته لما حفظه من المتون، كما نجد أيضا أن ابن باديس قد هيأ طلبته وأعدهم لاستيعاب علوم أكثر تعقيدا وأوسع أبوابا من خلال افتراشه للأرضية العلمية التي تكون للطلبة مداخل وبدايات لتحصيل العلم بصورة أشمل وأوسع.

إن إدراج علم المنطق في المستوى الأول هو دليل أيضا على تفتح ابن باديس على العلوم الدنيوية وفيه مقصد هام وهو تمرين التلاميذ على استعمال العقل في تحليل المواقف واختيار القرارات الصائبة والسليمة سواء في حياتهم العلمية أو العملية.

***المستوى الثاني:**

- القطر لابن هشام – في القواعد.
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه.
- متن السلم للأخضري – في المنطق.
- متن الكافي في العروض والقوافي"[1].

من خلال معطيات المستوى الثاني نلاحظ التسلسل والترابط الحاصل بين مقررات الطبقة الأولى والطبقة الثانية، والطبقة الثانية تمثل التكملة التعليمية للطبقة والمستوى الأول ،وما نلاحظه أيضا ارتفاع المستوى التعليمي، فالتكملة التعليمية لم تكن بنفس الوتيرة التي كان يسير عليها مقرر المستوى الأول، وهذا المنهج التعليمي نجده غائبا في الكثير من مدارسنا وحتى جامعاتنا الوطنية والعربية، بل إن كثيرا من تلك المستويات تلجأ في بعض الأحيان إلى إعادة شطر كبير من المقررات

[1]- المرجع نفسه: ص261.

والمستويات التي سبقتها، وهذا ما أدى إلى تراجع المردود العلمي اليوم، بخلاف المردود العلمي الكبير الذي كان يحظى به طلبة مدارس ومعاهد ابن باديس سابقا.

كما نلاحظ أيضا غياب مقرر علم التوحيد من المستوى الثاني نظرا لاستكمال الطلبة هذا العلم، أو مبادئ هذا العلم في المستوى الأول، وقد تم تعويضه بعلم العروض في اللغة العربية.

***المستوى الثالث:**

- ألفية ابن مالك في القواعد.

-مختصر خليل.

- الجوهر المكنون في البلاغة.

- المفتاح للشريف التلمساني في الأصول"[1].

تشير معطيات المستوى الثالث استمرار المنهج الباديسي في الرفع من المستوى التعليمي والرقي بطلبة العلم من خلال إطلاعهم وتعليمهم متونا ذات مستويات عالية من العلم - كالألفية- خاصة وأن هذه المتون تحمل في مضامينها ألفاظا وعبارات صعبة لا يستطيع إدراكها وفهمها إلاّ من يحمل صفة طالب العلم الحقيقي

***المستوى الرابع**

- تتمةألفية ابن مالك.

- لامية الأفعال في الصرف.

- سعد الدين التفتزاني في البلاغة"[1].

[1]- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مصدر سابق، ص260.

يمكن الإشارة أنه بعد الانتهاء من الدراسة في هذه المستويات الأربع وما احتوته من علوم وفنون فإن الطالب يتخرج من المدرسة الباديسية، وقد نهل من معين مختلف العلوم، وجمع الكثير من الأبواب، وتطرق بذلك لأصول العلم قبل فروعه، وهذا هو المنهج العلمي الصحيح في نظر ابن باديس حيث قال :"إن الاقتصار على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر جائحة بلا حكمة، والركض وراء أسوار من الألفاظ المختصرة يُفني الأعمار قبل الوصول إليها"[2].

كان التعليم في مساجد قسنطينة لا يشمل إلا الكبار، أما الصغار فإنهم يتعلمون القرآن فقط في الكتاتيب على طريقة المغاربة التي يذكرها ابن خلدون في مقدمته.

و قد كانت الدروس الخاصة بالطلبة تنطلق كل أسبوع من صبيحة يوم السبت إلى عشية يوم الأربعاء، من بعد صلاة الصبح مباشرة إلى منتصف النهار، وتستأنف بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، لينشغل ابن باديس بعد صلاة العشاء إلى التفسير الذي كان يلقيه كل ليلة، وتحضره مئات من عامة الناس وخاصتهم.

وكانت دروس النساء تخصص يوم الجمعة بين صلاة العصر والمغرب داخل الجامع الأخضر بقسنطينة[3]، ووضع ابن باديس أيضاً برنامجا للعمال وأرباب البيوت بما يناسب عطلهم، ولكي لا يشغلهم عن أعمالهم خصص لهم يوم الأحد – وهو يوم عطلة – وتنقسم الدروس التي كان يلقيها عليهم إلى فترتين صباحية ومسائية بحسب التوقيت الذي يناسب كل واحد منهم[4].

–لجنة الطلبة:

كون ابن باديس لجنة للطلبة من أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية يبلغ أعضاؤها ثمانية عشر عضوا، مهمتها العناية بالطلبة ومراقبة يسرهم، كما تتولى الإشراف على الصندوق المالي

[1]– المرجع نفسه، ص261.

[2]– عبد الحميد بن باديس:جمعية التربية و التعليم، الشهاب، ج12، م10، شعبان 1353هـ، نوفمبر 1934م.

[3]– زهور ونيسي: مرجع سابق، ص262.

[4]– عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص262.

المخصص لإعانة الطلبة [1]، والهدف من وراء هذه اللجنة هو تدريب الطلبة أعضاء اللجنة على التسيير وإدارة الشؤون، وتكوينهم علميا وعمليا، ومن جانب آخر مساعدة القائمين على هذه المدرسة من أساتذة ومشرفين، وتخفيف الأعباء الموضوعة على كاهلهم خصوصا وأنهم منشغلون بالتدريس وإعداد المقررات الدراسية، والكثير منهم أيضاً له ارتباطات بالقضايا الوطنية للأمة وعلى رأسهم ابن باديس الذي أنهكه التعب والجهد والسفر في تعليم الشعب الجزائري وفي مواجهة خطر الاستعمار الفرنسي.

كما قام ابن باديس بتقسيم الطلبة إلى جماعات وجعل على كل جماعةعريفا منهم يضبط أمور ويراقب يسرهم[2]، ويمثل هذا العريف يمثل زملائه الذين ينتمون إلى نفس المنطقة التي ينحدر منها ذلك العريف، ليكون هذا الأخير وسيطا بين الطلبة وبين ابن باديس ،ومسؤول المدرسة[3].

المطلب الثاني: النوادي والمؤتمرات ودورها الدعوي:

ركزت السياسة الاستعمارية الفرنسية على الصعيد الثقافي على محو ملامح الشخصية الجزائرية وتبعا لذلك فإنها وجهت ضربتها إلى الثقافة العربية الإسلامية التي تمثل في نظر الاستعمار القوة المحركة الرئيسة المضادة للمشروع الاستعماري الساعي إلى إزالة كل مقومات الشخصية الجزائرية [4]، فشدت الخناق على المراكز التعليمية والإسلامية، وأغلقت الكثير من المساجد والمدارس فألجأت الحيلة المصلحين الجزائريين إلى الاستعانة بآليات أخرى لتمكنوا من خلالها ممارسة نشاطها الإصلاحي، وكانت من بين هذه الآليات والمناهج المؤتمرات والنوادي، وهي تعتبر همزة وصل بين المدارس والمساجد، وذلك لسببين هامين أمّا الأوّل فهو: الذي ذكرنا سابقا وهو تضيق السلطات الفرنسية على المدارس والمساجد ،ومحاولة القضاء على دورها الإصلاحي، والسبب الثاني هو أن: هناك "

[1]- عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج1، ص116.

[2]- نفس المصدر و الجزء، ص117.

[3]- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص257.

[4]- أحمد مهساس: الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة،دار القصبة،الجزائر،ط 1 ، 2003م، ص403.

أعدادا هائلة من الشباب الجزائريين لم يجد المصلحون أية وسلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية والعربية والوطنية إلاّ عن طريق النوادي وعقد المؤتمرات" [1]، كونها تمثل مستقطبا للشباب، وبالأخص فإنها تجذب طبقة الشباب الذين لم يعتادوا على ارتيادالمساجد.

وقد كان لابن باديس بصمات في هذه الميادين ومشاركات متعددة في أنشطة النوادي والمؤتمرات والتي كان من أبرزها:

أولا النوادي:

1–نادي الرقي: يقع هذا النادي في وسط العاصمة الجزائرية في الطابق الثاني من عمارة مقابلة للجامع الجديد لساحة الشهداء، وهو من أشهر النوادي المتواجدة في الجزائر [2]، ويذكر توفيق المدني في كتابه – حياة الكفاح– أنه كان صاحب تسمية هذا النادي [3]، وقد تم افتتاحه يوم 03 جويلية 1927م[4]، وتأسس النادي ليحمل هو الإصلاح والتغيير في الجزائر في ظل الأزمات التي عصفت بالجزائر وشعبها، فحمل بعض النخب وكبار التجار مسؤولية إصلاح الأوضاع الثقافية والسياسية عن طريق هذا النادي.

كما شمل المكتب التنفيذي للنادي مجموعة من السياسيين والمصلحين أمثال: أحمد توفيق المدني والحاج الزواوي [**][1]، وجمع النادي مختلف شرائح المجتمع من الطلبة والشيوخ وطلبة الكليات الفرنسية والتجار والمحامين والأطباء ورجال المال، ومن مختلف أرجاء البلاد[2].

---

[1]– عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية، 1931– 1945م، عالم المعرفة، الجزائر ،دط، ،2008م،ص149.

[2]– أبو القاسم سعد الله: قراءة في كتاب الشيخ الطيب العقبي لأحمد مريوش – مجلة المصادر–،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية،الجزائر، ع12، 2006م، ص287– 294.

[3]– توفيق المدني: حياة كفا –مذكرات–،دار البصائر ،الجزائر ،2007م،169.

[4]– المرجع نفسه: ص170.

[**]**–الزواوي:** ولد بقرية تعاروست بولاية تيزي وزو سنة 1862، حفظ القرآن مبكرا، درس الفقه وله مجموعة من المؤلفات والأنشطة الإصلاحية في الجزائر توفي سنة 1952م.عبد الحميد ابن باديس ،آثار ابن باديس ،مصدر سابق،ج1 ،ص22.

وكان النادي منبرا للمحاضرات العلمية باللغة العربية ومركزا للدروس الدينية والاجتماعية ،وهيئة لمناقشته ومعالجة مشاكل المجتمع الجزائري وأدوائه على ضوء تعاليم الدين الإسلامي وأحكام الشريعة[3]، ومع أن ابن باديس لم يكن من بين الأعضاء المؤسسين لهذا النادي إلا أنه كان يشارك في العديد من فعالياته ويحضر اجتماعاته، ويتابع أخباره ومستجداته ويرى فيه أمل الجزائر، ويعتبره مركزا إشعاعيا ثقافيا ودينيا، ومصنعا لرجال الفكر وزعماء الإصلاح. وكانت إسهامات عبد الحميد بن باديس في هذا النادي تتمحور حول إلقاء الدروس والخطب في مختلف المواضيع الاجتماعية، الدينية، الثقافية والسياسية بمقر النادي[4].

ويعتبر ابن باديس نادي الترقي هو عاصمة النوادي كما أن الجزائر عاصمة الوطن، والزيارات المتكررة التي يقوم بها ابن باديس إلى مقر النادي هي اعتراف من ابن باديس وإقرار منه بالدور الذي يقوم به هذا النادي [5]، وهو أيضا – أي ابن باديس- يتحين فرصة التقائه بالكثير من النخب الجزائرية: الشعراء، الأدباء، المفكرين والسياسيين لدراسة الأوضاع العامة التي تعيشها الجزائر من عدوان وظلم.

2-نادي السعادة:

وهو يقع في القسم الأخير من نهج الشهيد حملاوي – حاليا بقسنطينة- تأسس في جويلية 1925، وضم مجموعة من المثقفين، وأصحاب الشهادات العليا، وكان لابن باديس فيه أثرا كبيرا أين ألقى فيه خطابا تحدث فيه عن أهمية وتاريخ الحضارات ودور النوادي في رقي تلك الحضارات، بدءًا

---

[1]- توفيق المدني:مرجع سابق، ص163.

[2]-محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، عالم المعرفة، الجزائر،ج1،، ط2، 2013م، ص95.

[3]- الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الجزائرية 1927- 1954م،كنوز الحكمة ، الجزائر،، ط 1، 2012م، ص152.

[4]- توفيق المدني: حياة كفاح،مرجع سابق، ج2، ص170.

[5]- عمار طالبي،النهضة العلمية والفكرية في الجزائر، 1940- 1989م،موقع: www.senbadir.net،تاريخ الدخول: 12 أكتوبر 2018.

من حضارة بلقيس وصولا إلى الخلافة العباسية والأموية وحتى الحضارات الغربية التي مثلت فيها النوادي أدوارا هامة وحاسمة في تاريخ حضارات بلدانها.

ثانيا:المؤتمرات:

-المؤتمر الإسلامي:

يرجع الكثير من المؤرخين فكرة عقد المؤتمر الإسلامي إلى عبد الحميد بن باديس، ومع أن بعضهم يرى أن محمد الصالح بن جلول * هو صاحب الفكرة إلا أن الفريقين يجمعون على دور ابن باديس في التوجيه وتقديم التعديلات على فكرة المؤتمر فذكروا أن فكرة الاجتماع دارت في ذهن ابن جلول على أن يكون هذا الاجتماع خاصا بنواب عمالة قسنطينة، فصارح ابن جلول ابن باديس بالفكرة، وكان ابن باديس يتوجس دائما من تحركات وتصرفات ابن جلول، ومع ذلك لم يعارض الفكرة، وأشار ابن جلول بتوسيع الاجتماع حتى يشمل كل العمالات الجزائرية، فوافق ابن جلول على هذا الطرح، وتم نقل فكرة عقده إلى الجزائر العاصمة بدل قسنطينة [1]، وكان ابن باديس هو صاحب تسمية المؤتمر بهذا الاسم [2]، وهذا ما يبرز الدور الفعال لابن باديس والخطوات الجبارة التي قام بها لتأسيس وبناء هذا المؤتمر.

كان انعقاد المؤتمر الإسلامي بالجزائر العاصمة في السابع من يونيو سنة 1936م، واعتبر أول تجمع من نوعه في الجزائر، فلم تعرف الجزائر قبله أكثر من قرن تجمعا، اشتركت فيه كل التوجهات ومثلته مختلف الطبقات، ويبرز من خلال عقد هذا المؤتمر التأسيس لفكرة وحدة الصف وجمع الكلمة

***- محمد الصالح بن جلول:** ولد سنة 1896م بقسنطينة، تخرج من جامعة باديس بكلية الطب، كان يحمل أفكار ومبادئ الأمير خالد، ثم طالب بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، ترأس الوفد الذي سافر إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر الإسلامي، توفي سنة 1986 بقسنطينة.أنظر :عادل نويهض،ص125

[1]-محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1836 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث ، الجزائر، ط1، 1985م، ص136.

[2]- ينظر تفاصيل هذا الخلاف: عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م،عالم المعرفة،الجزائر،ط1 ،2008م،ص-ص 252- 256.

على مطالب معينة[1]، وحضر هذا المؤتمر ثلاث قوى رئيسة هي: العلماء، النواب، والحزب الشيوعي، وكانت كل قوة من هذه القوى تمثل مبادئ وتوجهات معينة تحمل خلفها عددا كبيرا من المؤيدين والمنضويين تحت أسمائها.

وكانت مطالب العلماء في المؤتمر منحصرة في تحرير الدين الإسلامي من سيطرة الاستعمار الفرنسي،وتعميم اللغة العربية والتعليم العربي في وسط أبناء الشعب الجزائري ،وأما مطالب الشيوعيين فكانت تتمثل في جمع قوى الشعب الجزائري وراء الجبهة الشعبية، التي كانوا مشتركين فيها – الحزب الشيوعي– ودعا النواب إلى تطبيق مشروع فيوليت الذي وضع في الحقيقة من أجلهم [2]، ودعا المؤتمر إلى جملة من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية ومن بينها:

– المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية مع إصلاح هيئة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية ومطابقته لروح القانون الإسلامي.

– إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل إقصائية وتهميشية وإلغاء اعتبارها لغة أجنبية.

– التعليم الإجباري للبنات والبنين.

– الزيادة في معاهدة الصحة من مستشفيات ومستوصفات.

– الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض.

– إعطاء الحق لكل ناخب في ترشيح نفسه[3].

كما نوقشت أهم مسألة تتعلق بمصير الأمة الجزائرية وهي مسألة الاستقلال والانفصال عن الاستعمار الفرنسي، وقد أظهر ابن باديس خلال المؤتمر شجاعة واستعدادا للتضحية بنفسه من أجل وطنه، وتحدث عن الاستقلال لأول مرة بعد أن تأكد من نوايا الاستعمار الفرنسي، وأدرك حقيقة اليأس من فرنسا وأن سياسة البقاء في ظل فرنسالا تؤتي أكلها مع هذا الاستعمار فقال: " إن

[1]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ،مرجع سابق،ج3، ص151.

[2]–نفس المرجع و الجزء،ص160.

[3]–أبو القاسم سعد الله،،الحركة الوطنية الجزائرية، مصدر سابق،ج3،ص165

الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم، وليس من العبير بل إنه من الممكن أن يأتي يوم تصبح فيه الجزائر مستقلة استقلالا واسعا"[1].

وختم المؤتمر أشغاله وانتهى إلى موافقة المؤتمرين على الكثير من المقترحات التي تم طرحها، وقرر الجميع تأسيس لجنة تنفيذية للقيام بأعمال ولوائح المطالب، وتشمل هذه اللجنة أعضاء يمثل كل عضو منها إحدى القوى الثلاثة البارزة التي حضرت المؤتمر[2].

كما أفرز المؤتمر عن تشكيل لجنة أو وفد من أبرزهم عبد الحميد بن باديس مهمته الانتقال إلى باريس لملاقاة الحكومة الفرنسية هناك وطرح جملة من الانشغالات ومطالب الجزائريين[3].

لقد فتح المؤتمر الإسلامي أبواب الممارسة السياسية على نطاق واسع أمام الكتل السياسية التي تنشط في الجزائر، وسهل مهمة النخب الجزائرية في الاجتماع، والخروج بالقرارات المصيرية التي توجت فيما بعد باندلاع ثورة التحرير المباركة.

وقد كان انعقاد المؤتمر الإسلامي في الجزائر حدثا وطنيا كما وصفه المؤرخون والباحثون. وتبعه اجتماع ثان في الملعب البلدي بالعاصمة يوم 02 أوت من نفس السنة بطلب من الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقدم خلاله الوفد الذي انتقل إلى باريس نتائج رحلته واتصالاته بالجهات المسؤولة في فرنسا[4].

لقد خطب ابن باديس في الجماهير والنخب يوم 02 أوت 1936، ودعا إلى نفس المبادئ التي كان يدعو إليها في جمعية العلماء المسلمين، وفي منابره الدعوية. وكان خطابه وخطاب مصالي الحاج في غاية التأثير، لما حمله هذين الخطابين من توجهات استقلالية وإصلاحية مثلت المنعرج الحاسم للأمة، ولما تضمنه الخطابين أيضا من رسائل الكره والحقد الذي يكنه الشعب الجزائري للاستعمار الفرنسي، فقد استطاع صاحبا الخطابين التعبير عن رأي الشعب الجزائري في وقت عجز

[1]- عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس ،مصدر سابق،ج3، ص321.

[2]-محمد البشير الإبراهيمي،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،مصدر سابق،ج1 ،ص293.

[3]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ،مرجع سابق،ج3ص163.

[4]- محمد الطيب العلوي: مرجع سابق، ص145.

فيه الكثير من النخب والمثقفين عن قول كلمة الصدق والبوح بحقوق الشعب والمطالبة برحيل الاستعمار.

إذن فالنوادي والمؤتمرات كانت تتمة للدور الذي أداه المسجد والمدرسة، وما غاب من مستقبلي الرسالة الدعوية في المسجد والمدرسة، فإن النادي والمؤتمر قد عمل على احتضانه والترحيب به، وهذا الأمر الذي تفطن إليه عبد الحميد بن باديس، وعمل جاهرا على التواجد في مثل هذه الأماكن والمناسبات وهي الأماكن التي ربما تمثل في نظر بعض الدعاة والمصلحين أماكن ترف وشعر، وأنها لا تصلح للدعوة، ولكن ابن باديس قد صحح تلك المفاهيم الخاطئة وأعطى صورة حية للإسلام الحيوي والدعوة الشمولية التي لا تتحجج بالظروف وغياب الوسائل، بل إنها تقدم أفضل مستوياتها الإصلاحية في الظروف الصعبة، وتتحين المناسبات وأماكن التجمعات للوعظ والمساهمة في الإصلاح مع الأطراف الفاعلة.

المطلب الثالث:جمعية العلماء المسلمين

كان يمكن أن تختفي الجزائر من الوجود، لولا أن قيض الله لها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولا يمكن أن نقدر بحق ذلك الدور الخطير الذي لعبته هذه الجمعية في بعث الأمة الجزائرية القوية، إلا إذا عرفنا أهداف الاستعمار الفرنسي في تلك الديار، والمتمثلة في نشر الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونشر الإلحاد في وسط الشباب الجزائري عن طريق المدارس الفرنسية المتواجدة بالجزائر، وجاء الدور على جمعية العلماء المسلمين لتصرخ في وجه التيارات المدمرة، وتعمل على نشر رسالة الإسلام وتحقيق الهوية الوطنية[1].

إن فكرة إنشاء جمعية العلماء المسلمين جاءت بعد زيارة عبد الحميد بن باديس للبشير الإبراهيمي في مدينة سطيف سنة 1924م، وأخبره عن تأسيس جمعية تعرف باسم الإخاء العلمي، يكون مركزها العام مدينة قسنطينة وتكون خاصة بعمالتها، تجمع شمل العلماء والطلبة، وتوحد جهودهم، وذهب ابن باديس يسرد على الإبراهيمي فوائد هذه الجمعية حتى أقنعه بها، ثم عاد بعدها

[1]- الفضيل الورتيلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى ، الجزائر، ط1، 2007م، ص113- 114.

ابن باديس إلى قسنطينة، وعرض الفكرة على زملائه من العلماء فوافقوا عليها، وصادقوا على القانون الأساسي بعد إحداث بعض التعديلات عليه، لكن المشروع تعطل وعلل الإبراهيمي ذلك "بأن مثل هذه الأعمال الضخمة تحتاج إلى نضج أكبر، وأن عملا عظيما كهذا لا يتم إلا بعد أن يستقر في الأذهان"[1]، ولكن التأسيس الفعلي لجمعية العلماء المسلمين يعود إلى اجتماع كبار أعيان وشخصيات الجزائر بنادي الترقي بالعاصمة بعد أن اجتمع – أي المؤتمر الإسلامي– ليدرس الأوضاع التي آلت إليه الجزائر بعد احتفالات فرنسا بمئوية احتلال الجزائر، فاهتدى الجميع إلى تأسيس حركة تمثل الجزائريين ولا تقتصر على المجال السياسي[2].

وقد ذكر الإبراهيمي ذلك فقال:" دعونا فقهاء الوطن كلهم، وكانت الدعوة مصادرة باسم الأمة كلها، ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس، وذلك قصدا منا لتجنب الخلافات بيننا وبعض الفقهاء الذين أبدى بعضهم إقرارا وسكوتا عن المنكرات الدينية" [3]، ومن خلال هذا التصريح فإنه يتبين لنا وجود معارضات للفكر الإصلاحي الذي قاده كل من ابن باديس والإبراهيمي في الجزائر، وأن هذه المعارضات كانت من صميم أبناء الجزائر وأن الحكمة قادت ابن باديس لحجب اسمه أولا في وضع بطاقات الدعاوى إلى الفقهاء والنخب، من أجل الانضمام إلى الجمعية، كما نلاحظ أيضا إن ابن باديس لم يقم بإقصاء أطراف كان على خلاف معهم ولم يحرمهم فرصة الانضمام إلى هذه الجمعية التي خطط القائمون والمؤسسون لها تمثل علماء وفقهاء الجزائر كلها ولا تقتصر على مذهب ولا على رأي واحد.

وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة 1349هـ الموافق لـ الخامس من شهر ماء 1931م، وينادي الترقي بالعاصمة، وبعد اجتماع اثنين وسبعون من العلماء والنخب الجزائرية تم الإعلان عن ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتم انتخاب أعضاء المكتب الإداري الذي ضم

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر، ط 1، دار الكتب، الجزائر، 1982م، ص83.

[2]– أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ج2،ص 174– 175.

[3]–محمد البشير الإبراهيمي:آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي،مصدر سابق،ج5 ،ص292.

ثلاثة عشر عضوا وهم: عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية، محمد البشير الإبراهيمي نائبا له، الأمين العمودي* نائبا عاما ومبارك الميلي** أمينا للمال، إبراهيم بيوض*** مساعدا لأمين المال إضافة إلى الاستشاريين المولود الحافظي*، مولاي بن الشريف** وعبد القادر القاسمي***"[1].

ويتضح لنا من خلال قراءة الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، أن جمعية العلماء قد عملت على استقطاب علماء ومصلحين من أماكن ومناطق مختلفة من ربوع الجزائر؛ شمالا وجنوبا، شرقا وغربا.

كما أن كل عالم من هؤلاء العلماء تميز بانتسابه لمذهب ومدرسة معينة، فجمعية العلماء المسلمين لم تلتزم بتنصيب أعضاء ينتمون لتيار إسلامي معين، ولم تتقيد بفكر معين؛ وذلك أن هدفها هو جمع كل الطاقات وتوحيدها رغم الاختلافات الفقهية والفكرية والثقافية فيما بينها، وجعل

---

*– **الأمين العمودي**: ولد بواد سوف سنة 1891م، انتقل إلى الدراسة في بسكرة، كان ينشر مقالات في جريدة الإقدام، التي كان يصدرها الأمير خالد، ثم جريدة المنتقد وجريدةالإصلاح، كان من أبرز مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، اختطفته السلطات الفرنسية 10 أكتوبر، ثم وجدوا جثة بعد ذلك بأيام قليلة.أنظر :عادلنويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسةنويهض الثقافية،بيروت،ط2 ،1980م،ص244.

– **مبارك الميلي: ولد بمدينة ميلة سنة 1896م، حفظ القرآن الكريم، وعكف بعدها على طلب العلم، تتلمذ على يد ابن باديس حتى أصبح من أكبر تلاميذه، غادر الجائر إلى تونس ليدرس بجامع الزيتونة، يعتبر من مؤسسي جمعية العلماء توفي يوم: 09 فبراير 1945م.أنظر:عادلنويهض ،مرجع سابق،ص325.

***– **إبراهيم بيوض**: ولد سنة 1899م، بمدينة القرارة بغرداية، ينحدر من أسرة تعتبر من وجهاء مدينة غرداية، حفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الشرعية واللغوية، له تفسير القرآن الكريم وعدة مؤلفات، توفي سنة 1981م.،أنظر عادل نويهض:ص58

*– **المولود الحافظي**: ولد بقرية بني حافظ بولاية سطيف سنة 1880م، تلقى تعليمه بمسقط رأسه، وتعلم اللغة الفرنسية وأتقنها على يد المعلم " بواسو"، كما تعلم أيضا مبادئ الدين وقواعد اللغة العربية، التحق بجامع الأزهر بمصر ودرس غيه، ورجع إلى الجزائر سنة 1919م، وبقسنطينة. كتب في العديد من المجلات والجرائد؛ كالشهاب والنجاح، توفي يوم الثامن فيفري 1948مينظر عادل نويهض،مرجع سابق118.

– **مولاي بن الشريف: هو مولاي المكي أحمد عبد القادر بن شريف، ولد بتيارت سنة 1883، حفظ القرآن الكريم، التحق بجامع الأزهر، بعد أن قضى بها 22 سنة، ليعود إلى الجزائر وليدرس بها بمدينة غيليزان، وأسس مسجدا ومدرسة بمستغانم. ينظر عادل نويهض ص69

***– **عبد القادر القاسمي**: ولد ببلدة الهامل، وتعلم بزاويتها، من أبرز مشايخه: محمد بن عزوز القاسمي والحاج بن السنوسي، أخذ عنهم التفسير واللغة والتوحيد، يعتبر من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، ينظر عادل نويهض،ص162

[1]– محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين ، المؤسسة الوطنية للكتب الجزائرية،د ط،دت،ج1،ص 106.

ذلك الاتحاد في مواجهة خطر الاستعمار الفرنسي، وقد ذكر ذلك الإبراهيمي بقوله: " دعونا فقهاء الوطن كلهم، وكانت الدعوة مصادرة باسم الأمة كلها"[1].

وهذا ما يبين أن الاختلاف في الرؤى والتوجهات لا يعيق عن الخلاف في الغايات والأهداف، فمن المجتمعين والمؤسسين لجمعية العلماء من يختلف عن فكر ابن باديس وتوجهه، إلا أنهم مجمعون على عداوة فرنسا، ولم يجعلوا من اختلافاتهم تلك سببا للتفرقة وذريعة لرفض الدعوة إلى الله والجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، بل إنهم وحدوا أقلامهم وواجهوا طغيان فرنسا بلسانهم وبمحابرهم، فكانوا مثالا للنضال والإصلاح.

***القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين:**

المادة الأولى: الاسم الرسمي والقانوني للجمعية هو: " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

المادة الثانية: للجمعية اجتماعان إداري وعمومي، فالإداري: يخص أعضاء مجلس الإدارة وجوبا، ويجوز لغيرهم من بقية الأعضاء العاملين حضور هذا الاجتماع اختياريا، ويقع مرتين كل سنة، والعمومي يشمل كل عضو دفع اشتراكه عن السنة السابقة للاجتماع، ويكون مرة كل سنة في غرة محرم من كل سنة قمرية[2].

المادة 16: الجمعية العمومية لا تعتبر منعقدة إلا إذا حضرها ثلثا الأعضاء العاملين والمجلس الإداري لا تعتبر قرارته قانونية نافذة إلاّ إذا حضره ثلثا الأعضاء الإداريين.

المادة 64: أما عن برنامج الجمعية المسطر، وكذا مبادئها وأهدافها فإنها تقوم وترتكز على العمل الدعوي القائم على الإصلاح التربوي والاجتماعي[3].

المادة 65 من قانون الجمعية: إن أول مقاصد الجمعية هو حمل المجتمع الإسلامي على التخلق بالأخلاق الإسلامية ،وتذكيرهم بما غفلوا عنه وأهملوه من الأخوة الدينية وجمعهم على الاتحاد ونبذ الشقاق"[1].

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي:آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي،مصدر سابق،ج5،ص292.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،مصدر سابق،ج1، ص72.

[3]- المصدر نفسه، ص75.

لقد كانت مواد القانون الأساسي للجمعية منقسمة إلى مواد تعبر عن أصول ومبادئ الجمعية، ومواد أخرى تفصل القوانين والأنظمة الداخلية للجمعية، وبدراستنا لهذه المواد فإننا نلاحظ أن جمعية العلماء المسلمين كانت تهدف إلى توعية الشعب الجزائري، وتدعوهم إلى الالتفاف حول مصلحة الوطن، وتركز في ذلك على تقديم الإصلاح التربوي والتعليمي والاجتماعي، ثم الإصلاح السياسي بدرجة أقل، وهو الإصلاح الذي لم تكن تتلفظ به بصريح العبارات، وإنما كانت تقوم بنشره عن طريق مؤسسات إعلامية فرعية تابعة لها، وذلك حفاظا على بقاء الجمعية، وثباتا في الوقت ذاته على مبدأ إنكار الاستعمار الفرنسي، فكانت تدين الاستعمار الفرنسي ،وتنادي بالحياة الكريمة وتدعو إلى تكوين المجتمع الجزائري تكوينا إسلاميا عربيا جزائريا، وترفض كل أشكال العبودية والإذلال[2].

قد أثيرت إشكالية دور جمعية العلماء المسلمين في المناداة بالتحرير ورفض الاستعمار الفرنسي، واتهمت جمعية العلماء المسلمين بالانشغال بعقد الاجتماعات دون الحديث عن التحرير، ولكن الواقع أن جمعية العلماء المسلمين كانت على أحد ثغور الإسلام وهو الدعوة إلى الإصلاح التربوي والاجتماعي والديني،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾التوبة: ١٢٢، كما أن أعضاء جمعية العلماء المسلمين كانوا يصرحون بحق الشعب الجزائري في نيل حريته ويرون بضرورة الانفصال عن فرنسا، وابن باديس وهو رئيس الجمعية يرى أن الاستقلال هو"حق الأمة الجزائرية"، الذي ضاع منها ويجب أن تسترده بأي ثمن وبأي صفة كانت، كما أنه يرى ضرورة الجمع بين السياسة والعلم، وأنه لا نهضة للعلم إلا بتحقيق النهوض السياسي"[3].

---

[1]- المصدر نفسه، ص82.

[2]-عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931- 1945م، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص111.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،مصدر سابق ،ج3، ص89.

إن جمعية العلماء المسلمين كانت تمثل حصن الأمة الجزائرية من هجمات التيارات الإلحادية والتغريبية الفرنسية العلمية وكذا من الجهل والبدع، وكانت تدعو إلى الفضيلة والتآخي، ولم تغفل أبدا عن أمهات القضايا الوطنية والدينية ،وحتى وإن لم يبدو ذلك على لسان حالها، إلا أن الكثير من أعضائها الثوريين والغيورين على وطنهم لاحقتهم سياسة الاستعمار الفرنسي العدوانية، فتعرضوا للمضايقات وللسجن، ولفقت التهم لبعض قادتها، بعد أن استشعرت فرنسا بخطرهم على بقاء فرنسا.

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين خلال حياة ابن باديس تسير وفق منهج معين وعلى فترات زمنية سطرت خلالها الجمعية مجموعة من الأهداف المتباينة بين الأهداف بعيدة المدى والأهداف قريبة المدى، فرغم الظروف الصعبة والمخاوف الشديدة من وأد الجمعية في بدايات نشأتها، إلا أن تلك الظروف لم تكن حاجزا للسير في طريق الدعوة والإصلاح وفي ذلك يقول ابن باديس:"إن الظروف تستطيع أن تكيفنا ولا تستطيع أن تتلفنا" [1]، فكانت حركة جمعية العلماء الإصلاحية والتربوية والتعليمية والعمل على النهوض الثقافي والفكري بأبناء الشعب الجزائري، وإزالة أثار الجهل وسط المجتمع الجزائري ، تمثل الأهداف قريبة المدى والبرامج المنجزة خلال الشطر الأول من حياة جمعية العلماء أثناء الفترة الاستعمارية، فكونت وأعدت الجيل القادر على تحمل أعباء الثورة ، وهذا ابن باديس يذكر أهمية انشغاله بإصلاح وأهمية ذلك في رده على سؤال أحد طلبته حول فائدة الجلوس للتعلم والتعليم، فقال: : أنا أحارب الاستعمار لأنني أعلّم وأهذّب، ومتى انتشر العلم والتهذيب في أرض جدبت على الاستعمار، وشعر فيها بالنهاية ودنو أجله في تلك البلاد"[2].

فمشروع الثورة في نظر جمعية العلماء المسلمين وفي نظر ابن باديس يبدأ أولا بالتحضير وإعداد الأرضية المناسبة والخصبة لذلك، ويتم ذلك من خلال تكثيف الجهود التربوية والسياسية والدينية لإعداد جيل مقتنع بالثورة"[3].

---

[1]- عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس ،مصدر سابق،ج3 ،ص92.

[2]- عبد الحميد بن باديس: "ندا من جمعية العلماء المسلمين"البصائر، ج1، ع324، 3 ماي 1948، الجزائر، ص265.

[3]- ابن باديس:ندا من جمعية العلماء المسلمين"، المصدر نفسه،ص266

أما الأهداف بعيدة المدى؛فقد تمثلت في المشاركة في الثورة وتقديم الشباب المتمدرس بالجمعية للأمة لقيادتها، وتكوين قاعدة شبانية وجماهرية تكون مستعدة للتضحية بالنفس والنفيس من أجل الوطن، ومن أجل إعلاء كلمة الله في البلد، فإنه وبعد وفاة عبد الحميد بن باديس وإعلان اندلا ع ثورة التحرير المباركة فإن جمعية العلماء المسلمين قد أصدرت بيانا سارعت فيه لمباركة الثورة ومساندتها، وحملت إلى المجاهدين برسائل التشجيع والدعاء للظفر على العدو، بل إنها قدمت كذلك أعضاء من الجمعية للجهاد في سبيل الله وفي سبيل الوطن على غرار [1]، العربي التبسي [*]، بن علي بودغن– العقيد لطفي– [**] وغيرهم كثير.

كما التحق بصفوف الثورة أيضاً العديد من المجاهدين الذين كانوا منضوين في جمعية العلماء المسلمين. وكما كانت للجمعية أهداف على المدى القريب والبعيد، كذلك كان لها أنشطة على المستوى المحلي الوطني، وعلى المستوى الإقليمي العربي الإسلامي.فقد كانت ثابتة المواقف تجاه قضايا الشعب والوطن. ولم تتنكر يوما للأمة العربية والإسلامية.

ومن القضايا المحلية التي اهتمت بها جمعية العلماء المسلمين " العناية بهلال رمضان ،وتوحيد صيامه في القطر الجزائري، ووضعت مركز اتصال – هاتف– يحمل الرقم 15– 25 خاص برئاسة الجمعية ويستقبل كل الاتصالات حول ثبوت رؤية هلال رمضان أو شوال، كما كانت تحتفل بالحجاج العائدين من البقاع المقدسة وترافقهم وتكرمهم، وتقدم لهم النصائح وتعلم الكثير منهم

[1]–عبد المالك حداد:نصوص ووثائق في تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة، موقع: ben badis .net/archives/6633.،تاريخ الدخول: 10 مارس 2021م.

[*] – **العربي التبسي**:ولد بقرية أسطح بولاية تبسة بالجزائر عام 1891م، حفظ القرآن الكريم على يد والده، التحق بعدها إلى زاوية سيدي ناجي، ثم إلى تونس أتقن الفقه والأصول والمنطق، ثم إلى جامع الزيتونة، ثم إلى الأزهر ليعود إلى الوطن، واتخذ من مساجدها مراكز لنشاطه الدعوي والتعليمي، تم اختطافه يوم 4 أفريد 1957 من طرف القوات الاستعمارية اختفى بعدها ولم يظهر له أي أثر ولا يزال قبره مجهولا إلى يومنا هذا.ينظر: خلاصة تاريخ الجزائر ،أبو القاسم سعد الله،ص120

[**] – **العقيد لطفي** :ولد بتاريخ 7 ماي 1934م، نال الشهادة الابتدائية والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني في أكتوبر 1955م، عُيِّن قائدا للولاية الخامسة خلف للعقيد هواري بومدين، استشهِد يوم 27 مارس 1960 ببشار.ينظر:خلاصة تاريخ الجزائر،أبو القاسم سعد الله،ص156

مناسك الحج [1]، ولتحفظ بذلك الموروث الثقافي الجزائري في توقير واحترام زوار بيت الله الحرام، وكانت تبعث برسائل لفرنسا مفادها أن جمعية العلماء المسلمين هي من رحم الشعب الجزائري، وأفراحها من أفراح الشعب، وآلامها من آلام الشعب الجزائري.

وعلى الصعيد السياسي فإن جمعية العلماء المسلمين كانت تحضر للاجتماعات التي تنظمها الأطراف الفاعلة في الجزائر والتي تناقش كل ما يهم الجزائر دولة وشعبا، ومن ذلك مناقشتها لقانون بلوم فيوليت الذي يعتبر ترجمة لمبدأ إدماج الجزائر وردت كذلك جمعية العلماء المسلمين على بعض التجاوزات الفرنسية في حق الجزائريين وكذا النوادي والأحزاب السياسية التي طالها التوقيف "[2]، أو سجن مؤسسيها وأعضائها البارزين، وأما على الصعيد العربي والإسلامي فإن مبادئها كانت واضحة فيما يخص قضية تقسيم فلسطين [3]، وما تبع ذلك التقسيم من امتهان لكرامة الفلسطينيين ،وخدشا للمقدسات، واعتداء على الأراضي والدور.

المطلب الرابع: الجرائد والمجلات

كانت فرنسا السباقة إلى استخدام سلاح الصحافة لتضليل الرأي العام الجزائري، وبث الذعر والخوف وسط الشعب الجزائري والسلطات العثمانية في الجزائر، وزرع الثبات والثقة بين أفراد الجيش الفرنسي وذلك قبيل دخول فرنسا لأرض الجزائر، فكان منها أن أصدرت جريدة بعنوان– بريد الجزائر– يوم جويلية 1830م[4]، تعنى تلك الجريدة بكل الأحداث والانتصارات التي يحققها الجيش الفرنسي في الجزائر وبعد مرور عشرات السنين أصبحت الضرورة ملحة على الجزائريين لإثبات الوجود والكيان، فأبلت الصحافة الجزائرية بلاءً حسنا في المساهمة في دفع الاعتداءات الفرنسية على الشعب الجزائري وتقليص حجمها، فحملت بذلك أعباء القضية الوطنية، وكانت جنبا إلى جنب مع المجاهدين الذين حملوا السلاح فيما بعد في وجه الاستعمار الفرنسي، واعتمدت تيارات الحركة

[1]– عبد الحميد بن باديس: آثار ا بن باديس ،مصدر سابق، ج5، ص127– 133.

[2]– ابن باديس: أثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، ص112. بتصرف.

[3]– عبد الحميد بن باديس: آثار ا بن باديس، ج5،مصدر سابق،، ص536.

[4]– ينظر: زهير إحدادن: مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط 1، 1993م، ص91.

الوطنية- خصوصا مع تزايد الممارسات العدوانية ضد مقومات الهوية الوطنية- مع كل ما أتيح لها من وسائل صحفية لجرائد ومجلات، ووظفتها لخدمة قضية الوطن، " وكان لتزايد الدعاية الصليبية الفرنسية أثر في تزايد حماس الطبقة المثقفة الجزائرية المختصة في المجال الإعلامي والصحفي من خلال تكثيف جهودها للرد على تلك الدعايات"[1].

وقد كان أوّل ظهور للصحافة في الجزائر على يد مفكرين وأدباء ونخب أمثال: حمدان بن عثمان بن خوجة، محمد السعيد الزاهري [*]، عمر راسم [**] وعمر بن قدور [*]، واشتهرت جرائد ومجلات جزائرية كثيرة : جريدة الفاروق وجريدة الجزائر، وكانت الجرائد والمجلات الجزائرية ذات طابع إصلاحي، تروج للقضايا السياسية بالجزائر، رغم اختلاف توجهات مؤسسي تلك الجرائد والمجلات، إلا أنها كانت تتوحد في حمل ثقل مسؤولية الجزائر، وتعالج ذلك وفق المنظور والمنهج الذي تراه مناسبا، فمن جانب الإصلاح التربوي والديني، فقد كان ابن باديس رائدا من رواد الإعلام والصحافة وعمل جاهدا على تمرير رسائله الإصلاحية عن طريق هذه الآليات.

---

[1]- الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ج1، ط1، الجزائر، 1982، ص65.

[*] – **محمد سعيد الزاهري:** ولد بسكرة سنة 1897م، درس القرآن وحفظه وهو في سن السابعة، التحق بالمدرسة الباديسية بقسنطينة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس، ونال شهادة .... فيها سنة 1924م، ليعود بعدها مباشرة إلى الجزائر، ساهم في نشر الفكر الإصلاحي بين الجزائريين، فدرس بتلمسان ثم وهران ثم الجزائر العاصمة، توفي سنة 1956م.ينظر:نويهض:أعلام الجزائر،مرجع سابق،ص139

[**] – **عمر راسم:** هو عمر بن علي راسم، ولد بمدينة الجزائر سنة 1884م، دخل المدرسة القرآنية، ثم التحق بالمدرسة الثعالبية، والتحق سنة 1998 للعمل بالمطبعة الرسمية التي كانت تطبع جريدة " المبشر"، وكان ذلك أول احتكاك له بالعمل الصحفي، كتب اول مقال له سنة 1908م بجريدة الجزائر، نشر كذلك في العديد من الجرائد التونسية، أصدر جريدة " ذو الفقار" سنة 1913م، حكم عليه بالإعدام من طرف السلطات الفرنسية، ثم تم العدول عن ذلك الحكم، توفي يوم 15 فيفري 1959م.ينظر:نويهض:أعلامالجزائر،مرجع سابق،ص247

[*] – **عمر بن قدور:** ولد سنة 1886 بمدينة الأربعاء بالجزائر العاصمة، حفظ القرآن الكريم بالمدرسة الثعالبية، سافر إلى تنوس ثم إلى مصر. أسس جريدة الفاروق، تم نفيه إلى الأغواط، اعتزل السياسة في آخر عمره، لازم ابنته إلى أن وافته المنية سنة 1932م في سن مبكرة لم تتجاوز 46 سنة.ينظر:نويهض:أعلامالجزائر،مرجع سابق،ص245

وكانت بداية ابن باديس مع الصحافة سنة 1919م، أين شارك بمقالاته في جريدة النجاح وترأس التحرير فيها بمعية مؤسسها عبد الحفيظ الهاشمي [**]، وقد تم تخصيص جزء من الجريدة لابن باديس عرف" بخطرات الأسبوع" [1]، وكانت تمثل انتقادات ورفض للسياسة الفرنسية الاستعمارية بشكل مباشر وصريح، ولم يلبث ابن باديس أن تخلى عن هذه الجريدة، وذلك لأنه" وجد نفسه غير مقتنع بمناهج ومبادئ هذه الجريدة" [2]، "فالإدارة الفرنسية جعلت من هذه الجريدة أداة من شأنها السيطرة على أفكار الشعب الجزائري ،من خلال ما تنشره من مقالات مؤيدة ومشجعة للأعمال الفرنسية، وهذا ما ظهر جليا من خلال أعدادها التي تتكلم عن الترقيات والمناصب في الإدارة الفرنسية،وتحدثها عن الأغاوات والباشوات وإعطائهم قيمة أكثر مما يستحقونها، وكانت تتحجج في ذلك بضمان بقاء الجريدة وتحقيق الأرباح، بسبب حديثها وتملقها لهم"[3].

1-المنتقد:

عمل ابن باديس على إصدار صحيفة مستقلة وهي جريدة " **المنتقد**" السياسية الأسبوعية، وذلك يوم " الثاني من شهر جويلية سنة 1925م، وكان ابن باديس هو من أسسها وترأس تحريرها، وأسند إلى السيد " بو شمال أحمد" [*] مهمة الإدارة"[4]، وقد كانت جريدة المنتقد جريئة في أفكارها،

[**] – **عبد الحفيظ الهاشمي**: ولد سنة 1895 م بمدينة طولقا بولاية بسكرة، سافر إلى تونس سنة 1911 ليتعلم بجامع الزيتونة، وعاد إلى ارض الوطن سنة 1919، واسس في نفس العام جريدة " النجاح"، درس بالجامع الأخضر وجامع سيدي ميمون، توفي سنة 1973 بمدينة طولقا.ينظر:نويهض:أعلامالجزائر،مرجع سابق،ص274

[1] –عبد الحميد بن باديس: خطرات الأسبوع، جريدة النجاح. الجزائر، العدد 172، يوم 12 سبتمبر 1924م، ص2.

[2] –عبد الحميد بن باديس:آثار ابن باديس،ج5،ص259.

[3] – عمار بوطبة: المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919- 1956، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الانسانية، جامعة منتوري، 2009،2010، ص96.

[*] **– بو شمال محمد:** ولد بقسنطينة سنة 1899م، حفظ القرآن الكريم، قام بشراء المطبعة الإسلامية الجزائرية سنة 1925، وأصبح مدير النشر بجريدة " المنتقد" في نفس السنة، كما أسس جريدة أخرى " أبو العجائب"، تم انتخابه كعضو في جمعية العلماء المسلمين سنة 1946م، تم اختطافه يوم 13 سبتمبر 1958م، ولم يظهر له أي أثر بعد ذلك. ينظر:نويهض:أعلامالجزائر،مرجع سابق،ص69

[4] –محمد بن الصالح ناصر:الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، الصنوبر البحري ،الجزائر،ط2، 2006م، ص58.

سيدة في طرحها؛ تجهر بالحق وتنادي بالحرية وكان شعارها" الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"[1]، وهي جريدة تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدث فيه المبتدعون وحرّفه الجاهلون، وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة، وعمل به السلف الصالحون؛ معلنين بذلك أن المسلمين وحدة تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم وتستقيم أعمالهم في الأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدينة الطاهرة"[2].

وتعد جريدة المنتقد من بين الصحف الجزائرية الأعمق فكرا، والأمتن لغة، نظرا لما شملته من مواضيع وما حوته من ألفاظ وعبارات" [3]، وشنت هذه الجريدة حربا شعواء على كل ما يضر بالأمة الجزائرية والإسلامية، فكانت لسانا يتكلم بالحق، ولا يعتذر عن أداء واجبه في سبيل الوطن والإسلام، ومثلت جريدة المنتقد تجربة حقيقية لابن باديس، فحملت أفكاره وتشبع هو الأخر بمنهجيات الأدب الصحفي ،وتظهر مقالاته فيها وفي المجلات والجرائد التي أدت من بعدها بشكل احترافي وتنال مضامينه – أي مضامين خطابه في جريدة المنتقد- إعجاب القراء، وتوجه أفكاره ومبادئه الرأي العام وتعمل على تنويره، وكان النجاح أكبر والانتشار أوسع لما اختار ابن باديس – وقد وفق في ذلك- خيرة الأقلام لتحرير مقالات المنتقد أمثال: مبارك الميلي، الطيب العقبي، محمد العيد آل خليفة* ومحمد الهادي السنوسي**"[1].

---

[1]- المنتقد: الأعداد 1- 18، 1344هـ - 1925م، دار الغرب الإسلامي، ط1. تونس، 2008م، ص1.

[2]- عبد الحميد ابن باديس: بعد عقد من السنين، الشهاب ،ج1، م11، محرم 1345هـ- أفريل 1935م.

[3]- محمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، مصر، 1986م، ص20.

* **– محمد العيد آل خليفة:** ولد يوم 28 أوت 1904م ببلدية عين البيضاء في أم البواقي، التحق بجامع الزيتونة في تونس سنة 1921،كانت له مقالات في الصحف الوطنية مثل: صدى الصحراء، الشهاب، المنتقد. توفي في شهر رمضان يم 31 جوان 1979م.من كتاب ديوان محمد العيد آل خليفة،دار الهدى ،الجزائر،2010،ط1،ص3

** **– محمد السنوسي:** ولد عام 1894م، حفظ القرآن الكريم وانتقل بعدها إلى قسنطينة، ثم رحل إلى تونس وتخرج من جامع الزيتونة ليعود إلى ارض الوطن سنة 1925م، كتب في: النجاح، الشهاب، البرق، الوفاق انظم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأصدر جريدة " المغرب العربي"؛ التي كانت سببا في إعدامه من قبل جبهة التحرير الوطني يوم 21 ماي 1956م.ينظر:نويهض:أعلامالجزائر،مرجع سابق،ص349

وكان التقاء هؤلاء الأعلام وجرأتهم في النشر والكتابة يشكل خطرا على الإدارة الفرنسية وأتباعها الذين يعيشون بين ظهراني الشعب الجزائري، وبتواطئ من هؤلاء الأتباع قامت السلطات الفرنسية" بتوقيف الجريدة وأمرت بتعطيلها يوم 29 أكتوبر 1925م؛ أي بعد فترة أربعة أشهر من تأسيسها، وصدر خلال تلك الفترة ثمانية عشر عددا[2]، ورغم الفترة الزمنية القصيرة التي عاشتها هذه الجريدة إلا أن أعدادها، بل حتى مقالاتها بقيت أثارها العلمية والإسلامية إلى يومنا هذا، وكان منهجها يتماشى والمنهج الإصلاحي الذي كان يدعو إليه ابن باديس في حلقه ودروسه، واستطاعت أن توصل أصواتها إلى الكثير من المهتمين بالشؤون الجزائرية سواء داخل البلد أو خارجه.

2-الشهاب:

لم تتوقف التجربة الإعلامية لابن باديس عند جريدتي النجاح والمنتقد، بل إنها استمرت على درب الإصلاح لتعلن عن " تأسيس جريدة الشهاب على يد ابن باديس وتظهر للوجود يوم 12 نوفمبر 1925 من خلال دورها الأول، وكان إصدار الجريدة أسبوعيا وفي السنة الرابعة واجهت الجريدة أزمة مالية خانقة كادت تقضي عليها، لولا حنكة ابن باديس وخبرته التي ألجأته إلى تحويلها لمجلة شهرية فأصبحت منذ مطلع سنة 1929 مجلة راقية"[3]، وعن ملكية الشهاب ومبادئها فإن ابن باديس قد أجاب عن ذلك بقوله: " أن مجلة الشهاب ليست مجلة جمعية العلماء المسلمين، وإنما هي مجلته"[4].

فمجلة الشهاب إذن تأسست على المبادئ التي كان يدعو إليها ابن باديس والتي تمثل أولويات فكره ودعوته الإصلاحية وهي الوطن، الإسلام واللغة العربية، فكانت هذه المجلة تحمل في طياتها الكثير من القضايا التي تندرج خلف تلك المبادئ والأصول، وأما شعارها فإنه كلن يحمل

---

[1]- عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر – محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا-، مرجع سابق،؟ج3،ص387.

[2]- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس،مرجع سابق،ص141.

[3]- عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر – محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا-، مرجع سابق ، ج 1، ص388.

[4]- عبد الحميد ابن باديس: مجلة الشهاب ومقاومة الاندماج، البصائر ،ع66،س2 ، صفر 1356هـ، 7ماي 1937م.

مقولة[*]:"لا يصلح أخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها"؛ وهي دعوة إلى إصلاح الجيل الذي عاصره الداعية والمصلح ،والعمل على تقويمه وإعطائه حقه من التعليم والتكوين، ليكون على قدر كاف من المسؤولية والوعي لتحمل تبعات تنشئة وتهيئة الأجيال التي تأتي من بعده، والتي من شأنها أن تقود الأمة إلى بر النجاة.

إن منهج " الشهاب يقوم على ترتيب أولويات القضايا الوطنية والعربية والإسلامية، ومعايشة واقع الأمة الجزائرية والعربية والإسلامية من خلال التركيز على السلوكات والمعتقدات والآراء والمواقف التي تسببت أو تتسبب في إحداث ضرر وفساد في الدين أو في الوطن، فعالجت القضايا الاجتماعية، السياسية، الدينية والتربوية، كما تضمنت تفسير القرآن الكريم- لصاحب المجلة- وشملت أحاديث النبي الكريم، وقاومت مسألة الاندماج" [1]، وعالجت الكثير من الأمراض الاجتماعية، وترجمت للكثير من الأعلام الوطنية والإسلامية، وقد وجد ابن باديس طاقما بارعا في تحرير المقالات الصحافية ونظم القصائد الشعرية أمثال: البشير الإبراهيمي، توفيق المدني، الفتى الزواوي [*]، أحمد بو شمال وغيرهم.

كما حظيت مجلة الشهاب أيضا بإحياء ذكر بعض الأدباء العرب،عن طريق نشر مقالاتهم، التي أعاد ابن باديس نشها ،ونشر بعض ما كتبوه في بعض مؤلفاتهم، ونسب إليهم أعمالهم، أمثال محمد الصادق الرافعي[*]، رشيد رضا[**]والأمير شكيب أرسلان[***]"[1].

---

[*] – هي تنسب لمالك بن أنس.

[1] – ينظر: عبد الحميد ابن باديس: مجلة الشهاب ومقاومة الاندماج، البصائر ،ع66،س2 ،المصدر السابق.

[*] – **الفتى الزواوي**: ولد سنة 1906م بأزفون – تيزي وزو، حفظ القرآن ثم التحق بالمدرسة الباديسية، كتب في " السنة" و" الشريعة" و" الصراط " و" المنتقد" و" الشهاب" و" الأسبوع التونسية،" له العديد من المؤلفات توفي يوم 06 ماي 1977م.

[*] – **محمد الصادق الرافعي**: أديب وشاعر وفقيه وهو شامي، له العديد من المؤلفات: كتاريخ، أداب العرب، حديث القمر، رسائل الإخوان، القلم، تحت راية القرآن ودواوين شعرية، توفي يوم العاشر من آيار 1937م.ابن باديس:آثار ابن باديس،ج1،25

[**] – **رشيد رضا**: ولد يوم 23 سبتمبر 1865م في قرية القلمون بلبنان، تعلم العلوم الشرعية بها، ثم انتقل إلى مصر أين التقى بمحمد عبده، له أعمال إعلامية أنشأ مجلة المنار، كما كان مهتما بالفقه والتفسير وألف فيه تفسيره الموسوم بـ " تفسير المنار"، توفي يوم 22 أغسطس 1935م.ينظر:ابنباديس،آثار ابن باديس،ج1،ص27

[***] – **الأمير شكيب أرسلان** :ولد يوم 25 ديسمبر 1869م بلبنان، درس بمدرسة الحكمة في بيروت ثم بالسلطانية، كانت تربطه علاقة برواد الإصلاح في الجزائر ومن أبرزهم ابن باديس ومصالي الحاج، توفي يوم 09 ديسمبر 1946م.

واستقطبت مجلة الشهاب الأدباء الجزائريين وغير الجزائريين، وكانت تزخر بمفكرين ودعاة قدموا لأوطانهم إضافات علمية ودعوية وأدبية من خلال هذه المجلة، وكانت مقالات ابن باديس في هذه المجلة تمثل معلما وموجها للمدعين، فكانت تنصح لهم، وتهتم بشؤونهم وتحرص على كرامتهم وحرياتهم.

ولقد كانت الشهاب الفاتحة الطيبة للمسيرة الصالحة الجريئة التي انتشلت الأمة الجزائرية من وأدة الإفلاس في السياسة ونكبة التنكر في الدين، فاندفعت جريئة جامعة تحطم ما يستحق التحطيم وتبني ما هو واجب البناء إلى أن استوى العود، وبلغت الأمة أشدها، فإذا بها المارد الجبار الذي قهر الاستعمار ورفع لواء الأحرار بفضل المجاهدين الأبرار، وللحرية والاستقلال عقبى الدار" [2]، وساهمت الشهاب كذلك في التعريف بأفكار ومبادئ وإرث عبد الحميد بن باديس فحملت لواء الإصلاح ونشر الدعوة الباديسية حتى قال عنها بعض الباحثين: " فلولا الشهاب لما عرفنا ابن باديس ونتاجه وتفكيره وأعماله ومذهبه الفلسفي في الإصلاح" [3]، فالشهاب إذن خدمت الداعية من حيث أنها حافظت على موروثه العلمي والإصلاحي، وحفظت إسهاماته الدعوية كما أنها خدمت المدعويين أيضا فلم تحرمهم من تلك الفوائد الدعوية والعلمية الضخمة التي قدمها ابن باديس لأبناء جيله، فاستفادوا هم الأخرين من تراث ابن باديس العلمي وانتفعوا به.

كما قام ابن باديس أيضا بتأسيس أربع جرائد أخرى كانت تلك الجرائد ناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين؛ وهي جريدة " السنة النبوية"، " الشريعة"، " الصراط"، " البصائر".

كانت الجرائد الثلاث– السنة، الشريعة والصراط– قد تأسست بإشراف ابن باديس، أما البصائر فكانت تحمل أفكار ورؤى جمعية العلماء المسلمين، وقد أسسها أعضاء الجمعية.

3–السنة النبوية:

[1]– محمد بن الصالح ناصر: الصحف العربية الجزائرية مرجع سابق،ينظر ابن باديس،آثار ابن باديس،ج1،ص28

[2]– رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربوي، ص268.

[3]– عبد الله مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2، 1983م، ص121.

وهي تعتبر أول جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين لتكون لسان حالها، وظهر العدد الأول لها بمدينة قسنطينة في مارس سنة 1933م[1]"، وشعار هذه الجريدة هو قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب:

أما على يسار غلاف الجريدة فإننا نجد عبارة " مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[2]، وهي مقتبسة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كتب أيضا في الجريدة نوع إصدارها، فهي أسبوعية وتصدر كل يوم إثنين من كل أسبوع، وترأس تحريرها العقبي والزاهري.

وقد ذكر مؤسس الجريدة أن الهدف من إصدار هذه الجريدة هو نشر بين الناس سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه وسلوكه: " فكما كان سلف الأمة يرجع إلى سيرة المصطفى ليسيروا بأضوائها فإن جريدة السنة جاءت لتقتدي بهم، وتبحث عن ما يرفع بالأخلاق من وأدة الانحطاط، ويظهر العقائد من الزيغ والفساد"[3].

وعند استقرائنا لأعداد الجريدة والمقالات المنشورة بها وبالأخص مقالات ابن باديس، فإننا نلمس الالتزام بما ورد في جريدة السنة عن مبادئ وشعارات، ومن أهمها الالتزام بنشر السنة، وتعليمها للناس فمن مقالات ابن باديس في الجريدة ما يلي: " النبي الصوفي" إنكار العلماء المتقدمين على المبتدعين "بواعثنا، علمنا، خطتنا، غايتنا" وهي مقالات تتحدث عن سيرة المصطفى وسنته وتدعو إلى الاقتداء بها.

ولم تلبث الجريدة طويلا حتى تم تعطيلها بقرار من وزارة الداخلية في جويلية سنة 1933م، فأسست جمعية العلماء المسلمين جريدة " الشريعة"؛ لتقوم مقامها وتحل في قلوب القراء محلها"[4]، وترأس الجريدة كل من الطيب العقبي والزاهري، وشعارها

---

[1]- علي مرحوم: نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية عن مجلة الثقافة، إصدار وزارة الثقافة، ع 44، أفريل- ماي 1978م، الجزائر، ص11.

[2]- البخاري: صحيح البخاري، ، ص191.

[3]- جريدة السنة: لسان حال جمعية العلماء المسلمين، العدد 1، سنة1، قسنطينة: يوم الإثنين 8 ذي الحجة 1351هـ، دار صادر بيروت، 2003، ص1.

[4]- عبد الحميد بن باديس: الشريعة – لسان حال جمعية العلماء المسلمين، الأعداد من 1- 17، دار الغرب الإسلامي، ص5.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ الجاثية: ١٨،وبقي شعار السنة على حاله إلى جانب هذا الشعار وأصبح ابن باديس يركز على القضايا الوطنية في جريدة " الشريعة" مثل الاحتجاجات أو إيضاح الاقتراحات ورد الشبهات " التي ألقيت على جمعية العلماء المسلمين وعلى أعضائها كتصريح النائب المالي "غراب" واتهامه لابن باديس بإثارة الشغب والفتنة والتدخل في شؤون الأحزاب السياسية"[1].

ورغم ردود ابن باديس على تلك الاتهامات إلا أنها- أي الاتهامات- كانت سببا مباشرا في توقيف الجريدة ومنع إصدارها ،فأسست جمعية العلماء المسلمين جريدة أخرى هي: جريدة " الصراط السوي" يوم 11 سبتمبر 1933م، وكانت هي الأخرى لسان حال الجمعية، وحملت شعار " ثم جعلناك على شريعة من الأمر"، فأنشأها وأصدرها عبد الحميد بن باديس، وترأس تحريرها كلا من الطيب العقبي والزاهري، وحمل أحمد بو شمال صفة صاحب الامتياز فيها[2].

كان منهج الجريدة عموما يجمع بين الدعوة إلى الإصلاح الديني وشملت مواضيع عدة مثل:"" دعاء المخلوق غير التوسل به للخالق"، وكذا الإصلاح السياسي مثل: " دعوة إلى الوفاق وترك الشقاق" وتعليمي تربوي مثل مقال: " بعد عشرين سنة من التعلم" و " إلى الشباب"، ورغم كثرة المضايقات فإن ابن باديس وزملائه في الجريدة لم يأبهوا بإجراءات السلطات الفرنسية التي كانت تسارع إلى توقيف جرائد الجمعية والجرائد التي كان يصدرها ابن باديس ولم يثن ذلك من عزائم أعضاء الجمعية ولا من عزيمة ابن باديس، ولم تستمر طويلا هي الأخرى حتى جاء الأمر بتوقيفها ومنع إصدارها.

4-جريدة البصائر:

لم تجف محابر جمعية العلماء المسلمين بعد توقيف جرائدها الثلاثة السابقة: السنة، الشريعة والصراط فها هي اليوم في السابع والعشرين من شهر ديسمبر من سنة 1955م تعلن ميلاد جريدة جديدة سمتها " البصائر" لتحمل شعارا جديدا هو

[1]- ابن باديس:آثار ابن باديس،ج5،225 " .

[2]- جريدة الصراط السوي: الأعداد من 1- 17، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1325هـ- 1933م، ص11.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ م: ١٠٤

[سورة الأنعام: 104]، وتصدر بشكل أسبوعي وذلك كل يوم جمعة ليخلف مبارك الميلي زميله الطيب العقبي في رئاسة جرائد الجمعية، وينال شرف الامتياز محمد خير الدين[1].

وقد كان لابن باديس بصمات في هذه الجريدة من خلال نشره لمقالاته على مستوى هذه الصحيفة كمقال:"لمن أعيش"[2]،و"نداء وبيان إلى الأمة الإسلامية"[3]، و"مع الوفد الإسلامي"[4].

ولا يكاد يمر عدد من أعداد " البصائر" إلا ولابن باديس حظ فيها، وأما عن منهج هذه الصحيفة فإنه كان يسير على:

1- التعريف بالدين الإسلامي ونشره وذكر فضائله.

2- العمل على إحياء السنة ومحاربة البدعة.

3-إحياء التراث العربي الأصيل بالغوص في أسرار وأبحر اللغة العربية والتغير بأمجاد التاريخ الإسلامي"[5].

كما كانت الجريدة تتابع الأعداد الوطنية، وتدعم الحركات والتنظيمات الحرة، وتهتم بالقضايا السياسية العربية، وقد تحدث الإبراهيمي عن الدور الذي أدته هذه الجريدة فقال: " لقد قطعت البصائر عهدا جديدا في مقارعة الاستعمار في الميدان الديني والعلمي والسياسي فكشفت نياته وألاعيبه في قضايا فضل الدين الإسلامي عن الحكومة وحرية التعليم العربي والحج، وفضحت مكايده

[1]- البصائر: العدد الأوّل 27 ديسمبر- شوال 1354هـ، قسنطينة، الجزائر، ص1.

[2]- ابن باديس:البصائر:لمن أعيش، ، العدد 84،.

[3]- ابن باديس:البصائر:"نداء وبيان للأمة"، ، العدد 47.

[4]- ابن باديس:البصائر:"مع الوفد الإسلامي" ، العدد 38.

[5]- ابن باديس:من جريدة البصائر، العدد الخامس والثلاثون 35، " جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا".

في مهازل الانتخابات ووضع الدستور الجزائري، والبصائر جريدة العروبة والإسلام فلتبق جريدة العروبة والإسلام"[1].

وهكذا فإن العمل الصحافي كان رديف الحركة الوطنية ورافقها في الظروف الصعبة وخاصة وقت إعلان الثورة والانفصال عن الاستعمار الفرنسي، ولم يتنكر ابن باديس ولا المؤسسات الإعلامية التي أوجدها ابن باديس لا للشعب الجزائري ولا لقضايا الوطن، بل إن تلك الهيئات والمؤسسات كانت تحمل آمال الشعب الجزائري في تحقيق الإصلاح والاستقلال ،وكانت تطلب الرقي والنهوض الحضاري ،مثل ما أشار إلى ذلك ابن باديس في احد دروسه فقال: " والخلاصة يا أبنائي أن الذي أردت أن أقوله من خلال هذا العرض المختصر – يقصد كلمته بمناسبة افتتاح جريدة المنتقد– أن رغبتي في أن تدركوا أن الأمم والشعب لا تنهض من كبوتها لتواكب الأمم الأخرى إلا بالعلم والعمل والتعبير الحر في مختلف دور الصحافة والنوادي" [2]، وللصحافة أثر بالغ ودور هام في إنجاز رسالة التربية والإصلاح، واستقطاب الشعوب والدفع بهم لطلب الرقي والأمجاد لأوطانهم.

المطلب الخامس : المناهج الدعوية المستخدمة في الخطاب الدعوي عند ابن بايس:

استخدم ابن باديس المناهج الدعوية الثلاثة في إيصال رسائله الدعوية، مراعيا في ذلك أحوال وظروف ومدارك المتعلمين، و يمكن أن نوضح ذلك في الآتي:

أولا:المنهج العاطفي:

يعتبر المنهج العاطفي من أهم المناهج التي وظفها ابن باديس في خطابه الدعوي، وهو المنهج الذي كان يستخدمه أثناء إلقاء دروسه اليومية الخاصة بالنساء والعجائز، ويلقي على مسامعهن الألفاظ والعبارات النابعة من قلب حريص ومشفق على حال أمهات وبنات الجزائر اللواتي أرغمتهن ظروف الاستعمار على ترك مجالس العلم ليصبحن بذلك فريسة سهلة للجهل، والوقوع في الكثير من الأخطاء والسلوكات المؤدية إلى عصيان ربهن دون علمهن؛ وخاصة تلك الأخطاء المتعلقة بالجانب العقدي، وممارستهن لبعض الطقوس الغير شرعية ظنا منهن أنها تحميهن وتحمي أبناءهن من التعرض

[1]– البشير الإبراهيمي: كلمة عن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين إلى كتاب البصائر الكرام، جريدة البصائر، ع 2، 10 جانفي 1939م، ص 2.

[2]– زهور ونيسي: مرجع سابق، ص258.

إلى أي أذى، وكانت معالجة ابن باديس لمثل هذه الإشكالات تتم بأساليب الرفق واللين، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن باديس في حادثة إهمال إحدى النساء –اللواتي كانت تحضر دروسه– لابنها فكانت نتيجة غفلتها وإهمالها أن فقدت ابنها الصغير الذي مات حرقا[1]، فعالج ابن باديس هذه القضية من الجانب العاطفي وحرك في الحاضرات غريزة الأمومة التي تفرض على الأم العناية بابنها ومراقبته، وأشار إلى أن الحذر واجب وأنه لا ينافي مسألة القضاء والقدر، وأنه يجب على النساء الأخذ بالأسباب وإعمال الجهد في تربية أبنائهن، وعدم الاحتجاج بالقضاء والقدر عند إهمالهن أو تقاعسهن عن أداء واجبهن، بل عليهن التوكل على الله بربط أسباب حماية أبنائهن مع الثقة بالله والدعاء لله بأن يحفظ أبناءهن من كل مكروه، وذكر في الآية الكريمة ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ البقرة: ١٩٥،فالاحتجاج بالقدر ونسب الضرر إليه ما هو إلا اعتقاد باطل، فالقدر بريء من إهمال البشر وتكاسلهم، بل على الإنسان توفير الأسباب والعمل على أكمل وجه مع تحقيق التوكل وطلب العون من الله.

ثانيا: المنهج العقلي:

اعتمد ابن باديس في خطابه الدعوي على المنهج العقلي، و قد تجلى هذا المنهج في مؤلفه " مجالس التذكير" من خلال عرضه لأساليب الحجاج والإقناع ،فكان يشرح المفردات والألفاظ التي تتكون منها الآية، ثم يقوم باستخراج الحقائق العلمية واللغوية التي تحتويها تلك الآية ،ويقوم منهجه العقلي على تبسيط وتحليل تلك المعاني وتقديمها للقارئ فمثلا في آية سورة النحل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ النحل: ١٢٥،نجد أن ابن باديس قد مهد لتفسير هذه الآية بما فتحه الله عليه فشرح الحكمة والموعظة والجدال، وبين أحكام كل واحدة منها، واستخراج الحكم والحقائق ليحمل بعد ذلك القارئ والمستمع على العمل بها"[2].

[1]– زهور ونيسي: مرجع سابق، ص262.

[2]– عباس حشا: الخطاب الحجاجي من أدب العلامة ابن باديس،رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ص166.

وفي سورة الإسراء وظف ابن باديس المعارف العلمية والعقلية، واستند إلى الكشوفات الفضائية من خلال ما توصلت إليه الأبحاث والدراسات العلمية والفلكية فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ ء: ١٢، ذكر ابن باديس أن الآية تفيد بأن القمر كان مضيئا ثم أزيل ضوءه فصار مظلما وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس فهو مضاء، واتفق علماء الفلك في العصر الحديث أن جرم القمر كالأرض كان مضيئا ثم صار مضاء[1]، وهو إقرار لتوافق ما جاء به القرآن الكريم وما توصلت إليه الأبحاث البشرية العقلية وأن هاذ التوافق يلزم الحجة على كل المشككين في الإسلام وفي الدعوة الإسلامية، فهذه الحقائق قد صرح بها القرآن والإسلام قبل حوالي خمسة عشر قرنا، أي قبل ظهور الآليات والوسائل التكنولوجية التي سمحت للعلماء والباحثين بالوصول إلى مثل هذه الحقائق، وهذا ما يبرز وجه الإيجاز في القرآن الكريم، وأن هذا الدين لم يكن من إنشاء البشر، بل إن من أوجده هو رب البشر ورب هذا الكون الذي هو أعلم به وبخباياه.

ثالثا: المنهج الحسي :

وأما عن المنهج الحسي في الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس الدعوي فإنه كان باديا في دعوته إلى التحلي بمكارم الأخلاق [2] وأحاسنها، والتطرق إلى نعم الله وفضائله [3] على خلقه، وكذا التكريم الرباني للإنسان...[4]. ،وغيرها من المواضع الحسية التي شملت الخطاب الدعوي لابن باديس.

وبهذا يكون الخطاب الدعوي التعليمي لابن باديس قد جمع بين المناهج الدعوية الثلاثة ووظفها في خدمة نشر التعليم والدعوة بين أبناء الطلبة الجزائريين، ولم يقتصر المنهج التعليمي للخطاب الباديسي على إصلاح المنظومة التربوية التعليمية الجزائرية، بل إنه شارك برأيه وعلمه في

[1]- عبد الحميد بن باديس: آية الليل وآية النهار ،الشهاب،ج12، م5، غرة شعبان، 1348هـ - جانفي 1930م.

[2]- عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج1ص231.

[3]- المصدر نفسه، ص335.

[4]-المصدر نفسه، ص301.

تقديم مقترحات علمية لإصلاح المنهاج التربوي التونسي بجامع الزيتونة فوضع لائحة تضمنت عصارة فهمه وعلمه بمناهج التدريس؛ مستفيدا في ذلك من تجربته في المدرسة التونسية، وتتلمذه على يد كبار مشايخها وعلمائها، تلك الفترة التكوينية التي عاشها ابن باديس في أقسام ومدارس الزيتونة مكنته من إدراك نقاط التفوق والنجاح المدرسي والتعليمي بتونس، ومعرفة مواطن الخلل والضعف المنهجي فيها، فرأى أنه من واجبه الدعوي تقديم وإسداء النصيحة للقائمين على التعليم هناك في تونس، فاستخدم أسلوب النقد في عرضه لطرق التدريس بالزيتونة، وأنكر اقتصار المناهج التربوية هنالك على علوم الآلة،دون التعرض للتفاسير المبسطة التي تزيل الغموض على الكثير من المعاني التي قد يغيب فهمها عن الطالب " فيصبح التدريس شيئا نظريا جافا لا يخضع لتطبيقات القرآن الكريم وألفاظه، ويتخرج الطالب من جامع الزيتونة دون أن يعرف حقيقة التفسير، فكأن التفسير هناك يدرس من أجل تطبيق القواعد اللغوية لا من أجل فهم الأحكام الشرعية"[1].

إن هذا الإسهام التعليمي لابن باديس والقائم على إصلاح المناهج التعليمية بتونس وخاصة مناهج تدريس مادة التفسير، يقودنا إلى عرض مناهج عبد الحميد بن باديس في وضع تفسيره: الذي كان يعتمد على ما ورد في الكتاب – أي أنه ابتدأ تفسير القرآن بالقرآن وأعطى الأدلة العقلية في تفسير القرآن لنفسه، من خلال ما ورد في الآيات من شرح وتفصيل لآيات أخرى، وإنه لم يجد فإلى أقوال الصحابة وعلماء السلف، وإن لم يجد فإنه يقوم بتفسير الآية تفسيرا لغويا من خلال اعتماده على المعاجم الأساسية في اللغة العربية كلسان العرب وكتب الصحاح ومعجم المقاييس[2].

[1]–عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير، ص108.

[2]–عامر العرابي: الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة السعودية،1409هـ، ص291.

وأما منهجه في تدريس الحديث؛ فإنه كان قائما على الاعتماد على ثلاثة أساليب: الأسلوب العلمي والخطابي والأدبي، وكان كل أسلوب من هذه الأساليب يعبر عن مهارة ابن باديس في التصوير وحذاقته في التقرير[1].

لقد أحيى ابن باديس سيرة السلف في التدريس والتعليم وأعاد للمساجد والمدارس أدوارها المنوطة بها من عقد حلق الذكر والعلم، وأرشد الناس إلى الخير، ورغم العراقيل التي واجهها من قبل السلطات الفرنسية التي أدركت حجم الخطر الذي يحمله المنهج التعليمي الباديسي، فإنه لم يتراجع عن أداء واجبه الدعوي نحو وطنه وأمته الإسلامية.

المبحث الثاني: آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب.

ورثت شبه الجزيرة العربية قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب منظومة دينية عقدية وسياسية هشة تداعت عليها المفاسد، ولوثتها بعض المفاهيم والتصورات الجهلاء، وقد كان لظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب دور كبير في إزالة تلك المفاسد من خلال جهوده الدعوية وآثاره العلمية، ولما كان المجتمع يعبر عن تباين واختلاف في الذهنيات والطبائع فإن ابن عبد الوهاب قد عمد إلى حسن اختيار المنهج والأسلوب الملائمين لتمرير مضامين الدعوة الإسلامية وتبليغها للمجتمع فراعى في ذلك الميولات والرغبات ودرس المستويات العقلية والفكرية، لينتج خطابا دعويا ثريا تعددت مناهجه وآلياته على النحو التالي:

المطلب الأول:الخطط الحربية والمشاركة السياسية:

إن أصل الجهاد هو أن يكون الدين لله تعالى، وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن منع هذا قُتِلَ باتفاق الإسلام " ويندرج ضمن هذا المنع الاعتقاد ببعض المفاهيم المفضية إلى إشراك الله في العبادة: كرجاء حصول الخير من قبل بعض الموتى، أو حصول البركة عند قبورهم، وهذا الأمر كان

[1]- مستخرج من ابن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص333.

متفشيا في شبه الجزيرة العربية وفي نجد خاصة زمن محمد بن عبد الوهاب، الذي ما كان منه إلا أن عرض مسألة التوحيد الصحيح على بعض المخالفين الذين وقعوا في محاذير التوحيد [1] ليحدث ذلك خللا في عقائدهم، وتحرف مفاهيم التوحيد لديهم، ويصبحوا بذلك عرضة للوقوع في الشرك وقد عالج محمد بن عبد الوهاب هذا الداء العضال بأنجع الوسائل والمناهج، ممتثلا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"، فكانت وسيلة السلطان، واستخدام السيف لترهيب بعض المخالفين، أو قتل بعض المصرّين والمتعنتين.

ولم يخرج في ذلك عن ما أمر به سواء كان هذا الأمر ربانيا منصوصا عليه في كتاب الله المجيد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾الأنفال: ٦٠، أو كان ذلك الأمر في سنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» ، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ".

ولإقامة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، يجب الالتزام أولاّ بالضوابط الشرعية الإسلامية؛ التي تُجيز رفع السيف وعدم الاحتجاج باسم الجهاد والدعوة إلى الله في قتل الأنفس واستباحة الدماء والأموال، وقد نبّه إلى هذه المسألة محمد بن عبد الوهاب، فجعل مسألة إقامة التوحيد أوّل وأهم مبدأ للقتال متأسيا في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ"[2]، فذكر محمد بن عبد الوهاب أن لبّ الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بالعبادة، وعدم إشراك أي مخلوق معه كائنا من كان، وهذا التوحيد

[1]-ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي،جدة، ط 1، 1429هـ، ص158.

[2]- البخاري: صحيح البخاري، رقم: 25.

يفرض إبطال كل المعالم الشرعية التي تخل بركن التوحيد أوثانا كانوا، أم قبور صالحين أم حتى معتقدات وسلوكيات باطلة متعلقة بالعقيدة والتوحيد، فقال: " ومعلوم أن كسر الأوثان لا يستقيم إلاّ بشدة العداوة وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة رحمك الله"[1].

فجعل ابن عبد الوهاب الإخلال بأركان التوحيد ومقتضياته من أهم الأسباب التي تسوغ للإفتاء براية الجهاد، حتى وإن كان أهالي نجد وأهالي شبه الجزيرة العربية في ذلك العصر لا يرفضون نطق كلمة " لا إله إلاّ الله محمد رسول الله"، إلا أن نطقها عند الكثير منهم كان يشوبها الدّخن، ويعتريها الزيغ والانحراف فحرّفت شروطها ومضامينها عن الأصول التي دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله لتصبح سببا في إحباط الأعمال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾الزمر: ٦٥

وكلمة التوحيد لا تتوقف عند تلك اللفظة فقط وإلاّ لكان المشركون من قريش من أهل الملة والتوحيد لإقرارهم بخلق الله وقوته وقدرته، ولكن كلمة التوحيد توجب معرفة أركانها وشروطها ونواقضها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾محمد: ١٩وعمل ابن عبد الوهاب جاهدا على إعادة أهالي نجد إلى عقيدة التوحيد السليم الواردة في الكتاب والسنة دون تشبيه أو تجسيم، أو تعطيل أو تأويل فبلغ عناية شديدة بهذا الأمر"[2]، وكان منهجه الدعوي شديدا وصارما في دفع مظاهر الشرك المنتشرة والسائدة في المنطقة، وضبط المظاهر المفضية للشرك والموجبة لرفع السيف تحت لائحة واحدة سماها بنواقض الإسلام، وهي كالآتي:

1-أن يشرك في عبادة الله وحده.

2-أن يجعل بين العبد وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة.

[1]- محمد بن عبد الوهاب: مفيد المستفيد في كفر التوحيد، مصدر سابق، ص284.

[2]-عبد الحليم عويس:أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر، دار الصّحوة، القاهرة،ط 1، 1405هـ، ص7.

3-أن لا يكفر المشركين أو يشك في تفكيرهم.

4-أن يعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن غير حكم النبي صلى الله عليه وسلم هو أحسن من حكم النبي صلى الله عليه وسلم.

5-أن يبغض أو يستهزئ بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وهي الضوابط التي ترفع عصمة الناس من دمائهم وأموالهم، كونها تعتبر مظهرا من مظاهر الشرك.

ولم تسلم هذه الدعوة التي جاء بها ابن عبد الوهاب من اعتراضات ورفض حتى في حياته، فاتهم بالتكفير والتشدد في تطبيق الأحكام الشرعية، ورفض الكثيرون مسألة الجهاد واعتبروها تمثل ذريعة للتمدد السياسي وتوسيع نفوذ دولة وإمارة محمد بن سعود في منطقة نجد تحت غطاء ومسمى الجهاد، وقد أجاب ابن عبد الوهاب على هذه الدعاوى بمنهج واضح، أبان فيه عن حجيته في وضع تلك الضوابط وفرص مسألة الجهاد على أمير الدرعية فقال: " وأخبرك أنّي والله متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به، هو مذهب أهل السنة والجماعة ذاك المذهب الذي كان عليه أئمة المسلمين وسلفهم كالأئمة الأربع أصحاب المذاهب الفقهية السنية، وكل من سار على نهجهم من أعلام الأمة وعلمائها فبينت للناس وجوب الإخلاص لدين الله ،ونهيتهم عن دعوة الأحياء والغائبين والأموات من الصالحين وغيرهم ،وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشرك فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأكفر من عرف دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد أن عرفه سبه ونهى عن إتباعه وعادى من اقتدى به فهذا هو الذي أكفره" ،وثم يستطرد في شرح أن غالبية المسلمين لا يعتقدون تلك المعتقدات وإنما هم شرذمة قليلون رانت تلك المفاهيم على قلوبهم وعقولهم، فأبوا إلا الاعتقاد بها، ونشرها بين عامة المسلمين فقال: " وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك[2]. أي لا يشركون بالله في عبادة من الذبح أو النذر أو غيرها من الأعمال المقضية للشرك".

[1]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، الرسالة رقم22، ص212.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،المصدر السابق: ص82

و لم يحارب محمد بن عبد الوهاب القبائل التي أقرت بما جاءت به دعوته القائمة على منهج النبي صلى الله عليه وسلم أو تلك القبائل التي أعلنت عن توبتها وانتهت عن فعل تلك السلوكات وأقلعت عن الاعتقاد بتلك التصورات المتعلقة بالتوحيد والتي كانت تفسره وكان يبقي على زعماء تلك القبائل ولا ينازعهم ملكهم ولا إمارتهم.

إن الإعلان عن الجهاد ورفع السلاح، لم يكن ليظهر للوجود لولا المعارضة الشديدة التي لاقتها دعوة محمد بن عبد الوهاب والتي جاءت بعد أن استنفذ محمد بن عبد الوهاب كل الطرق والأساليب الدعوية المرنة واللينة، ولولا مجاهرة زعماء بعض القبائل بتلك السلوكيات الشرعية، والدعوة إليها ورفض كل من يدعو إلى محاربتها وتركها " فبعض القضاة والفقهاء رفضوا القبول بمضامين دعوة محمد بن عبد الوهاب واعتبروها ابتداعا في الدين وتفكيرا للسواد الأعظم من المسلمين، فأعلنوا الحرب على هذه الدعوة، وأعلنوا كذلك العداء لابن عبد الوهاب ولحلفائه السياسيين لا لشيء إلاّ لمخافتهم من انتشار دعوته وزوال السؤدد والجاه الذي كانوا يحظون به قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب"[1].

لم يكن محمد بن عبد الوهاب بادئ الأمر ليواجه زعماء القبائل وحده، ولا أن يحمل السيف في وجوههم لو لم يستفد من مناصرة الأمير محمد بن سعود له، وهو – أي ابن عبد الوهاب– الذي وجد نفسه طريدا وحيدا بعد أن رفض شيوخ القبائل وفادته وطالبوه بالرحيل، خوفا من بعض الأمراء وبطشهم عليهم، حتى إن منهم من أراد الكيد له لقتله، فما كان من ابن عبد الوهاب إلا أن سارع إلى تغيير منهجه الدعوي من خلال اتخاذه لخطط بديلة عن الوعظ والجهاد باللسان، إلى إبرام العهود والمواثيق مع الأمير ابن سعود والتحضير للجهاد بالسيف، والغلظة في الدعوة والزجر عن الوقوع في المحاذير الشرعية بالقوة والسلطان، تلك العهود والمواثيق كانت سببا في انتشار وذيوع الدعوة وتجاوز الدعوة في الدائرة القطرية المغلقة بإمارة الدرعية، والسماح لها ببلوغ إمارات أخرى في نجد وخارجها.

[1]– علاء بكر: ثلاثة قرون هجرية على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار الخلفاء الراشدين،الإسكندرية، ط 1، 2007م، ص34.

لقد كان منهج ابن عبد الوهاب الحربي والسياسي قائما على مجالسة السلطان، وإرسال الوفود وكتابة الرسائل وهي رسائل دعوية والتي تتضمن الأدلة والبراهين على صدق خطابه، وعلى ما وقع فيه بعض القبائل النجدية من المخالفات الشرعية والأخطاء العقدية ،هذا المنهج تعرض للاعتداء من خصوم ابن عبد الوهاب ولم يسلم حتى الرسل الذين كان يبتعثهم ابن عبد الوهاب لزعماء القبائل.

وتعرض العلماء وطلبة العلم والأئمة ومشايخ القرى والبوادي الذين ناصروا دعوة محمد بن عبد الوهاب للمضايقات وللأذية ،بل إن حد تلك المضايقات بلغ درجة القتل، فقتلوا أولئك الذين ساروا على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأقروا التوحيد ودعوا إليه "[1]، وما كان من ابن عبد الوهاب إلاّ أن أعلن الحرب المسلحة، وظاهر العداء لمن ظاهره العداء، ولكل من أصر على بقائه في ضلاله [2]، وأنكر العقائد والشرائع التي كان يدعو إليها ابن عبد الوهاب، والتي كانت لا تخرج عن ما ورد في الكتاب والسنة، فكان اختيار منهج الحزم والقتال عند الضرورة هو الحل الأمثل والأنسب، خاصة بعد وصول الدعوة إلى مرحلة كادت أن تبلغ خلالها مرحلة النهاية لتكالب الخصوم عليها، ونظرا أيضا لقوة الباطل والهوى وتمكنه من قلوب كثير من الناس الذين لم تقبل نفوسهم الحق ولم تذعن لأهله"[3]، فتحالف ابن عبد الوهاب مع ابن سعود على أن " الدم بالدم والهدم بالهدم"[4].

وكان أول القتال غزوة شارك فيها ثمانية جمال عليها ستة عشر من المشاة، وعاد منها ولم يصيبوا منها شيئا ،ثم غزو بعد ذلك على عشرين جملا وغنموا مقدار خمسمائة قرش [5]، فالدعوة لم تكن لتقوم لها قائمة لو لم تكن مثل هذه الغزوات والتي بدت غنائمها قليلة في أول الأمر، وحتى مع اتساع الرقعة الدعوية وكثرة الغنائم فإن ابن عبد الوهاب لم يعرف عنه الطمع السياسي، وإلا فإنه كان بإمكانه الوصول إلى الحكم بدلا من محمد بن سعود لكثرة أتباعه، وصدق دعوته، وكما أن

---

[1]- ابن غنام: روضة الأفهام،مرجع سابق، ص97.

[2]- أحمد دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء بلاد الحرام، دارصادر، بيروت، ط1، 1998، ص228. بتصرف

[3]- ابن غنام: مرجع سابق، ص98.

[4]- عثمان ابن بشر:مرجع سابق، ص40.

[5]- دون اسم المؤلف: كيف كان ظهور سيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق: عبد الله الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود ،المملكة العربية السعودية،ط1، 1982، ص26.

أحكام السياسة وأعرافها تجعل الكثير من الحلفاء يلجأون للخروج عن طاعة حلفائهم، بعد أن يتبين لهم تعاظم قواهم ، وأنهم ليسوا بحاجة إلى حلفائهم، ذلك أن شهوة السلطان وحب الإمارة تدفع بهم لإعلان القطعية وتدبير المكائد، وهذا الأمر لم ينطبق على ابن عبد الوهاب ولا على دعوته، رغم اعتماد دعوته على السلطان وحاجتها إلى تعزيز قوتها بالشق السياسي.

لقد كان منهج ابن عبد الوهاب الحربي هو اتخاذ السيف كوسيلة وأداة لتبليغ الدعوة، ولم يكن ليستغل الدعوة للوصول إلى الحكم، كما نلاحظ أيضا اتصاف ابن عبد الوهاب بالزهد فالسلطة وعن الغنائم وهذه من صفات القائد الناجح والسياسي الحاذق، الذي يسعى إلى تأليف القلوب وجمعهم على الهدف المنشود ولو كان ذلك على حساب نفسه وماله.

إن المنهج الحربي والسياسي لدعوة ابن عبد الوهاب كانت قبل تحالفه مع ابن سعود، فقد تحالف في أول الأمر مع عثمان بن محمد بن معمر قبل أن ينزع هذا الأخير يده ويطلب من ابن عبد الوهاب الخروج من إمارته، وقبل ذلك فإن ابن عبد الوهاب كان قد استغل تحالفه مع ابن معمر في خدمة الدعوة ومحاربة البدع والخرافات " وطلب من ابن معمر الخروج معه لهدم القباب"[1]، وذلك بعد أن رفض سكان العيينة فتوى ابن عبد الوهاب بهدم تلك القباب، فإدراك محمد بن عبد الوهاب لأهمية ودور السلطان والسيف في الدعوة، ومحاربة السلوكات البدعية، جعله يسارع إلى مصاحبة الأمير عثمان بن معمر وكان تعامله معه كتعامله مع الأمير محمد بن سعود بعده، وهذا التعامل قائم على الثبات على الدعوة ونشر التعاليم الدينية، ولم يطلب في ذلك أغراضا مالية ولا سياسية، فهو لم يحصل على حصصه من الغنائم، أو من الأتاوات والضرائب ،ومع أن مدرسة محمد ابن عبد الوهاب كانت سليلة مدرسة الحديث والأثر التي تزعمها أحمد بن حنبل وابن تيمية، واللذان عرف عنهما محنتهما مع السلطان وبعدهما كذلك عن مجالسة أهل الحكم، إلا أن ابن عبد الوهاب قد تفرد بإحداث نوع من التوافق وإبرام العهود مع السلاطين لخدمة الدعوة، فعُدّ بذلك مدرسة دعوية منفردة

[1]- عثمان ابن بشر: مرجع سابق، ج1، ص46.

من هذا الوجه [1]، وما أبرز سلامة منهجه السياسي وخططه الحربية والديبلوماسية وعلاقته بذوي السلطان التي أدت به إلى تغيير مركز الدعوة وانتقاله من مخالطة أمير العيينة إلى أمير الدرعية ،بعد استقرائه للأوضاع السائدة في كل من الدرعية والعينة ،وهو امتثال أيضا لما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمر به بالهجرة، لما تعاظم البلاء وزادت المحنة على الدعوة النبوية، وانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة كان بأمر رباني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ، أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ"[2]، وفي تركيز ابن عبد الوهاب على حماية دعوته والحفاظ على أصولها المستمدة من الكتاب والسنة، فإنه لجأ إلى الهجرة إلى العيينة، والاعتماد على القوى العسكرية والجيوش التي كان يمتلكها قادة تلك القبائل، وساعدت تلك القوة العسكرية على تقبل الدعوة والإصلاح الذي جاء به ابن عبد الوهاب من وجه الخوف والخشية من السيف والسلطان، فالله يزع بالسلطان مالا يزعه بالقرآن، وهناك من الأنبياء من جمع الله لهم بين الملك والنبوة ما يبرز دور القوة والملك في الحفاظ على الدعوة ونشر رسالة التوحيد.

إن بعض الذين أنكروا على محمد بن عبد الوهاب حمله للسلاح وتسببه في قتل الكثير " وادعوا وجود أطماع سياسية وراء ذلك، وادعوا كذلك بأن تلك التصرفات والأعمال لا توجب الكفر و تبقي على عصمة دماء من تبناها واعتقد بها" [3]، والحقيقة أن وجه الشبه واضح بين هؤلاء الذين يعتقدون في أصحاب القبور دفع الضرر وجلب النفع وبين مشركي قريش الذين اعتقدوا في الحجارة جلب الأرزاق وقبول النذور والصدقات مع إقرارهم هم أيضا – أي مشركي قريش– بوحدانية الله والقاعدة الأصولية تفرض على اتحاد العلة اتحاد الحكم، وهذا ما ذهب إليه ابن عبد

[1]–عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر هجري، 100هـ إلى 1370هـ ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1996م، ص333.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، رقم: 7035.

[3]–سليمان بن عبد الوهاب: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، مكتبةايشيق ، تركيا، ط3، 1979م، ص18.

الوهاب في إقراره بكفر من يعتقد في أصحاب القبور وغيرهم من الصالحين بحصول الخير منهم، أو دفع السوء بفضل التقرب إليهم.

ومن المبادئ والأسس التي قام عليها منهج ابن عبد الوهاب " تطبيق حكم الله جل وعلا" فدعا إلى وجوب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ورد الحكم إليهما عند التنازع وأن مسؤولية تطبيق الأحكام الشرعية لا تقوم إلا بحصول الفقيه على السلطة التي تمكنه من إنفاذ الحدود الشرعية، وزجر عامة المسلمين ليعتبروا ممن تم تطبيق الحدود عليهم، وهذا ما يقودنا إلى الإقرار بأهمية دور السلطة السياسية ومسؤولية الحاكم في إنفاذ الأحكام ودور الفقيه أو الداعية أو المصلح في نصح الحاكم وولي الأمر وهذا ما أشار إليه حديث تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، لِلَّهِ ولِكِتَابِهِ، ولِنَبِيِّهِ، ولأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ"[1]، فتحقق بذلك لابن عبد الوهاب واجب النصح لولي الأمر، وهو الذي كان بمثابة الوزير الناصح لدولة آل سعود، وكان البطانة الصالحة لدولة عمدت إلى إحياء الكثير من السنن، وحاربت البدع والمظاهر الشركية وحتى مع تطلعها إلى التوسع – أي دولة آل سعود- والامتداد فإن ذلك لا يتنافى مع مقصد جمع شتات المسلمين في نجد، والذين كانوا قرى وقبائل متفرقة ومتناحرة فيما بينها يسودها الكيد والعداء، فجمع الله أمر تلك القبائل ووحد كلمتهم وصفهم على يد المصلح ابن عبد الوهاب ومؤسس الدولة السعودية – محمد بن سعود-

لقد كان النضال السياسي والحربي لابن عبد الوهاب حافزا وعاملا مهما لقيام الدعوة والإصلاح الذين جاء بهما محمد بن عبد الوهاب، كما كان كذلك أيضا دور بارز في تدعيم دولة محمد بن سعود وقيامها في نجد والحجاز فكانت العلاقة إذن بين الدعوة والسياسة علاقة تكاملية خدم كل منهما الآخر واستفاد صاحبالدعوة من صاحب السلطة وكانا كل واحد منهما سياسيا مباشرا في بقاء واستمرار شأن الآخر.

المطلب الثاني: الرسائل والمكاتبات

[1]- مسلم:صحيح مسلم،55

تعتبر الرسالة أحد أهم فنون الأدب العربي فقد كانت الرسالة منذ القدم تؤدي أهدافا وأغراضا مختلفة منها: السياسية، الاجتماعية والاقتصادية وحتى الأغراض الشخصية والخاصة، كما كان لها أيضا دور دعوي وتبليغي في سير الأنبياء والرسل، فهذا سيدنا سليمان عليه السلام يبعث برسالة وكتاب إلى ملكة سبأ يدعوها فيها إلى التوحيد، كما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بإرسال الوفود وابتعث معهم رسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام فأرسل إلى دحية قيصر ملك الروم والمقوقس ملك مصر وإلى ملك الحبشة، وملك الفرس وأمير اليمامة والبحرين ودمشق وعمان"[1].

وعلى هذا المنهج سار الخلفاء والقادة والمصلحون الفاتحون المسلمون من سلف الأمة، وتبعهم في ذلك بعض الخلف، ومن بين أولئك الذين اتخذوا من الرسائل وسائل وآليات دعوية نجد ابن عبد الوهاب الذي كتب رسائل دعوية ووجهها للعلماء والوجهاء، وحتى لعامة المسلمين، وقد عرف عن ابن عبد الوهاب اهتمامه بهذه الوسيلة الدعوية والعناية بها من حيث المضمون والشكل وامتازت رسائله بالحجة والفصاحة إلى جانب سلامة المعتقد والدعوة إلى المنهج المستقيم.

وقد بلغ عدد الرسائل التي كتبها ابن عبد الوهاب – واحد وخمسون رسالة- جمعت في كتاب " مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب" ج 7، بعنوان الرسائل الشخصية وإدراج مجموعة من الباحثين رسائل أخرى ونسبوها إلى محمد بن عبد الوهاب، كصاحب الدرر وتاريخ ابن غنام، ورغم مكانة هذين المؤلفين في دراسة تاريخ نجد والتاريخ الدعوي والإصلاحي لمحمد بن عبد الوهاب خصوصا، إلا أن بعض الباحثين خالفوهم في صحة رسائل أخرى غير تلك الرسائل المجموعة في كتاب " مؤلفات الشيخ الإمام محمد عبد الوهاب"، ومنها رسالة تم ذكر أنها من رسائل ابن عبد الوهاب إلى عبد الله الصنعاني، وهي تفتقر إلى تواجد اسم المرسل وهي مطابقة لرسالة ابن عبد الوهاب، عند دخوله مكة وهي لم ترد إلا في الدرر السنية، إلا أن الراجح أنها ليست من رسائل

[1]-ابن هشام: السيرة النبوية ،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1410هـ،ج4، ص253،254.

محمد بن عبد الوهاب وكذلك ما نسب إليه من رسالة قيل أنه بعثها إلى أهل المغرب وقد رد على ذلك الباحثون[1].

على أن ابن عبد الوهاب كان منشغلا بنشر الدعوة والإصلاح في منطقة نجد والحجاز وضواحيها وكانت الدعوة في زمنه لا تزال في مراحلها الأولى فمن غير المنطق أن يهتم بخارج منطقة شبه الجزيرة العربية ولم يستتب الأمر له بعد له بعد في نجد وضواحيها.

لقد كان منهج ابن عبد الوهاب في كتابة رسائله ويقوم على ترتيب أولويات العلم الشرعي، ففي رسالته لأمير ثرمداء كتب إليه يذكره بمكانة العقيدة السليمة وأهميتها في حياة المسلم، وكيف أن الأنبياء والرسل كانوا يدعون أقوامهم إلى تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوبهم [2]، والمتصفح لرسائل محمد بن عبد الوهاب يجد أن مضمون غايتها يدور حول شرح العقيدة الإسلامية وتبيان أركانها ،والتحذير من نواقضها كما كان منهج التعريف بالعقيدة يقوم على ذكر الأدلة الشرعية التي تعزز حجيته، وتميزت الرسائل أيضا بالتناسق والتناغم في الطرح ،فراعى ابن عبد الوهاب مبدأ ترتيب المسائل العقدية " كالابتداء بتعريف التوحيد وانتهاء إلى التحدث عن البدع والممارسات السلبية المتعلقة بجانب الاعتقاد، والتي تؤدي إلى الإخلال بشرط التوحيد؛ كالذبح لغير الله أو النذر أو الاعتقاد في بعض الموتى بأن لديهم القدرة على نفع الأحياء[3].

و كان ابن عبد الوهاب يوضح في رسائله مذهبه الفقهي ويفند كل التهم المنسوبة إليه في كونه مبتدعا وأنه قد جاء بمذهب فقهي جديد خارج المذاهب السنية الأربع وأنها تجاوزها ليأتي بمذهب فقهي جديد من عنده، فقال: في إحدى رسائله: " نحن متبعون غير مبتدعين، نحن على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومن.... الذي أشاعه الأعداء أني أدّعي الاجتهاد ولا أتبع الأئمة في كل شيء"[4].

---

[1]- عبد الله الصالح العثيمين: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"،بحث مقدم ضمن مؤتمر أسبوع بحوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،مرجع سابق، ص95.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق،ص24.

[3]- المصدر نفسه،ص ص78.

[4]- ابن غنام: تاريخ ابن غنام،مرجع سابق، ص66.

والداعية الناجح هو الذي يقوم بتوضيح توجهاته ويظهر منهجه، لكي لا يُظن به الظنون ،ويكشف عن التهم والافتراءات التي قد يقذفها عليه بعض خصومه وأعدائه، وفي ذلك إثبات للمدافعين عن الدعوة بصدق نية الداعية، وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما زارته زوجه أم المؤمنين صفية في معتكفة، وحين خروجها من المعتكف وكان يرافقها النبي صلى الله عليه وسلم، رآه رجلان ، فطأطأ كل واحد منهما رأسه حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: " على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! –أي أنهما توضيح النبي صلى الله عليه وسلم لهما ذلك– فقال لهما: إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًّا "[1]، فإذا كان هذا موقف النبي صلى الله عليه وسلم وهو المبرئ من كل ذنب، والمعصوم عن كل عيب، فكيف بمن دونه فالأحرى والأولى إذن على من يقوم بواجب الدعوة أن يكون واضحا في جميع سلوكاته وكلامه، وأن لا يدع مجالا للريب أو لتأويل بعض من أفعاله وأقواله على نحو قد يضر به ويضر بالدعوة، وقد برأ ابن عبد الوهاب نفسه عن التشهير لأراء وأقوال ابن تيمية وابن القيم على حساب السنة، أو أنه مجرد متبع مقلد فقال: "ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل: ابن القيم، الذهبي وابن كثير وغيرهم، بل إني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقد اتخذ ابن عبد الوهاب مناهج وأساليب مختلفة في الدعوة إلى الله من خلال كتابة رسائله الشخصية، فكان أحيانا يلجأ إلى اللين والرفق في الدعوة كرسالته إلى البكلبي الذي كتب إليه قائلا: " إلى الأخ في الله أحمد بن محمد البكلبي. سلمه الله من جميع الآفات واستعمله بالباقيات الصالحات وحفظه من جميع البليات، وضاعف له الحسنات ،ومحى عنه السيئات... ثم قال له: " ولقد أردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل، ونوضح لكم القول الراجح بالدليل، ونسأل الله أن يسلك بنا وبكم أحسن المنهج "[2]، فكان تمهيد هذه الرسالة يحمل الكثير من إظهار الود ورجاء الخير والهداية

[1]– البخاري: صحيح البخاري، 64

[2] محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص94.

لصاحب اليمين، فالمرسل قام باحترام المرسل إليه وأبان له عن توقيره من خلال ذكر اسمه وصفته ،وذكره كذلك بالأخوة والرابطة الدينية التي تجمع بينهما، ثم بعد ذلك سرد عليه الحجج التي تزيل عنه الغموض والشبه التي كانت تغشى فكره وعقيدته، فقال له : "وأما ما ذكرتم عن حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون للكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وما عليه أئمة المذاهب الأربع "[1]، وأما ما سألت عن حقيقة الإيمان فهو:... وبدأ يشرحه له ويورد في ذلك الأدلة والقرائن.

و كان ابن عبد الوهاب يدعو أحيانا أخرى إلى الله بالترهيب والتخويف من الله ومن وعيده، ففي رسالته إلى عبد الله بن عيسى أورد خطر عدم الاستجابة لله ولرسوله، واتباع الهوى وأقر بأن ذلك من الاحتكام إلى الطاغوت، واستند في ذلك بقول ابن القيم في أعلام الموقعين، وذكر عواقب تلك الاعتقادات الباطلة وأنها سبب للهلاك وأورد

آية:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾آل عمران: ١٠٦، فالاحتكام إلى غير الله، وتبني معتقدات باطلة هي من أسباب إحلال العقاب الإلهي في الآخرة على المخالفين، ووضع المدعو في صورة تلك المشاهد والأحوال فقال: " فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك، ثم نزله على أحوال الناس وحالك، وتفكر في نفسك، وحاسبها بأي شيء تدفع هذا الكلام، وبأي حجة تحتج بها يوم القيامة ،وفر بدينك، فإن الجنة والنار قدامك ولا تستهجن هذا الكلام فوالله ما أردت لك إلا الخير"[2]، وكان يذكر بهادم اللذات وينبه الغافلين والمعرضين بمشاهد القبر وأهواله لعله بذلك يحي الضمائر، فيقول في إحدى رسائله فما ظنك به إذا وضع في قبره، وأتاه الملكان وسألاه عما عاش عليه من الدين، ماذا يجيب؟ هاه ،هاه، لا أدري"[3]، وما ظنك إذا وقف بين يدي الله سبحانه وسأله ماذا كنت تعبد وبماذا أحبت المرسلين"[4]، فالقبر هو أول مراتب الآخرة وما قدر فيه من العذاب ما هو إلا نتاج لأعمال .واعتقادات سبقته في الدنيا

[1]-محمد ابن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص: 96.

[2]- ابن عبد الوهاب:الرسائلالشخصية،المصدر نفسه، ص305.

[3]- ابن عبد الوهاب:الرسائل الشخصية ،نفس المصدر و الصفحة

[4]- ابن عبد الوهاب:الرسائل الشخصية ،المصدر نفسه، ص17.

وكان من منهج ابن عبد الوهاب في كتابة الرسائل أيضا تخصيصه لرؤساء القبائل وزعمائها بالذكر والنصح كرسالته إلى ابن صياح وإلى حمدان التويجري ،وعبد الله بن سحيم وغيرهم من الوجهاء، وفي ذلك استمالة لقلوبهم من خلال إبراز مكانتهم الاجتماعية وحفظها لهم، وعدم التعرض لهم بالإهانة، وفيه وفي ذلك إقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال حين فتح مكة " ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، تحفظ لأبي سفيان مكانته وعزه بين قومه، ولم يهنه رغم قدرته عليه. كما أن في استجابة أولئك الزعماء استجابة لأقوامهم وقبائلهم، وكان ابن عبد الوهاب يعزز من تلك الرسائل بطلبه لزيارة تلك الشخصيات وكان يطلب ملاقاتهم كمجاملة لهم، وإبداء لحسن نيته معهم.

وكان ابن عبد الوهاب يعمل على تمتين العلاقات السياسية والديبلوماسية مع المشايخ والزعماء، فقد ذكر في إحدى رسائله التي بعث بها إلى محمد بن عباد أمير ثرمداء أنه قد وجه له عزيمة وطلب لقاءه فقال: " ولكن أشير عليك بعزيمة، وأنك تواصلنا، ونتذاكر معك" [1]، وهذا تعبير منه عن تواضعه في عرض دعوته من خلال دعوته للمذاكرة، فهو لم ينظر إلى المدعو بنظرة استعلاء وعلى أنه أعلم وأفقه من المدعو، بل إنه طلب منه لقاءه للمذاكرة والتناصح فيما بينهما، فكان يقدر مكانة الحكام، ومن لهم تأثير وكلمة مسموعة بين أقوامهم وأنه إذا حصل نوع من التفاهم والتحالف بينه وبينهم فإن في ذلك أثر كبير في نجاح الدعوة وانتشارها، فكان يختار العبارة الفائقة الاحترام، والمعبرة عن الود وإظهار المجاملة، وكان لا يتوقف عن الأمر بالتفخيم والدعاء بالعز في الداريين لمن ناصر دعوته[2]، وكان يراعي نفسية المرسل إليه ويجمع الأخبار والمعلومات عنهم ،فلا يتكلم إلا بما يسر خاطرهم، وقد يختار مسالك أخرى للوصول إلى أولئك الزعماء فيرسل إلى بعض العلماء في بلداتهم، أو للقضاة ومن لهم مكانة عند أولئك الزعماء [3]، ومن يمتازون بالنفوذ والمكانة الطيبة بينهم

[1]- ابن عبد الوهاب:الرسائل الشخصية ،مصدر سابق،ص86.

[2]-سليمان بن عبد الرحمان الحقيل،حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وحقيقة دعوته،مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر،المملكة العربية السعودية ،ط1 ،1999م،ص190.

[3]- ابن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،المصدر السابق، ص186.

وبين أهالي تلك القبائل كمراسلة لمطوع* الدرعية الذي كان يقر له بمكانته العلمية وبجلالة قدره وكان يكثر الثناء عليه[1].

ولم تشغله دعوته للأمراء وأصحاب النفوذ عن القيام بواجبه في النصح لعامة المسلمين، فكان يكتب رسائل ويضع عليها عبارة " إلى عامة المسلمين". وجاءت هذه الرسائل في أغلبها مختصرة وموجزة، ولم يكتب فيها ابن عبد الوهاب عن الفروع وإنما اقتصر على ذكر الأصول، وبسط وسهل وكان يقيم الحجة على كل من وصلته رسالته فيكتب قائلا: " رسالة إلى كل من تصل إليه من المسلمين"[2]، فكأنه يخبر بأنه أدى ما عليه من واجب تجاه المسلمين وأنه أعذر إليهم، وكانت مضامين تلك الرسائل تتقيد بما هو موجود في كتاب الله وفي سنة رسوله.

ولم تخلو رسائل ابن عبد الوهاب من الحدة في الطرح والغلظة في الخطاب في بعض الأحيان، فكان يوجه عبارات فضّة في بعض رسائله، ويوجهها لبعض الخصوم والأعداء الذين أنكروا الدعوة، واعتبروا أن العمل الدعوي الذي جاء به ابن عبد الوهاب ما هو إلا تدبير للاستيلاء على الحكم والاستحواذ على رداء المشيخة، فكان رده بقدر ما جاءت به هذه الاتهامات، ومعبرا عن انفعاله وغضبه، فكان يتهكم من أصحاب هذه الافتراضات مثل ما حدث مع عبد الله الحويس"[3].

لقد كان منهج ابن عبد الوهاب في إطلاق أحكام التكفير في رسائله قائما على التحري، وعدم تكفير من لم يكفره الإسلام، وذلك عكس" التهم التي ألصقت به، فكان يدعو إلى التثبت والتأكد من حال الرجل قبل أن يطلق عليه حكم الكفر، وعدم تتبع ما خفى من سرائر، وما أضمر

*-المطوع:هو لقب يطلقه سكان المملكة العربية السعودية على من يجاهر بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتولى مهام القضاء والفصل في النزاعات والخصومات.

[1]-عثمان ابن بشر:مرجع سابق،ص140.

[2]-محمد ابن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية ، مصدر سابق،ص

[3]-عبد الله الصالح العثيمين: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"،بحث مقدم ضمن مؤتمر أسبوع بحوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،مرجع سابق ، ص100.

من عقائد فقال: " من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض لا نكفره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفع بالظن وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه، ونحن لم نتحققه"[1].

كما تميزت رسائل ابن عبد الوهاب بالتنظيم والترتيب مع اعتماده على ترقيم الحجج والأدلة، ففي رسالته إلى سليمان بن سحيم ذكر القرائن التي تشير إلى جهل ابن سحيم بمعنى كلمة التوحيد، وكان يذكر كل قرينة على حدة، وسبقها بألفاظ الترتيب كقوله: " والوجه الأول:.....، أما الوجه الثاني....."[2]، وكذلك عند حديثه عن أدلة عناد واستكبار ابن سحيم، فكان يوردها بقوله: " أولا....، ثانيا.....، ثالثا.....[3].

وهكذا فقد كان هذا الترتيب يخدم خطابه الدعوي في إقناعه للمرسل إليه، أو إقامته الحجة على غيره ممن سيقرأ رسائله.

وكانت رسائله تعتمد على الأسلوب العلمي في طرح الإشكالات، وذلك من خلال اعتماده على منهجه التدرج، وكذا التناسق في الأفكار والترتيب الذي يساعد صاحب الرسالة على التوفيق في التطرق إلى العناصر الرئيسة وإحقاقا التوازن بينهما وبين طرح العناصر الثانوية في الرسالة، وكذلك اعتماده في الجانب المنهجي على طرح الأسئلة الإنكارية الذي تفيد معناه" أنه ما كان مهيأ للجواب بالنفي[4]، نحو قوله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾الروم: ٢٩،أي لا يوجد، وقوله

كذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾الشعراء: ١١١، أي لا نؤمن...

[1]-محمد ابن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية، مصدر سابق،ص24.

[2]- المصدر نفسه، ص72.

[3]- المصدر نفسه، ص226.

[4]-جلال الدين السيوطي:معترك الأقران في علوم القرآن، تح: أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1988م، ، ج1 ،ص328.

والاستفهام الإنكاري أسلوب استخدمه القرآن الكريم للاستهجان والإنكار على المخاطب وقد يقصد به كذلك التوبيخ، وقد وظفه ابن عبد الوهاب في رسائله الشخصية كقوله: " وأنت وأبوك تقولان أنكما تعرفان هذا، يقصد أنهما يعرفان أن الناس قبل مجيء الإسلام كانوا يجعلون وسائط بينهم وبين الله وقد وقعوا في الشرك بسبب هذه الوسائط، فإذا كُنْتُمْ تعرفونه فكيف يحل لكما أن تتركا الناس يكفرون؟. وأنتما تؤمنون أنه كفر وتعرفون ذلك[1]، وكذلك في تعقيبه على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مسألة الخوارج الذين يمرقون من الدين " لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، أينما لقيتموهم فاقتلوهم"[2]، فطرح ابن عبد الوهاب التساؤل الإنكاري التالي: أتظنهم ليسوا من أهل القبلة؟[3] أي ألا نظن أن هؤلاء الذين توعدهم النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا من أهل القبلة، رغم أن النبي أخبر أنهم أكثر الناس طاعة والتزاما.

ووجه الشاهد هنا في الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب، أن صاحب القبلة؛ أي من نسب لنفسه الإسلام بأداء الصلاة والتسمي باسم بالمسلم لا ينفعه ذلك في شيء إن كان قد جعل لله شركاء يظن بهم وينسب إليهم صفات يختص بها الله وحده كالرزق والتوفيق والحفظ.

وفي طرح التساؤل الإنكاري إعطاء فرصة للمسؤول لمراجعة النفس، وإعادة النظر في تصرفاته ومعتقداته، لعله يعود إلى رشده ويدرك قبح فعله. وللسؤال الإنكاري غرض آخر وظفه ابن عبد الوهاب في خطابه الدعوي، وهو " كسب رهان الحجاج" وذلك ببث الشك والريب في ذهن المسؤول، وهو أسلوب من أساليب التشهير بأخطاء الطرف الآخر، كون السؤال الإنكاري يأتي موجزاً وسهلا للتداول والانتشار بين الناس [4]، وقد يصبح من الأمثال والحكم لحجيته فيجعل من الناس يتطلعون إلى معرفة مناسبة ذلك التساؤل ويكون سببا في بلوغ الدعوة إليهم.

---

[1]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص228.

[2]- البخاري: صحيح البخاري، رقم: 7432.

[3]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص230.

[4]-عادل عبد اللطيف:خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مراكش، المغرب، 2005-2004، ص216.

كما اتسمت رسائله أيضا بثراء محتواها بالأساليب البلاغية كالقسم؛ نحو قوله: " بل والله ثم والله، ثم والله إن الأمر أعظم من ذلك"[1]، وكذا الاستفهام نحو قوله: " كيف تقول هذا وأنت تقرأ أن من جعل الوسائط كفرا؟"[2]، والتشبيه والسجع وغيرها من الأساليب الإنشائية والمحسنات البديعية التي أضفت على الرسائل الشخصية صبغة البلاغة والبيان.

لقد استوفت رسائل ابن عبد الوهاب الشروط الأساسية لقيام الحجج وخدمة الدعوة من خلال استخدام هذه الآلية والتقيد بالمنهج الإقناعي في مضامينها، وكانت الرسائل الشخصية بذلك من أهم وأنجع الآليات التي وظفها ابن عبد الوهاب في خطابه الدعوي.

المطلب الثالث: مجالس العلم:

كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب قائمة على تبليغ الناس العقائد التي قام كثير منهم بتحريفها، وابتدعوا سلوكات وعادات ليست من الدين، ليستغل أهل الزيغ والضلال جهل الناس وقلة علمهم بكتاب الله وسنة رسوله؛ ليبثوا في الناس تلك الاعتقادات ويلصقوها بالإسلام، ويسهل عليهم التحكم في عقولهم والتمكن من قيادتهم وتوجيههم حيث ما شاءوا، ومع ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب في منطقة نجد، وتسلحه بالعلم الشرعي الذي اكتسبه في فترة تكوينه وتلقيه العلوم الشرعية عن مشايخه في صغره وشبابه، فإنه سعى بذلك إلى إجلاء تلك المعتقدات البدعية المفضية إلى الشرك بالله تعالى، فسعى إلى تعليم الناس، وتبين ما ورد في الكتاب والسنة من وعيد وزجر لمن اعتقد بصحة تلك المفاهيم، " فعكف بعد استقراره في الدرعية على التدريس كعادته – فقد درس في البصرة وحريملاء، والعيينة قبل ذلك" [3]، وكان يقضي أوقاتا كثيرة في تعليم الناس ومع أنه أصبح في

[1]– محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص240.

[2]– محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق،ص228.

[3]–سليمان بن عبد الرحمان الحقيل: مرجع سابق، ص59.

ظرف وجيز المرجع الأعلى للعلوم الشرعية – في منطقة نجد- إلاّ أنه ظل يضل يُعلِّم ويُؤلِّف الكتب ويناقش المسائل العقدية"[1].

ولم يتوقف عن طلب العلم مع ارتقائه للتدريس، وتبحره في بعض العلوم الشرعية، فكان يدرس الفقه الحنبلي والعقائد واللطائف التي كان يذكرها ابن تيمية وابن القيم والمستخلصة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة الصالح وكان يجتهد في: " تعليم الواجب، ويؤكد على بذل المناصحة للعام والخاص، وبنشر شرائع الإسلام، ويمهد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويزيل ما تم تغطيته بران الشرك من السنن والواجبات وكان يدعو إلى تجنب الغلول والخيانة" [2]، ومع ابن عبد الوهاب كان يرى بوجوب القيام بالنصح والدعوة باستعمال القوة والسيف"[3].

و كان ابن عبد الوهاب يدعو إلى الله أيضا عن طريق البحث عن تصحيح المسار العلمي والتربوي، فعمل على بناء أجيال تتصف وتمتاز بتعلمها لأمر دينها ومراد شرعها الحنيف، وتعرف ضوابط معتقدها وتحصن دينها عن طريق تحصيل العلم، فكان منهجه التعليمي قائما على: " تحفيز الناس على طلب العلم من خلال عدم تقاضيه أي أجر مادي مقابل تعليمهم؛ بل إنه كان يشجع على طلب العلم بتوفير قسط من أموال بيت المسلمين للطلبة كنفقة جارية لهم [4]، وقد كان يقوم بواجب التعليم في العيينة " أين انتظم في مسلكه رجال فحول قرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم منهج الدعوة إلى الله أتم التحقيق؛ فكان يدرسهم التوحيد وينصح لهم بأسلوب سديد، ويزجر الناس عموما وطلبة خصوصا عن الشرك والفساد، ويكشف الشبهات لطلبته ويدحض المفتريات وحذر الجميع طلبة كانوا أم من عامة المسلمين"[5].

---

[1]- أمين الريحاني:مرجع سابق، ص44.

[2]- ابن غنام: مرجع سابق، ج1، ص213.

[3]- أحمد بن عبد العزيز بن محمد البسام: الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية، دارة الملك عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية،، ط1، 2005، ص271.

[4]- المرجع نفسه،ص285.

[5] ابن غنام: روضةالأفهام،مرجع سابق، ص28.

إن المراجع التاريخية التي عنيت بدراسة شخصية محمد بن عبد الوهاب لم تتطرق إلى صفة تدريس ابن عبد الوهاب وهل اتخذ مساجد أم مدارس كمراكز تعليمية ومع أن المؤرخين لم يوردوا ذلك إلا أن الراجح عندنا – بعد استقرائنا لسيرته الدعوية- أن ابن عبد الوهاب كان كثير التنقل بين مناطق نجد وقبائلها، فهو لم يكن يعتمد على مركز تعليمي واحد، بل إنه اتخذ من أماكن مختلفة مواطن للتدريس والتعليم، ومع ذلك أنها – أي المصادر التاريخية- لم تورد هذا الأمر إلا أنها أجمعت على دور ابن عبد الوهاب التعليمي، وما قدمه للأمة من نصح وتعليم لشرائع الله، وما قدمه من آثار لازالت محفوظة إلى يومنا هذا.

إن محمد بن عبد الوهاب لما تحالف مع محمد بن سعود، واتفق كل طرف على نصرة الآخر فإن ابن سعود قد سلم الإمامة والمشيخة لمحمد بن عبد الوهاب ولذريته من بعده[1]، وفرض على قومه أن يتبعوا ابن عبد الوهاب، وأن يجعلوه إماما عليهم ومرشدا أو شيخا لهم يرجعون إليه في أمور الدين والفتيا، ونظرا لجهوده التعليمية ومجاهدة في تعليم الناس فقد ألصق لقب الشيخ به وبذريته من بعده وحفظت لأسرته مكانتها العلمية.

لقد كان ابن عبد الوهاب مع كثرة مشاغله السياسية والإسلامية يخصص وقتا كثيرا للتلاميذ والطلبة " فكان يدرسهم بالليل الحديث والفقه والعقيدة، ويترك لهم النهار لاكتساب الرزق وتحصيله، وذلك في بداية الدعوة أين كانت الموارد المالية قليلة وكانت إمارة ابن سعود لا تملك من الأموال ما يكفي لسد احتياجات الطلبة"[2]، وفي ذلك حث من ابن عبد الوهاب لطلاب العلم على الجمع بين طلب الرزق وطلب العلم، وعمد ابن عبد الوهاب على تهيئة وتحصين طلاب العلم من العقائد الشركية، وعلمهم العقائد الصحيحة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولأمته قبل وفاته. وجعل العلم والمعرفة سببا في قيام الاحتساب وشرطا ضروريا لذلك فقال: " لا يتأتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يكون للطالب علم بالمنكرات الظاهر وبأدلتها الشرعية فلا يحكم

[1]- عثمان ابن بشر: عنوان المجد،مرجع سابق، ص43.

[2]- المرجع نفسه، ص44.

على أمر بأنه منكر، إلا إذا قام عليه دليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بإجماع المسلمين"[1].

كان المنهج التربوي والتعليمي للخطاب الدعوي الذي كان يلقيه ابن عبد الوهاب على طلبته يتضمن الشق النظري الخاص؛ بذكر الأدلة الشرعية وما تضمنته العلوم الدينية من المعارف والأحكام، والنصوص والأدلة ،والشق العلمي الخاص؛ بإعداد الدعاة وتكوينهم وتدبيرهم على خوض غمار الحسبة. وكذا دعوة طلبته على تطبيق ما تعلموه ودرسوه فذكر: " أن شروط الحسبة أن يكون العلم مطابق للأمر"[2].فيعمل الداعية على ما يعلمه وأن يتجلى بالصفات والأخلاق الفاضلة التي يدعو الناس إليها وأن يمثل أدب الإسلام في حياته ومعاملاته وحركاته وسكونه، وهذا التطبيق العملي للمكتبات العلمية لا يقتصر على الأفعال والمعاملات، بل إنه يشمل كذلك المعتقدات.

وقد كان يعطي دروسا ويختبر فيها مدى فهم طلبته لدروسه ومدى قابليتهم لتطبيق تلك المعارف في حياتهم، " فاختبرهم مرة في مسألة التوحيد وذلك في الدرس الذي كان يقيمه بعد صلاة الفجر فقال لهم في أول الدرس: " لقد سمعت الليلة ضجة في أحد أحياء المدينة وصياحا، فما ترون قد حصل فاهتموا لما قاله لهم شيخهم، وقالوا: لعله لص أو مجرم أو شخص أراد الاعتداء على أعراض الناس، وفي اليوم التالي سألهم هل عرفتم الأمر؟ وماذا ترون جزاؤه، قالوا لم نعرف ولكن يجب أن يجازي بأقصى العقوبات الرادعة، فقال لهم شيخهم مهونا الأمر: أما انا فقد عرفت ذلك أن امرأة نذرت أن تذبح ديكا للجن إن عوفي ابنها من مرض ألمّ به، وقد عوفي فتعاونت مع زوجها على ذبح ذلك الديك ولما همّوا بذلك هرب منهم، وصاروا يلاحقونه من سطوح المنازل حتى أمسكوه، وذبحوه دون تسمية الجن، كما أخبره بذلك أحد المتعاطفين للساحر، فهدأت ثائرة الطلاب، فلما رأى هذا منهم قال: " إنكم لم تعرفوا التوحيد الذي درتم فلما كانت المسألة يعاقب عليها الشرع بالحد الموضح نوعه في كتب الفقه أهمكم الأمر وتحمستم له، ولما أصبح الموضوع يتعلق بالعقيدة هدأتم بينما الأمر الأول معصية والثاني شرك، والشرك يقول

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ

[1]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية – الرسالة الخامسة والثلاثون-،مصدر سابق، ص240.

[2]- محمد ابن عبد الوهاب:المصدر نفسه،ص241.

﴿ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾النساء: ٤٨، ثم عقب بعد ذلك وقال: " سنعيد درس التوحيد من جديد"[1]، فجعل ابن عبد الوهاب من التعلم منهجا حيويا لحفظ الممارسات وضبط السلوكيات والمعتقدات، وجعل من دروسه مركزا لتكوين أجيال تتحلى بالأخلاق الإسلامية وتبعث بالإسلام وللإسلام كون أجيالا متشبعة بالفكر السني لم يقتصر تعليمها على حفظ المادة العلمية في الأذهان وإنما كان يلقنهم العلم والعمل والاعتقاد معا، ليصبح كل ما تعلموه في حلق الذكر واقعا عمليا.

وهذا هو منهج الداعية الناجح الذي يهتم بتطبيق الأخلاق والعقائد الإسلامية بين الناس قبل أن يهتم بتعليمهم وتدريسهم الكتب والمتون وقد كان نهج النبي صلى الله عليه وسلم كذلك في القرآن فقد نزل منجما ومفرقا" وكان الصحابة في أثناء ذلك ومن بعد نزوله، يحفظون الشيء اليسير منه ولا يتجاوزونه حتى يتعلموا حلاله وحرامه ويعلموا به، فجمعوا بين العلم والعمل"[2].

فالعبرة في التعليم وفي الدعوة هي تطبيق دين الإسلام وإحياء السنن والتزام الناس بما أمرهم الله به والانتهاء عن ما نهوا عنه، والدعوة سبب في حصول الأجر والثواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم "، فربط العمل الدعوي والإصلاحي وهو القائم على النصح والتعليم والإرشاد بالهواية، والهداية هي شيء عملي، والدعوة تتطلب أيضاً العلم،فحصول الأجر والثواب العظيم، القيام بالعملية الدعوية والرسالة الإصلاحية على أكمل وجه يستلزم الإتيان بشروط وأسباب النجاح الدعوي وهو الجمع – كما أسلفنا سابقا– بين العمل وبين العلم.

وكان ابن عبد الوهاب يتحمل مؤونة تعليم طلبته، وينفق عليهم ما يحتاجونه وما يغنيهم عن التفكير والانشغال عن طلب العلم، " فعندما تم فتح الرياض كان في ذمته أربعون ألف ليرة نجدية

[1]–عمر سليمان الأشقر: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب باني دولة ومنشئ أمة،دار النفائس،الأردن،ط 1،2009م، ص74.

[2]– عمر سليمان الأشقر ،المرجع السابق ،ص80.

قضاها من غنائم الفتح، فما كان منه إلا أن أنفقتها كلها في سبيل الدعوة والتعليم، وأعطى للطلبة ما يحتاجونه من أموال ليعيلوا بها أسرهم"[1].

رابعا:تلاميذه:

نتج عن المنظومة الدعوية التعليمية التي أسسها ابن عبد الوهاب في منطقة نجد مجموعة من خريجي المدرسة الوهابية عرفوا فيما بعد بالعلم والدعوة ومن بينهم : أبناء محمد بن عبد الوهاب، وهم: " حسن، عبد الله*، والابن الأكبر علي وابنه إبراهيم كذلك ورجال علم آخرون منهم : عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين، وحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، ومحمد سويلم" وقد تولى أغلبهم القضاء والفتيا، وقد بلغ عدد الذين تخرجوا من مدرسة ابن عبد الوهاب والذين أخذوا عنه العلم حوالي مائتين عالما".

وقد ساهم منهجه العلمي في تدريس الكثير من النوابغ الذين حملوا من بعده مشعل التعليم والدعوة، وساهموا بقسط كبير في نشر تعاليم الدين الإسلامي وإحياء سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومحاربة البدع والخرافات التي كان يدعو إليها الجهّال، وكانوا سببا في امتداد ونشر دعوة ابن عبد الوهاب في باقي أراضي المملكة العربية السعودية وخارجها من الأراضي والبلدان الإسلامية الأخرى.

المطلب الرابع :المناهج الدعوية المستخدمة في الخطاب الدعوي عند ابن عبد الوهابتميز المنهج الدعوي لخطاب محمد بن عبد الوهاب باستخدام لمناهج الدعوة الثلاثة – المنهج العقلي والمنهج الحسي والمنهج العاطفي؛ وقد كان لكل منهج من هذه المناهج خصوصيته وميزته .:

أولا:المنهج العقلي:

[1] – مسعود الندوي : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، تر : عبد العليم السبتوي،محمد تقي الهلالي، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1986، ص48.

* – عبد الرحمان بن قاسم: الدرر السنية، ط،المملكة العربية السعودية،ط1996،6ج12، ص45.

وظف محمدبن عبد الوهاب المنهج العقلي في إثبات مسائل العقيدة، فكان يستنكر مسألة التّوجه أول الأمر بالتدبر والنظر إلى السنن الكونية التي أودعها الله في خلقه للبلوغ إلى مرتبة الإيمان وتثبيت العقائد، وهو في حقيقة الأمر لا يسقط هذا التوجه بتاتا – وهو مبحث التدّين الفطري– وإنما يرى أن استخدام العقل يكون قبل النظر والحسّ في تثبيت معالم العقيدة، وأن الاستدلال بالحس أولا هو وجه من أوجه الطرق " الكلامية والفلسفية التي استنكرها ابن تيمية وابن القيم اللذين يريا أن الاستدلال بأن أول واجب على كل إنسان هو النظر والتدبر في الآيات الكونية للتوصل إلى معرفة الخالق، ما هو إلا استدلال فلسفي يحيد بالمسلم عن تعلم دينه وعقيدته، ويضله عن الطرق المؤدية لمعرفة ربه[1].

فمنهج معرفة العقيدة ومعرفة الرب تكون بالعلم والمعرفة والبحث واستخدام ملكات العقل المتمثلة في البحث عن الأدلة الشرعية والتي تخضع كلها للعقل والعلم،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾محمد: ١٩أقام الحجة واستخدم المنهج العقلي في إثبات مسألة توحيد الألوهية، فربط بين الآيات القرآنية التي تدعو إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة كقوله

ٱتَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾البقرة: ١٦٣ا، وبين الآيات التي تحذر من ارتكاب الأعمال الموصلة إلى الشرك؛ كتعلق القلب وحب شيء ما بشدة والارتباط به ظنا منه أنه يدفع الضر يجلب النفع فقال: " لقد ذكر القرآن أن أولئك الكفار مع أنهم يحبون أندادهم كحب الله فهذا دليل على أنهم يحبون الله"[2]، وهذا الحب – أي حبهم لله– لم يشفع لهم كونه لم يكن متعلقا بالله وحده، بل إنه اقترن بحب غير الله، وحب الأنداد الذين جعلوهم في مرتبة الألوهية وطرح التساؤل التالي: إن كان حبهم لله مع حبهم للند أخرجهم من دائرة الإسلام، فكيف بمن أحب الندأكبر من حبه لله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده"[3].

[1]– محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص16.

[2]– محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد،مصدر سابق ص24.

[3]– محمد بن عبد الوهاب:كتابالتوحيد،المصدر نفسه، ص25.

ومن استخدامات المنهج العقلي في خطاب ابن عبد الوهاب الدعوي كذلك التماشي مع القدرات الذهنية والمدركات الفكرية للمدعوين، فيبدأ ابن عبد الوهاب خطابه من منطلق التحدث بالمسلمات وكل ما هو محل اتفاق وإجماع بينه وبين خصومه، ثم يضع وجه التشابه بين تلك المسلمات وبين المسائل العقدية التي يريد إثباتها، ومن ذلك قوله في مسألة الثقافة، ووجه العلاقة بينها وبين القبلة فذكر قائلا: " مسألة القبلة، وهي محل إجماع بين كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهناك قبلة أخرى هي غير قبلة المسلمين، وهي قبلة أهل الكتاب وهي إلى بيت المقدس، فهي محل خلاف إذن بيننا وبينهم"، ولو أن رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يُقر بقبلة المسلمين وبوجهتها، ولكنه يكره من يستقبلها، ويحب ويوالي من يستقبل قبلة أهل الكتاب" [1]، ثم طرح التساؤل التالي: " هل تظنون أن هذا مسلم؟". وذكر وجه الدلالة بعد ذلك بين مسألة الإنكار على من يستقبل القبلة رغم تسليمه بوجوبها وبين مسألة الشفاعة فقال: " وهذا ما نحن فيه، فالنبي بعثه الله بالتوحيد، وأن لا يدعو مع الله أحدا، والنصارى يدعون الله ويدعون معه النبي عيسى، ويدعون الصالحين، ويقولون ليشفعوا لنا عند الله، وما يعرف عندهم بعقيدة الخلاص، فعلينا إذن أن نجعل التوحيد مثل القبلة – أي أن نؤمن به ونعمل به ولا ننكر على من أقام التوحيد، بل إن التوحيد أعظم من القبلة، والشرك أخطر من اتخاذ قبلة النصارى"[2].

لقد حرص ابن عبد الوهاب على العناية بالعقل بتوفير كل أسباب حمايته واستقامته والعمل على رصد كل ما من شأنه التأثير على سلامته وحدة النظرة الثاقبة من ابن عبد الوهاب أوصلته إلى نتائج مثمرة وغايات محمودة، فلا شك أنّ هذه وسائل حفظ الأمن الفكري الإقناع العقلي والحجة العملية التي ينتج عنها التسليم لأمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

---

[1]– محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص109.

[2]– مصدر سابق، ص110.

[3]–عابد بن مسفر العقيلي: الأمن الفكري في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وآثاره، دراسة عقدية، دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، 1435هـ، 1436هـ، ص326.

ثانيا:المنهج الحسي:

وظف ابن عبد الوهاب المنهج الحسي في خطابه الدعوي، وقد أورد ابن عبد الوهاب أمثلة ووقائع قربت المعاني، وبسطت المفاهيم للوصول إلى إثبات التوحيد وإقامة الحجج على المفهوم وعلى جميع الناس، ومن ذلك ما أشار إليه ابن عبد الوهاب في مسألة الإخلاص وعلاقته بترك الشرك فقال: " أن الإنسان الذي يصلي الليل والنهار، ويتصدق بالأموال، ويعمل الأعمال لكن دون إخلاص فلا فائدة في عمله؛ لأنه لابد من الإخلاص، والإخلاص دليل على ترك الشرك وإفراد الله بالعبادة، واستدل في ذلك بحديث البطاقة المكتوب عليها: " لا إله إلا الله" [1] وكيف رجحت تلك البطاقة أمام السجلات المليئة بالمعاصي [2]، وغير ذلك من الأمثلة الحسية التي تقرب مفاهيم غيبية وتقيم الحجج على الناس في إعلامهم بأهمية التوحيد وخطر الشرك، وقد كان هذا المنهج موجها لكل فئات الناس وشرائحهم على اختلاف مداركهم ومستوياتهم.

و قد اتصف منهج ابن عبد الوهاب الحسي بالبساطة في الطرح، والوضوح في المعنى والهدف كما اتسمت أيضا بإقامة الحجة من خلال اعتماد هذا المنهج على ما ورد في القرآن الكريم والسنة اللذين يعتبران أقطع وأظهر حجة.

شمل المنهج الحسي قي خطاب ابن عبد الوهاب الدعوي مواطن أخرى لاستمالة وجذب المدعويين وإقناعهم بمبادئ التوحيد الصحيحة من خلال اعتماد على الترغيب إلى الإيمان بأركان ومبادئ العقيدة السليمة كنيل السعادة والفوز في الداريين ،ووعد أتباعه بالمزايا والهدايا وكل أولئك الذين أرادوا إتباع منهجه العقدي والسياسي كان قد أجزل لهم العطايا " ووعدهم بالنصر والتمكين وسعة الرزق".

ثالثا:المنهج العاطفي:

[1] – الترميذي: الجامع الكبير، تح:بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م، رقم: 2639.

[2] – محمد بن عبد الوهاب:مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب،تح:عبد العزيز الرومي وآخرون،قسمالعقيدة،كتاب: الأصول الستة،جامعة الملك فهد،اللملكة العربية السعودية،ط1،د.ت،ص5.

استخدم ابن عبد الوهاب المنهج العاطفي في دعوة أهالي نجد للإيمان بالغيبيات التي أثبتها الله ورسوله في كتابه، فذكر ابن عبد الوهاب أنه من شروط إقامة التوحيد الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت؛ كالإيمان بضمة القبر ونعيمه وعذابه، وبإعادة الأرواح إلى الأموات، وأنه متبع غير مبتدع في الدين عقيدته ودينه الذي يدين به الله هو مذهب أهل السنة والجماعة، وما كان عليه أمر الأئمة المسلمين كالأئمة الأربعة"، وفي ذلك استمالة لعواطف الناس وجذب لهم بحكم إتباعهم وتسليمهم بهذه الثوابت، فطمأنهم أن الدعوة التي جاء بها لا يمكن ان تكون مخالفة لما أمر الله به كونها جاءت على خطى منهج السلف الصالح.

وذكر ابن عبد الوهاب أن العقل البشري مهما بحث واجتهد وبلغ من الفطنة والذكاء، فإنه لا بد له بأن يتصف بمحدودية علمه، ذلك العلم البشري الذي لا يمكن أن يدرك ولا أن يحيط بالعلم الرباني الإلهي ذو العلم المطلق الذي لا ريب فيه ولا نقص ومهما حاول الإنسان بعمله الاستكشاف والتقصي، فإن هناك حدودا ينتهي عندها علم البشر ويتوقف عندها إدراكه، ومن ذلك الأمور الغيبية التي خصها الله به رسوله وأمته؛

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾آل عمران:١٧٩وهذه الأمورالغيبية مع أنها تكريم ورحمة لهذه الأمة إلا أنها مع ذلك ابتلاء لهم وامتحان لهم من حيث الإتباع والاقتداء، فهي أمور لا يجوز الخوض فيها أو الإدلاء فيها بآراء وتخمينات، بل إن الواجب الشرعي نحوها هو الإيمان بالقلب والاعتقاد اليقيني الذي لا ريب فيه ولا شك، وقد كان ابن عبد الوهاب يدعو إلى التصديق الجازم بهذه الغيبيات ومحل ذلك التصديق القلب، ويحذر من إدخال الشك إلى ذلك القلب الذي قد يؤدي إلى ضياع دين المرء. والإيمان القلبي طبعا لا ينافي طلب العلم والبحث في الأدلة الشرعية عن كل ما ورد من حقائق في تلك الغيبيات، بل إن كلا منهما يكمل الآخر وكل واحد منهما له خصوصياته وميزاته.

إن الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب تميز بالتنويع في توظيف المناهج الدعوية الثلاثة، وهذا أبرز جهوده الدعوية المبذولة في نشر رسالة التوحيد والدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: المقارنة بين آليات ومناهج الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب

المطلب الأوّل: أوجه التشابه:

تمثلت أوجه الاتفاق بين آليات ومناهج الخطابين فيما يلي:

1-الجمع بين المعارف العلمية ومحاولة تطبيقها اعتقادا وعملا في وسط المجتمعين النجدي والجزائري، مثال ذلك حادثة ابن باديس في الدرس الخاص بالبناء وكيف أقنع الحاضرات بإعمال الجهد وربط الأسباب مع إحقاق التوكل والاعتماد على الله في كل الأعمال والممارسات اليومية، وعدم التكاسل والتراخي ،واتهام القضاء والقدر بما يحصل للإنسان من أذى كان سببه الإفراط والتقصير، وأما عند ابن عبد الوهاب فإنه كان يربط المسائل العقدية بالممارسات اليومية والواقع المعيش في بيئته وعصره ومثال ذلك: الدرس الخاص الذي ألقاه على مسامع طلبته ليوضح لهم جرم وقبح الشرك والاعتقاد الباطل، وانه أكبر قبحا من ارتكاب الكبائر، حتى وإن بدا للكثير من الناس أن الاعتقاد ببعض الممارسات يعتبر شيئا من العادات، وأن ذلك يؤدي إلى كفرهم أو خروجهم من ملة الإسلام؛ لأنه – حسب اعتقادهم- لم يقصد أن يجعلوا بممارستهم تلك أنداد الله، وقد وضح ابن عبد الوهاب تلك التصورات الخاطئة وخطرها على العقيدة وعلى الدين.

2-إقحام المجال السياسي في الخطاب الدعوي: لقد اعتمد كل منصاحب الخطابين على نشر الدعوة والإصلاح الديني بواسطة المشاركة السياسية وعدم الاكتفاء بالإصلاح الديني

والتعليمي، وقد ساهمت الآليات السياسية لكل من الخطابين في نشر وتوسيع نطاق الدعوة، واستمالة وجذب الكثير من المدعويين إلى الإقرار بصدق دعوته ووجوب إتباعها.

3-استخدام وتوظيف المناهج الدعوية الثلاثة : وظف ابن باديس و ابن عبد الوهاب المنهج العقلي، الحسي والعاطفي، و عملا على الجمع بينها، وعدم الاقتصار على منهج واحد كون الخطاب الذي قدمه كل منهما تم توجيهه لكل شرائح المجتمع.

4- اعتمد كل من ابن باديس و ابن عبد الوهاب المناهج الدعوية لنشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والتأسي بأخلاقه وشمائله، وكذا الرجوع إلى القرآن الكريم في عرض المناهج والمضامين الدعوية خاصة.

5- برز دور المساجد ومراكز التعليم القائمة على منهج السلف شكلا ومضمونا في نشر الدعوة الإصلاحية لكل من ابن عبد الوهاب وابن باديس وبركة تلك المجالس والحلق سمحت بالحفاظ على التراث الإصلاحي والعلمي لكل منهما حتى بعد وفاتها.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

1-يعتبر المسجد الدعامة الأولى والركيزة الأساسية للخطاب الدعوي الباديسي، وقد شكلت هذه الدعامة وهذه الآلية منبرا مفتوحا لابن باديس لعرض مختلف المضامين والإشكالات الدعوية والتحدث فيها دون قيود، وشكلت المساجد كذلك أبرز المراكز الدعوية التي خدمت الرسالة الدعوية من خلال أدائها للمناهج الدعوية العامة؛ خطب منبرية، درس التفسير ودروس النساء وقيامها بمناهج الدعوة الخاصة – تلك المخصصة لطلبة العلم والنخب- مثل مقررات التعليم ورسائل الإصلاح التربوي والتعليمي لكبرى مراكز التعليم الإسلامي كجامع الزيتونة.

بينما كانت الرسائل الشخصية الموجهة لأمراء وأعيان منطقة نجد وعلاقة ابن عبد الوهاب بالسلطان هي الركيزة الأساسية للخطاب الدعوي الوهابي، ذلك أن علاقته الجيدة والمتينة مع عثمان بن معمر ومحمد بن سعود ساهمت في الجهر والإعلان بالدعوة الإصلاحية التي جاء بها ابن عبد

الوهاب، وإنفاذ مضامينها وحمل الناس على تطبيق ما جاء فيها من أحكام وحدود، إضافة إلى عنصر هام في الخطاب الدعوي وهو استقطاب المدعويين إلى الاستماع لمضامين الرسالة الدعوية، بل إلى حملهم على إتباعها وفرض ذلك الأمر على عامة الناس وإعلان ابن عبد الوهاب كإمام مرشد أعلى للدعوة والإصلاح في المنطقة بأمر من الأمير.

2-اعتمد الخطاب الدعوي لابن باديس على آليات حديثة وعصرية مثل المجلات والنوادي والجمعيات واستخدامه بمناهج علمية جديدة كالمناهج السياسية والثقافية والتعليمي شكل عامل مساعدة لنشر الخطاب الدعوي، وذيوع الرسالة الإصلاحية التي قدمها ابن باديس وأعطى صورة حسنة لديناميكية الإسلام والخطاب الدعوي وأزال مفهوم الجمود الذي نسبه الكثيرون للإسلام على انه دين يتعلق بإقامة الشعائر في دور العبادة ولا يتجاوز تلك الدور إلى حياة وواقع الناس، بخلاف الخطاب الباديسي فإن خطاب ابن عبد الوهاب وإن اعتمد هو الآخر على توظيف المنهج السياسي في خدمة الدعوة والاستعانة بالحاكم في ذلك، إلاّ أن المناهج المتخذة في تطبيق مضامين الخطاب الدعوي كانت تقتصر على المناهج التقليدية والموروثة من القرون الأولى للإسلام وذلك راجع طبعا إلى طبيعة المجتمع النجدي والبيئة الثقافية والعلمية التي كانت سائدة آنذاك، والتي غاب عنها الكثير من الآليات والمناهج العلمية الجديدة، ولم تصل إليها بعد.

3-العلاقة مع السلطان والحاكم: مثل السلطان والحاكم في تجربة ابن باديس الدعوية عنصر تشويش، وعامل مثبط للرسالة الدعوية، كونه يعتبر من أعداء الدعوة الإسلامية، والتي تمثل خطرا على بقائه وبسط نفوذه في الجزائر، وقد كان تعامل ابن باديس مع الحاكم متغيرا بحسب الظروف والأحوال، فتارة يظهر له الود والتقدير كقوله: " ... وقد أدرك ببصره الثاقب" – يقصد حاكم فرنسا–، وقوله: " قد علم جنابه" [1]، وقوله: " فالأمة الجزائرية المخلصة لفرنسا..." [2]، وذلك لحماية المؤسسات الدعوية للخطاب الباديسي بالجمعيات، والنوادي، والصحف وخوفه على مصادرتها

[1]- ينظر: عبد الحميد بن باديس: حول خطاب سمو الوالي العم ،الشهاب ،ع231،- 25 رمضان، 1344، 8 أفريل .1926م

[2]- عبد الحميد ابن باديس: حول خطاب سمو الوالي العام،المصدر نفسه.

وتوقيفها وتارة يجهر بالعداء والقطيعة وحمل الجزائريين على ذلك، وأنها مصدر – أي السلطات الفرنسية– مصدر شقاء العب الجزائري ومثال ذلك ما قاله: " هل آن الأوان لليأس من فرنسا؟"[1].

وأبرز في مقالاته موقفه القائم على أن الوطن قبل كل شيء وفوق كل اعتبار، بينما مثل السلطان والحاكم عامل رئيسي في اكتمال الرسالة الدعوية وكانت علاقة ابن عبد الوهاب مع الحاكم في غاية الود والاحترام، وقدمت تلك العلاقة الكثير للخطاب الدعوي وللتجربة الإصلاحية وقلصت الكثير من الجهود على صاحب الرسالة الدعوية وكانت الدافع الرئيس، والحامي لحصن الدعوة، فكانت بذلك معاملة ابن عبد الوهاب للحاكم قائمة على الولاء والطاعة ودعوة الناس إلى الدخول في ظل صاحب الإمارة فكانت بذلك علاقة السلطان والداعية علاقة وظيفة تكاملية خدم كل واحد منها الآخر.

[1]– ابن باديس:"هل آن أوان اليأس من فرنسا"،الشهاب،ج6،م13،غرة جمادى الثانية 1356هـ-أوت 1937م.

خاتمة الفصل:

رغم أوجه الاتفاق القائمة بين الخطابين الدعويين واعتمادهما على نفس المصادر الشرعية في تأصيل دعوتهما إلا أن لكل مدرسة دعوية منهما خصوصية وميزة في تطبيق المناهج الإصلاحية وكيفية توظيف الآليات الدعوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

خصائص الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب

تمهيد

المبحث الأوّل: خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس

المطلب الأوّل: خصائص متعلقة بمضمون الخطاب الدعوي – الرسالة –

المطلب الثاني: خصائص متعلقة بصاحب الخطاب الدعوي – المرسل –

المبحث الثاني: خصائص الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب

المطلب الأوّل: خصائص متعلقة بمضمون الخطاب الدعوي – الرسالة الدعوية–

المطلب الثاني: خصائص متعلقة بصاحب الخطاب – المرسل الدعوي–

المبحث الثالث: المقارنة بين خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب

المطلب الأول: أوجه التشابه

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد دراستنا لمضامين الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب، والآليات والمناهج الدعوية التي سارت وفقها تلك المضامين، فإننا سنتطرق الآن إلى التعرف على الخصائص والمميزات التي عرف بها كل خطاب.

ولا شك أن كل من الخطابين قد تفرد بخصائص وعرف بمميزات ساهمت بقدر كبير في الحفاظ على أبجديات الرسالة الدعوية التي خطها كل من المصلحين، ولا ريب أيضا أن هذه الخصائص لم تنحرف عن الأطر الشرعية، بل إنها كانت مستقاة من الأصول الإسلامية التي عرف بها الخطاب الدعوي، فقد قامت وارتكزت على أساليب ووسائل إسلامية، ومن هذه الخصائص ما كان متعلق بالرسالة الدعوية في حد ذاتها، وما حوته من مضامين إصلاحية وتبليغية، ومنها ما كان متعلق بمرسل الخطاب الدعوي والسمات التي اتصف بها.

المبحث الأول :خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد ابن باديس :

المطلب الأول:خصائص متعلقة بمضمون الخطاب الدعوي–الرسالة –

أولا: الشمولية:الشمولية من أهم خصائص الخطاب الإسلامي، ومن خصائص الشريعة الإسلامية وهي تعني أن هذا الخطاب الدعوي الإسلامي يجب أن تكون مضامينه شاملة لكل مناحي الحياة باختلاف جوانبها ومجالاتها، و تستمد هذه الخاصية من قوله تعالى:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ الأنعام: ١٦٢

" أي عبادتي كلها وقرباني، وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة، أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير خالصة له وحده"[1]، فكل لفظة يتلفظها المسلم، وكل حركة وكل سكون ينبغي أن يقصد بها وجه الله، ومنه فإن الدعوة إلى الله لا تتقيد بأداء عبادات لا تخرج عن مجال المسجد، ولا هي مقتصرة على اعتقادات تكون منحبسة في القلب، بل

[1]– ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح قيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1 ، 1418هـ، ج2، ص191.

إن الدعوة تمتاز بالحيوية والتواجد في مختلف المجالات، وبالتالي فهي تفرض على الداعية اقتحام عالم الناس ومخالطتهم ومعرفة مكامن الخير فيهم لتشجيعهم على المداومة عليه، ومعرفة مكامن الشر لنصحهم باتقائه، وبين هذا وذاك فإنه على الداعية الصبر على أذيتهم في سبيل الدعوة إلى الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» [1].

فمخالطة الناس والتعامل معهم يجعل من الإسلام حيا ومتواجدا في حياتهم، بل يجعلهم يعيشون في الإسلام. وعلى ذلك فإن الدعاة الناجحين يقتحمون عوالم الناس ويعيشون واقعهم ويبحثون من خلال ذلك عن حلول لإشكالاتهم الدينية والدنيوية وقد ذكر الطبري في تفسيره عند وقوفه على آية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ النحل: ٨٩، أن الله تعالى أنزل على عبده هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه حاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب، وأن فيه بشرى وهداية لمن اتبعه، ووعيد وعقاب لمن أعرض عنه"[2]، أي بمعنى أن الإسلام والدعوة بصفة عامة يشملان كل مناحي الحياة، وأنه لا توجد قطيعة بين الدين والدنيا وبين الداعية وعامة الناس، وقد كان الخطاب الدعوي الباديسي متبعا ومقلدا لخطاب الشريعة الإسلامية، وتجسد هذا الإتباع والتقليد في مضامينه، مناهجه، وسائله، صفاته، وشمائله ،فكان الخطاب الباديسي يتسم بخصيصة الشمولية ،أين جاء خطابه الدعوي موجها للمسلمين يذكرهم بعقائدهم ودينهم، ويفصل لهم ما ورد في كتاب ربهم وسنة نبيهم، كما جاء أيضا موجها لغير المسلمين يدعوهم إلى الدين الإسلامي الحق، ويدعو في ذلك المسلمين إلى عدم التخلي عن هذا الواجب وهو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، فذكر في تفسيره لآيتي سورة المائدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

[1]- الترميذي، صحيح الترمذي،مصدر سابق، ص2507.

[2]-محمد بن جرير الطبري:جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق:عبد الله التركي،دار هجر، القاهرة،ط 1 ، 2001م، ج16،ص226.

كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ المائدة: ١٥ – ١٦،وهكذا جاء أدب الإسلام في دعوة غير أهله، ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند دعوتنا لأحد أحسن ما يدعى به، وننتقي ما يناسب الذي نريد دعوته إليه، وإذا كان هذا الأدب عاما في كل تداع وتخاطب، فأحق الناس بمراعاته هو الدعاة إلى الله والمبينون لدينه سواء مع المسلمين أو مع غير المسلمين"[1]، كما كان ابن باديس يتعرض في خطابه الدعوي لأهل الكتاب بذكر بعض نصوص كتبهم وذلك لإظهار ما حوته من أباطيل[2]، وكشف للضلالات والتحريفات التي تعرضت لها كتب التوراة والإنجيل ،مع إبراز مواضع الإعجاز في القرآن الكريم والتي تعبر على أنّ الدين الصحيح هو دين الإسلام.

كما شمل أيضاً الخطاب الدعوي الشمولي لابن باديس التعرض لمختلف جوانب الحياة مثل : السياسة، التعليم، الصحافة، الثقافة والمشاكل الاجتماعية [3] التي يتعرض لها الناس عموما والشعب الجزائري خصوصا، وكانت تطرح هذه المضامين في صبغة إسلامية دعوية إصلاحية تذكيرية، وكانت دائماً ما تعمل على تنبيه المدعويين بالصلة الموجودة بينهم وبين دينهم، وأن ممارستهم اليومية على اختلافها وتعددها لا يتعارض مع الارتباط بدينهم، بل إن الإسلام والخطاب الإسلامي جاء ليحفظ أحوال الناس ويراعي ظروفهم وواقعهم، ويدخل كل ذلك ضمن ما أسماه الإمام الشاطبي بحفظ مقاصد الخلق بقوله : " فلا عمل يفرض، ولا حركة ولا سكون يدعى إلا والشريعة عليه حاكمة، أفرادا وتركيبا وهذا ما يعني كونها عامة" [4]، فكان ابن باديس يدعو إلى الابتعاد عما أسماه بالإسلام

[1] – عبد الحميد بن باديس: "وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين"– دعوة أهل الكتاب–، الشهاب، " م 11، ج3، ربيع الأول 1354هـ/ جوان 1935م.

[2] عبد الحميد بن باديس:-دعوة أهل الكتاب-،نفس المصدر السابق.

[3] ابن باديس:آثار ابن باديس،ج5،مصدر سابق،صمن 51 إلى81،ومن114إلى137

[4] – الشاطبي: الموافقات في أصول الأحكام، تحقيق: محمد محي الدين ، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت ، ج1،ص41.

الوراثي؛ وهو مجرد الانتساب إلى الإسلام الموروث أبا عن جد، والقيام بالعبادات أو بالأحرى الصلوات والصيام فقط، وكأنها عادات وتقاليد متوارثة ،وذلك من خلال دعوته إلى التدين السليم والعمل بالإسلام الشامل " من خلال فهم المعنى الصحيح للإسلام الشامل وإدراك محاسنه في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله، فيجعل المرء حياته حياة فكر وإيمان وعمل"[1]، ويخضع هذا الفكر وهذا الإيمان والعمل إلى عقد النية بالارتباط الروحي بالإسلام وأن كل ذلك ما هو إلا بغية نيل رضا الله، فيصبح كل أمره مقيداً بالإسلام، وحتى مأكله ومشربه ونومه، إذا أخلص في ذلك النية لله وحده.

وقد اتصف خطاب ابن باديس بخاصية الشمول من جهة توجيهه لمضامين الخطاب إلى عامة الناس برهم و فاجرهم مسلمهم وكافرهم، ومن جهة كونه أيضاً استخدم مجموعة من الآليات والمناهج في تطبيق تلك المضامين المعبرة عن شمولية تلك الآليات والمناهج فتنوعت من الآليات والمناهج المتمثلة في المشاركات السياسية والنوادي إلى الكتابة الصحافية، فضلا عن الدروس التعليمية والحلقات المسجدية؛ وهي صورة من صور الاقتداء والتأسي بالدعوة النبوية التي شملت القطاع الحربي والعسكري بإعلان الجهاد وإعداد الجيوش والقطاع السياسي المتمثل في وضع ميثاق دولة الإسلام بالمدينة المنورة، وإبرام العهود مع سكان يثرب، والقطاع الاقتصادي بإقراره الأحكام المتعلقة بالبيوع، والمعاملات المالية، وكذا التنظيم الاجتماعي بالدعوة إلى الإحسان إلى الجيران وصلة الأرحام.

ثانيا: الوسطية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن

[1]– عبد الحميد بن باديس: الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي أيهما ينهض بالأمم؟؟، الشهاب، ، م 14، ج 3، ربيع الأول 1375هـ، فيفري 1938م.

يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣

وقد فسر ابن كثير لفظة الوسطية في هذه الآية على أنها تعني العدل [1]، فقد بلغت هذه الأمة مرتبة الشهادة أي أنها تشهد على باقي الأمم ببعث الأنبياء إليهم كونها اتصفت بالعدل؛ والعدل يعني الابتعاد عن الانحياز، وهو شيء يكون بين متناقضين كالإفراط والتفريط وهو ما أشار إليه محمد رشيد رضا بقوله: " إن الوسط هو العدل والخيار وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والانتقاص منه تفريط وتقصير، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما"[2].

وقد حذر الإسلام من الغلو وهو الإفراط، ومن التقاعس عن أداء الواجب، وهو التفريط وهما يعتبران انحرافا عن الوسطية **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء: ١٧١، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ غافر: ٧٥وقوله:**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الزخرف: ٨٣، فالوسطية هي الاعتدال والابتعاد عن السطحية، والفهم الخاطئ للدين، وهو ما أشار إليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي دعا إلى الاعتدال في العبادات وعدم التشديد بل اعتبر المبالغة في الطاعات خروج عن سنته صلى الله عليه وسلم فقال: " لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3].

---

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم فسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة،القاهرة، ط2، 1420هـ - 1999 ج1، ص189.

[2]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المنار، القاهرة ، ط2 ، 1948م، ج2، ص4.

[3]- البخاري: صحيح البخاري، 4776، ص1949.

لقد كان الخطاب الدعوي لابن باديس ملتزما بهذا المبدأ الإسلامي، ومتحليا بهذه الخصيصة، فكان دائما ما يدعو المسلمين إلى الوقوف عند حدود الأوامر الشرعية، وعدم تجاوزها إفراطا أو تفريطا. ففي مجالس التذكير، وعند تفسيره الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ الفرقان: ٦٧ قال: "وكان إنفاقهم بين التجاوز والتضييق عدلا مستويا لا إفراط فيه ولا تفريط، فوصفهم الله بالقصد، وهو الحالة بين الحالتين الغلو والتقصير، ثم نزل إلى الواقع المعيش وذكر بعض الظواهر المنتشرة في المجتمع الإسلامي عموما والمجتمع الجزائري خصوصا كحال إيلام الولائم، وما يقع فيها من تبذير وإسراف، وحال التقتير وإمساك اليد عن الإنفاق على من يعيلهم، وهذا شأن البعض من الناس وذكر أن الخير هو في الإنفاق بشكل وسط"[1]. وهي الإشارة التي ذكرها القرآن أيضا في موضع آخر بقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ الإسراء: ٢٩

، وذكر ذلك في السنة المطهرة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " اكْلُفوا مِن الأعمالِ ما تُطيقونَ؛ فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحَبُّ العَمَلِ إليه أدْوَمُهُ، وإنْ قَلَّ، قالَتْ: وكان إذا صلَّى صلاةً أثبَتَها[2]".

ومن تجليات الوسطية التي دعا إليها عبد الحميد بن باديس في خطابه أيضا الاحتراز من الوقوع في التعصب والانتصار لمذهب على حساب مذهب آخر، أو لجنس على آخر فقال:" احذر من التعصب الجنسي الممقوت فإنه أكبر علامة من علامات الهمجية والانحطاط كن محسنا لكل أحد من كل جنس ودين، فدينك الشريف يأمر بالإحسان"[3].

فقد تفطن ابن باديس لمسألة " محاولة توظيف الاختلاف المذهبي لضرب الوحدة الإسلامية، وهو هدف الاستعمار الفرنسي وهدف أعداء الإسلام، وهدف رجال المذاهب المتعصبين المنغلقين

[1] – عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مصدر سابق، ج1، ص294.

[2] مسلم:صحيح مسلم،782

[3] – ينظر: محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1968م ص138.

الذين حرموا حسن الفقه في الدين" [1]،وعلى عكسهم فإن ابن باديس لم يكن متعصبا للمذهب المالكي رغم اهتمامه الكبير بعلم الفقه المالكي وتدريسه وتعليمه للطلبة وحرصه على الحفاظ على هذا الموروث العلمي والديني في الجزائر.

ومن أمثلة الوسطية التي كان يمتاز بها الخطاب الدعوي لابن باديس أيضا :

مسألة الرفق والتيسير ورفع الحرج: [2]"و رفع الحرج هو رفع كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس أو المال حالا أو مآلا إما يمنعه قبل وقوعه أو بإزالته بعد وقوعه[3]".

ولا يعني هذا إسقاط الكثير من الواجبات الشرعية كالصيام، وصلاة الفجر التي قد تؤدي إلى إحداث المشقة إنما الضابط هنا كما أشار إليه الشاطبي هو: "حصول المشقة بما يكون خارجا عن المعتاد، وأما إن لم تكن خارجه عن المعتاد ،ووقعت على نحو ما تقع المشقة في مثلها من الأعمال العادية: كالصيام، وقيام الليل...، فالشارع وإن لم يقصد وقوعها فليس بقاصد لرفعها أيضا"[4].

وجاءت الآيات والأحاديث ترى في هذه المسألة وتدعو إلى التخفيف وأن الدعوة الإسلامية دعوة إلى التيسير والتبشير وليست دعوة إلى التعسير والتنفير: قَالَ تَعَالَى:﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ المائدة: ٦

، وأما عن الأحاديث النبوية فما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله لم يبعثني معنِّتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً

[1]–محمد الدراجي: الإمام ابن باديس السلفية والتجديد، دار الهدى ، الجزائر ، ط1، 2012، ص154.

[2] – محمد بهي الدين سالم: مرجع سابق، ص155.

[3] صالح بن عبد الله بن حميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية– ضوابطه وتطبيقاته–، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،المملكة العربية السعودية،1403هـ، ص48.

[4]– الشاطبي: : الموافقات في أصول الأحكام، تح: محمد محي الدين، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، د. ت، ج1ص310.

مُيسراً"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا: " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ أحد إلاَّ غَلَبه فسدِّدُوا وقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتعِينُوا بِالْغدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيْءٍ مِن الدُّلْجةِ"[2].

ودعا ابن باديس من خلال خطابه الدعوي في مواطن كثيرة إلى الالتزام بما نصت عليه الشريعة الإسلامية من التخفيف ورفع الحرج عن المسلمين واعتبر عدم الأخذ بهذا المقصد خروجا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ففي مقال له بعنوان: " من رغب عن سنتي فليس مني"[3] أورد حديث من قال: " هلك الناس فهو أهلكهم [4]" وفي شرحه لهذا الحديث أورد آدابا وأصولا عامة في التربية والدعوة، فذكر أنه " على من يريد أن يرشد المسلمين ويعمل على إصلاح حالهم أن ينظر إليهم بعين الشفقة فإن المحب والمشفق تدفعه شفقته إلى المبالغة في العناية بتتبع الأدواء واستقصاء أنواع العلاج، ثم ذهب إلى إبراز آثار الشفقة وبين الفرق بين آثارها وآثار المرشد المستعلي، ومدى قابلية كل واحد منهما في وسط المدعويين"[5].

فالشفقة والعطف على المدعويين حتى وإن وقعوا في أمر محذور، فإنه يبعث بالأمل والرجاء في التوبة والمغفرة، ويجعل من المخطئ يتقرب من المعلم والداعية ويلتمس منه النصح ويظن به الخير كمن يقرع باب الطبيب يشكو إليه حاله، فإن وجد الطبيب مهتما بمرضه بارعا في تشخيصه، فإنه يفصح له كل ما ألم به من أوجاع ويكرر زياراته إليه، ويحسن الظن في قدرته على إيجاد العلاج المناسب لدائه، وكذلك الحال بالنسبة للداعية الذي يتعامل بلين ورفق مع الناس وينصح ويرشد ويدل وإن أنكر شيئا أنكره بأدب مراعيا في ذلك أحوال الناس وظروفهم وأظهر لهم الحرص على نفعهم دينا ودنيا وأبان لهم سماحة الإسلام وسهولة ومبدأه في التيسير والتوسيع على الناس، وقد تناول ابن

---

[1]- مسلم: صحيح مسلم، 1478.

[2]- البخاري: صحيح البخاري، 63.

[3]- البخاري: نفس المصدر السابق ، 1949.

[4] مسلم:صحيح مسلم،2623.

[5]- ابن باديس: "من رغب عن سنتي فليس مني"، الشهاب، م11، ج3، غزة، ذي القعدة، 1352هـ- 15 فيفري 1934م.

باديس هذا المبدأ أيضاً في مقال له بعنوان " الفن الأدبي في الحديث النبوي"واستخلص جملة من الأحكام والمبادئ الشرعية في حديث: ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير" [1] أهمها قوله: " في الحديث سماع النساء لصوت الحادي وفيه العناية بهن في السفر والرفق بهن فيه، وفيه التنبيه على المحافظة على قلوبهن وعواطفهن ليدوم ودهن وسلامتهن، ويدوم الهناء معهن والاستمتاع بهن؛ لأنهن ضعيفات القلوب رقيقات العواطف شديدات الإحسان"[2]. وهي إشارة من ابن باديس إلى عرض واقع المجتمع الإسلامي والجزائري الذي تعيش فيه الكثير من المسلمات أخوات كن أم زوجات أم أمهات في ظل الظلم والقسوة والضرب في كثير من الأحيان فضلا عن التهميش والحرمان من أبسط الحقوق كالتعليم والعلاج، فكان خطاب ابن باديس يعبر عن شعوره وإحساسه بمعاناة النساء، سواء من طرف أبناء الجزائر- أزواجهم مثلا-، أو من طرف الاستعمار الفرنسي، فأظهر الرفق ودعا إليه، وأما عن رفع الحرج والتيسير فقد رد ابن باديس ذلك في كتابه "مبادئ الأصول" وعرّف بِحُكْمِ الأخذ بالرخص والتسهيل الشرعي وذلك لرفع الحرج عن الناس وذكر مسائل عديدة في ذلك: كقصر الصلاة، الفطر للمسافر والمسح على الخفين"[3].

وفضلا عن بعض الدروس الفقهية التي كان يلقيها ابن باديس على مسامع الحاضرين وما حوته من أبواب وفصول في خاصية الإسلام في التيسير ورفع الحرج، وحتى مع الأخذ بالرخص وعملا بمبدأ التيسير ورفع الحرج، فإن ابن باديس لم يكن ليخرج عن النصوص الشرعية ويتبع مواطن الاختلاف للأخذ بما يناسب هوى الناس، بل إن منهجه الوسطي كان يرتكز على الأدلة القطعية وما يثبت من اجتهادات السلف وعلماء الأمة الأولين والمعاصرين.

---

[1]- البخاري: صحيح البخاري، 6149.

*الحادي من يقوم بسوق الإبل والغناء لها لتنشط وتسرع في السير.

[2]-عبد الحميد بن باديس: الفن الأدبي في الحديث النبوي، الشهاب، م2، ج2، غزة، شوال 1350هـ- فيفري 1932م.

[3]- عبد الحميد بن باديس: مبادئ الأصول- إملاء الإمام عبد الحميد بن باديس، تحقيق: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط2، 1998م، ص22.

ثالثا: خاصية التوازن:

إن الخطاب الدعوي الناجح هو ذلك الخطاب الذي يتصف بالتوازن في استخدام الأساليب والمناهج الدعوية، ويجمع بين كل ما أودعه الله في عقل الداعية وما سخره الله له من إمكانات علمية فلا يدخر وسيلة، ولا يؤلي جهدا إلا واستخدمه في سبيل الدعوة إلى الله، وقد قدم ابن باديس ثروته العلمية، وبذل عمره وأنفاسه في التبليغ والدعوة إلى الله وأعطى لكل علم وفن حقه من الاهتمام والانشغال فكانت تجربته الدعوية تتسم بالتوازن في الطرح، وكان واقع المجتمع المتعدد المذاهب والطبائع والمتفاوت في الإدراك والفهم يفرض على ابن باديس تحقيق مبدأ التوازن لاحتوائه المتطلبات الدينية والدنيوية لذلك المجتمع، وللقيام أيضاً بالمهام الدعوية دون إغفال أو تهميش أي فئة.

وكان برنامجه اليومي يجمع بين التعليم والممارسة السياسية والإعلامية والثقافية والاجتماعية فكان"بعد صلاة الفجر مباشرة يبدأ دروسه في التفسير والحديث والأدب والبلاغة والحضارة الإسلامية ويستمر في العمل إلى غاية الزوال، ثم يستأنف عمله من جديد بعد الظهيرة، ويستمر فيه إلى ما قبل صلاة المغرب بقليل وبعد صلاة المغرب يستأنف التدريس حتى صلاة العشاء؛ حيث ينتهي عمله في التعليم، وبعد صلاة العشاء وتناول طعام العشاء، يذهب إلى إدارة الشهاب حيث يعكف هناك على كتابة المقالات والدراسات التي سوف ينشرها في المجلة كما يقوم بنفسه بالرد على قراء المجلة، أو على كبار الشخصيات في العالم العربي والإسلامي الذين كانوا على صلة قوية به، ويمضي في هذا العمل معظم الليل ومع ذلك فعندما يؤذن المؤذن لصلاة الصبح يكون الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقدمة الصفوف مع المصلين كما يروي تلامذته وعارفوه ومن عاشره، كما كان يكتب الرسائل ويحضر مجالس الصلح ويدلي بآرائه ويجلس إلى طاولة المناقشات السياسة التي يدلي أصحابها بآرائهم في أوضاع الشعب الجزائري[1].

[1] رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية و الإسلامية في الجزائر،مرجع سابق،ص171.

إن توازن الخطاب الدعوي لابن باديس للمدرسة الإصلاحية التي حملت مبادئ دعوة ابن باديس، والتي مثلها طلبته وأعضاء جمعية العلماء المسلمين من بعده بالمشاركة الفاعلة في المناسبات الوطنية الهامة، والمصيرية واستفادت منها الأمة الجزائرية والإسلامية استفادة عظيمة فكانت من الأسباب التي عجلت برحيل الاستعمار الفرنسي من خلال تسليح أفراد المجتمع الجزائري بالعلم، وبث روح المسؤولية الوطنية والدينية الملقاة على عاتقه كما كانت أيضا سببا في محافظة المسلم الجزائري على دينه ولغته وتاريخه، وشخصيته وثقافته، وثقته بنفسه وبإمكاناته، فدروس ابن باديس ومقالاته، ومؤلفاته ورسائله أحاطت بكل هذه الركائز التي يقوم عليها المجتمعات، وتبنى على أساسها الدول والحضارات وكانت تلقى بصفة لا تمثل إقصاء أي علم أو فن على حساب الآخر.

ثالثا: الأصالة والتجديد:

إن الأصالة في الخطاب الدعوي لا يقصد بها التمسك بالقديم البالي، ورفض كل ما هو مستحدث وجديد، وإنما تعني الحفاظ على الفطرة الإسلامية السوية التي ترمز إلى جوهر الإسلام، فالأصالة هي كل الثوابت الشرعية والمصادر الأصلية العريقة التي تمثل روح الإسلام وماهيته، إنها تلك التركة التي أودعها الجيل الأول للإسلام جيل النبي صلى الله عليه وسلم وجيل الصحابة رضوان الله عليهم إلى الجيل الذي يليه، وإلى كل الأجيال التي أتت من بعده، وهي العلم الشرعي والفهم الصحيح لرسالة الإسلام ونور الهداية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف وفهمهم لهذين المصدرين، وكذا اجتهاداتهم، ومذاهبهم في مسائل شرعية أخرى كيف لا وهم الذين نالوا شرف التزكية وشرف الخيرية والأفضلية على باقي الأجيال في هذه الأمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه: " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..."[1]، وأما التجديد" فهو الدعوة إلى إعادة الدين إلى النحو الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم"[2]، وإظهار السنن والشرائع التي اختفت آثارها عند الناس، وكما تعهد الله تعالى بحفظ دين كتابه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ الحجر: ٩ ،فإن النبي صلى الله عليه

[1]- البخاري: صحيح البخاري، ص2652.

[2]- محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، البيان، الرياض، ط1، 1425هـ، ص10.

وسلم قد بشر بتجديد أمر هذا الدين وإعادة إحيائه في كل قرن،فقال النبي صلى الله عليه وسلم"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها[1]"إذن فالتجديد والأصالة خاصيتان اتصف بهما الخطاب الدعوي الإسلامي، فحتى بعد مرور قرابة خمسة عشر قرن على نزول أول آية على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الإسلام دائما ما يكون قد جدد تراث النبوة وكشف زيف تراث البشرية الذي نادى به الكثير من المطبلين للحضارة الغربية ودعاة الحداثة باسم التجديد[2]، وقد كان خطاب ابن باديس قائما على هاتين الخاصيتين وصرح أن واجبه هو " القيام بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح وإلى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات"[3].

فهذه الأصالة يدعو إليها ابن باديس قولا وفعلا،و يصرح بها في الصحف والمجالات ويدرسها في الحلق والكتاتيب، والأصالة عند ابن باديس لا تعتبر التقليد لبعض رجالات الأمة المحاضرين أمثال محمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب، فقد كتب ابن باديس مقالا وعنونه بـ "عبداويون ثم وهابيون ! ثم ماذا؟ لا ندري والله !"[4].

وهو بذلك يبرئ نفسه من التهم المنسوبة إليه وهي التقليد والإتباع والانتساب للعبداوية تارة وللوهابية تارة أخرى، ومع إنكاره لهذه التهم وإقراره بعدم الانتساب لمحمد بن عبد الوهاب ولا إلى محمد عبده، إلا أن ذلك لم يمنع ابن باديس من الاعتراف بفضل هذه الرجلين، وما قدماه للأمة الإسلامية من جهود دعوية وعلمية، ولكن هذا الاعتراف لا يقيد فكر ابن باديس ولا يعطله عن الاجتهاد " في المسائل التي يصح فيها الاجتهاد كقول أبي حنيفة " ما جاء من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فسمعا وطاعة، وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم تخيرنا من أقوالهم ولم نخرج

[1] أبي داوود،صحيح أبي داوود،مصدر سابق،4291

[2] – أنور الجندي: المعاصرة في إطار الأصالة، دار الصحوة ، القاهرة، ط 1، 1987، ص28.

[3] – عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، مصدر سابق،**ج5**، ص163.

[4] – عبد الحميد بن باديس:" عبداويون ثم وهابيون ثم ماذا!؟ لا ندري والله"،الشهاب ع3، 29 ذي الحجة 1351م.

عنهم، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال" [1]. وكان يدعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية"[2].

فاعتبر الانقطاع عن الاجتهاد والتجديد مؤشرا خطيرا على مرض الأمة واعتبر التقليد والاكتفاء بأداء السابقين وأقوالهم علامة بارزة عن تخلق الأمة وانحطاطها فقال: " كما أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام والجامد التي أماتت الأفكار، وقفت على الاجتهاد وحالت بين طلاب العلم ومعين السنة والكتاب بل صيرتها في زعم قوم غير محتاج إليها من نهاية القرن الرابع إلى قيام الساعة، لا في فقه ولا استنباط ولا تشريع استغناء عنها كما زعموا بكتب الفروع من المتون والمختصرات"[3].

ولم يكتف عبد الحميد بن باديس بالدعوة النظرية للاجتهاد وذم التقليد، بل كانت نزعة الاجتهاد بادية عليه من خلال الفتاوى التي كان يفتي بها لمن يسأله، إذ لم يكن يكتف بنقل الأقوال من الكتب الفقهية المعتمدة كما جرت بذلك عادة المتأخرين من الفقهاء الذين سيطر عليهم التقليد وكانوا يهابون أن يخالفوا ما هو موجود في كتب المتقدمين بل كان رحمه الله يفحص الأقوال، وينظر إلى العلل والمقاصد التي بينت عليها الأحكام، ولا يتوقف عند حدود الألفاظ [4]، ومن ذلك إجابته على الكثير من الأسئلة الفقهية المتعلقة بالنوازل والقضايا المعاصرة، وقد سبق ذكر تلك المسائل في مبحث مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس.

[1]- شمس الدين الذهبي: يسر أعلام النبلاء، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط3 ، 1985، ج6، ص401.

[2]- عبد الحميد ابن باديس: : آثار ابن باديس، مصدر سابق،ج5، المصدر السابق.

[3]- ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق،ج5، ص38.

[4]- محمد الدراجي: مرجع سابق، ص164.

رابعا: الانفتاحية:

وهي تعني الاستفادة من المعطيات الحضارية الغربية الجديدة باقتباس علوم الطبيعة وعلم التمدن المدني، والعملي مثل:علوم الزراعة والحيوان، وعلوم الصناعات والحرف والتجارة والطب والصيدلة وغيرها من المعارف التي تتصل بعلوم المادة وظواهرها[1].

وهي تعني الأخذ من الغير ما هو نافع وذو فائدة علمية أو دنيوية ،خصوصا وأن الآخر يمتلك كما كبيرا من المصادر العلمية والتكنولوجية ما سمح له بالريادة والتفوق العلمي، وكان ابن باديس كثيرا ما يدعو طلبته، ويحثهم على تحصيل العلوم الشرعية والدنيوية والأخذ بأسباب الحضارة والرقي من خلال التمكن من العلوم الدنيوية، بل حتى إنه دعا إلى تعلم اللغة الفرنسية، واعتبر تعلمها سبيلا إلى أخذ العلوم الغربية والاستفادة منها فقال: "ولو أن حرمنا من تعلم اللغة الفرنسية التي هي سبيلنا إلى آداب الغرب وعلومه وفنونه وفهمه من جميع جهاته، كما حرمنا من تعلم لغتنا لكان الضرر أكبر والجهل أعم" وقد كان تعلم اللغة الفرنسية الخطوة الأولى للشعب الجزائري في النهوض من كبوته بعد أن شعر بسوء الحالة التي وصل إليها"[2].

ثم أعلن باللفظ الصريح دعوته إلى الانفتاح الثقافي والعلمي بين الشعبين الفرنسي والجزائري للاستفادة من بعضهما البعض فقال:"إن شعبين متباينين ربطت أوضاع الحياة الجارية بينهما، لا أحسن من أن يتفاهما ويتكارما ويتناصفا ويتآلفا ومفتاح ذلك أن يتعلم كل منهما لغة صاحبه"[3]، وفي كل هذا إبراز لمبدأ الانفتاح على علوم الآخر، وتجنب النفور من العلم حتى وإن كان مصدره غريبا،

[1]- محمد زرمان: الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، رسالة دكتوراه غير منشورة،معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،،جامعة الأمير عبد القادر،1994-1995م، ص124.

[2]- عبد الحميد بن باديس: في سبيل التعلم والتقدم، من آثار جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، البصائر، السنة الثالثة، ع136، قسنطينة، الجمعة 27 شعبان 1357هـ، 21 أكتوبر1938م.

[3]- عبد الحميد بن باديس ،آثار ابن باديس،مصدر سابق،ج3 ،ص257.

وهو يبرز أيضا دعوة ابن باديس إلى التبادل الثقافي والعلمي طبعا دون الانسلاخ من الهوية والشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

المطلب الثاني: الخصائص المتعلقة بصاحب الخطاب الدعوي–المرسل–:

إن الشخصية الفردية هي تلك الوحدة الكلية المميزة لطبيعة الفرد وطريقة سلوكه وأنواع اهتماماته وقدراته ومواهبه، وهي خلاصة ونتاج توظيف المبادئ وليست هي المبادئ نفسها، فقد يشترك شخصان في مبادئ معينة، إلا أن شخصية كل واحد منهما ستكون حتما مختلفة عن الآخر"[1]. ولقد عُرِفت شخصية ابن باديس بجملة من الخصائص والمميزات أهمها:

أولا: الفهم والفطنة:

إن الفطنة والفهم اللذين ميزا ابن باديس جعلاه يؤمن بأن مسألة الإصلاح والقيام بالدعوة إلى الله لا تتوقف عند حد تدريس الأحكام الفقهية وشرح المسائل العقدية بل إن الإسلام عقدا اجتماعي عام، فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورقيه وقد دلت تجارب الحياة من علماء الأمم المتمدنة أنه لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإحداث إصلاح عام على مبادئ الإسلام"[2].

و ما يدل على عمق تفكير ابن باديس وحسن إدراكه لمفهوم الرسالة الإسلامية، ولذكائه في تعامله مع الأوضاع التي عايشها مع أبناء بلده تلك الأوضاع التي تعرض على الداعية التعامل معها بالحكمة والتدبير الحسن، ذلك الذي لمسناه في مقالات كثيرة له، ومواقف عديدة أبانت عن الفطنة التي كان يتمتع بها ابن باديس، والتي كانت سببا في فك النزاعات، والخصومات التي وقعت بين أبناء الشعب الجزائري، وكانت سببا أيضا في توضيح بعض الأحداث التي أدت إلى اتهام أحد قادة جمعية العلماء المسلمين – الشيخ الطيب العقبي – ،فرغم الكيد الذي تعرض له هذا الأخير، إلاّ أن وقوف

[1]– فاخر عقيل: علم النفس– دراسة التكيف البشري، مطبعة الجامعة السورية، دمشق دط، 1955م، ج1، ص308.

[2]– عمار طالبي: آثار ابن باديس،مصدر سابق، ج4، ص200.

ومساندة ابن باديس له بالحجة، والبيان كانا عاملا رئيسيا في إظهار الحق وتبرئة الطيب العقبي [1]، وغير هذه المواقف كثير.

ومما يدل على فطنة ابن باديس أيضا إقرار مشايخه وزملائه بعلمه وذكائه، فهذا شيخه الطاهر بن عاشور يثني عليه وعلى مكانته العلمية فقال عنه: " العالم الفاضل نبعة العلم والمجادة ومرتع التحرير والإجادة،ابننا الذي نفتخر ببنوته الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس" [2]. وقال عنه أيضا: " ... وما تكريمنا للشيخ ابن باديس إلا تكريم للفكرة العبقرية والنزعة الإصلاحية الفلسفية التي دفعت به فريدا إلى موقف إحياء التعاليم الإسلامية..."[3].

وهذا الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة ألقى على مسامع الحاضرين في حفل تكريم الإمام ابن باديس بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم قصيدة يذكر فيها ذكاء ابن باديس وحكمته فقال:

ختمت كتاب الله ختمة دارس...*... بصير له حل العويص ميسر

فكم لك في القرآن فهم موفق...*... وكم لك في القرآن قول محرر[4].

كما أثنى عليه زميله ورفيق دربه و اعترف له بأنه فلتة من فلتات الزمان"وأنه باني النهضتين العلمية والفكرية في الجزائر، وأن فهمه أحيى أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير،و دينا لابسته المحدثات والبدع"[5].

[1] ابن باديس"في سبيل الاتحاد والعمل ،البصائر،العدد125،8جمادى الثانية1357ه.

[2]-عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس،مصدر سابق، ج2، ص224.

[3]- محمد الصالح رمضان: ابن باديس من أرائه ومواقفه، دار البعث ، قسنطينة، ط1، 1982م، ص28.

[4]- مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصدر سابق،ص85.

[5]-محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، 318،بتصرف.

ثانيا: الزهد والتواضع:

من أبرز المواقف التي دلت على زهد عبد الحميد بن باديس ما حدث له مع أحد أصدقائه ،أين طلب ابن باديس من ذلك الصديق أن يشتري له لَبَنًا، فرأى ذلك الصديق أن الفرصة مواتية له لإكرام صديقه ابن باديس فاشترى له شواء عوضا عن اللبن ،وذهب به إلى ابن باديس ولما قدمه له استشاط ابن باديس غضبا، وقال له: ألا تعلم أنني ابن مصطفى بن باديس، وأن أنواعا مختلفة من الطعام اللذيذ تُعَدُّ كُلَّ يوم في بيته، ولو أردت التمتع بالطعام لفعلت، ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك، فكيف أفعل ذلك وطلبتي يسيغون الخبز بالزيت، وقد يأكله بعضهم بالماء"[1].

ثالثا: فصاحة اللسان:

تجلت فصاحة ابن باديس أكثر في تفسيره للقرآن الكريم، وذلك من خلال عمله على تطويع اللغة وإثرائها والتركيز على صحة أدائها والسمو بها عن محاولات التساهل في أصولها والترفع بها عن الاسفاف والسوقية"[2].

وكان تعامله مع الألفاظ القرآنية يرتكز على شرح الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم ثم الاستدلال بالمصادر البلاغية في اللغة العربية كالحديث النبوي وأمثال العرب وقصصهم وحكمهم التي تظهر فصاحتهم وسلامة لسانهم، " وكان تفسير ابن باديس يحظى بتفصيل كبير واستشهاد غزير وحجة قوية وتنويع متعمدّ، ومع الاحتفاظ بالأبعاد التي حملها النص القرآني فإن ابن باديس راعى المقامات الثقافية والاجتماعية والنفسية المختلفة للمتلقين"[3].

---

[1]– محمد الصالح رمضان: ابن باديس من آرائه ومواقفه، مرجع سابق، ص42.

[2]– محمد بن سمينة: أسس مشروع النهضة عند عبد الحميد بن باديس المضمون وصورة التعبير، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر،دط، دت، ج2، ص263.

[3]–عبد الحفيظ شريف: مستويات الدرس اللغوي في تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير الإمام ابن باديس، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، ص145.

وقدم لهم أسلوب بلاغيا بسيطا وسهلا، يتماشى ومداركهم العقلية ومستوياتهم العلمية ففصاحة لسانه قدمت إضافات علمية للنخب وطلبة العلم، وفي الوقت ذاته لم تقصي خطاباته أصحاب المستويات البسيطة والعقول المتوسطة، وفي هذا اقتداء واستنان بأسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، فمع أنه أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح العرب، إلا أنه كان يتجنب التكلف في الكلام، ولا يختار إلا الالفاظ الميسرة والسهلة، وهذا طبعا لا يقدح من فصاحته شيئا، بل إنه وجه من أوجه البلاغة وحسن الكلام فالفصاحة: " تكون بخلو الكلام من تنافر مفرداته، ومن ضعف تأليفه وتعقيد معناه ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها"[1].

ومن صور فصاحته وإعجازه أيضا: " توغله في استخلاص المعاني الكثيرة والمتعددة للفظ الواحد وتعيين الفروق الدقيقة بين المعاني باستخدامه في سياقات مختلفة وهو مسلك يعتمد فيه سالكه على ثراء رصيده اللغوي وسعة اطلاعه على أساليب العرب في إطلاق اللفظ الواحد لإفادة المعاني الكثيرة"[2].

لقد ساعدت فصاحة ابن باديس صاحب التفسير على إكمال تفسيره للقرآن الكريم، واستغلال هذا التفسير لعرض مختلف القضايا الدعوية، فكانت بلاغته سببا في رواج دعوته وانتشارها، وأدت الدور المنوط بها في التبليغ والدعوة، ذلك الدور الذي أدته البلاغة في حفظ ونشر الدعوة عند أنبياء الله ورسله، فهذا نبي الله موسى عليه السلام يطلب الإذن من ربه في تدعيم أسس دعوته بأخيه هارون الذي عُرِف بالفصاحة والبيان **قَالَ تَعَالَى**: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ القصص: ٣٤، وكذلك معجزة

[1]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م، ص28.

[2]- عبد الحفيظ شريف: مستويات الدرس اللغوي في تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير الإمام ابن باديس ،مرجع سابق، ص145.

النبي صلى الله عليه سلم تمثلت في القرآن الذي امتاز بالإعجاز اللغوي الذي أفحم خطباء العرب وفصحائهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: خصائص الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب

تميزت المدرسة الدعوية الوهابية هي الأخرى بخصائص وميزات جعلتها تستقل بذاتها عن باقي المدارس الإصلاحية، وهذا الانفصال والاستقلال لم يمنع من بقاء هذه المدرسة.

المطلب الأول:خصائص متعلقة بمضمون الخطاب الدعوي–الرسالة –

أولا: التوازن:

ويقصد به الاعتدال في توظيف واستخدام المضامين الدعوية بما يناسب كل واحدة منها، ومدى فاعليتها وملاءمتها للوسط الدعوي، والتوازن يعبر أيضا على توفير الأسباب والوسائل اللازمة لخوض غمار الدعوة ومجابهة الخصوم، وفي ذلك إحقاق للأمر الرباني الداعي إلى تجهيز العدة والأخذ بأسباب النصر وسنن التمكين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾الأنفال: ٦٠

و قد اتسم الخطاب الدعوي لمحمد بن عبد الوهاب بهذه الخاصية، وعرفت تجربته الدعوية بمبدأ التوازن الذي كان قائما على اقتحام محمد بن عبد الوهاب لمضامين مختلفة سياسية، حربية، عقدية، وعظية...، وكان هذا الاستخدام في إطار التكامل بين تلك المضامين وتوحيد الهدف، وهو خدمة الدعوة؛ فدعوة محمد بن عبد الوهاب عملت على توفير المناخ الملائم للرسالة الدعوية، وذلك بالولوج إلى السياسة، وتعزيز الدعوة بقوة وسطوة السلطان،وكان ابن عبد الوهاب يبرم الاتفاقيات والعهود ويكتب الرسائل لاستمالة المشايخ ورؤساء القبائل،" ولم تكن طريق الدعوة مفروشة بالورود بل إن مسالكها ودروبها كانت وعرة ومحفوفة بالمهالك والمخاطر فصاحب الدعوة تعرض لمحاولات القتل والمكر بِه أكثر من مرة، ولكن الحنكة السياسية واستقراء المعطيات المحيطة به فضلا عن العناية

الإلهية والتوفيق الرباني اللذان شملا دعوته [1]"، كانت سببا في إنقاذه من الهلاك وإنقاذ دعوته من الزوال، وهي محطات ووقفات للداعية من بعده للأخذ بأسباب نجاح دعوته، وذلك بالاستعانة بعوامل القوة والمنعة من جهة، والأخذ بواجب الحذر والحيطة من جهة أخرى وذلك من خلال عدم إغفال تحركات خصوم الدعوة، وتتبع خطواتهم وأساليبهم الرامية إلى الإطاحة بالمفاهيم الصحيحة للإسلام وتمييعها والتصرف بالأذى للدعاة المخلصين، والذين يحظون بقبول في وسط مجتمعاتهم؛ بتحريض الأيادي الداخلية لدك حصون الإسلام من الداخل.

والدرس والعبرة الثانية من فوائد وثمار الاستعانة بعوامل القوة والسلطة، التي قد تعود بالنفع على الدعوة الإسلامية، هي أنه لا حرج في مداهنة الحاكم المسلم لتعزيز مكانة الدعوة في الحيز القطري، والحذر من استغلال الدعوة للحصول على الأغراض الدنيوية، أو لتبوأ المناصب العليا في الدولة، فإن ذلك سيعود بالضرر على الداعية ،ويشوه صورة الدعوة والإسلام، فدعوة محمد بن عبد الوهاب رغم التمكين الذي حصل لها فإن صاحبها لم يبد رغبة في تبوء المناصب العليا أو مزاحمة السلطان والأمير على منصبه، فحفظ له ذلك أمر دعوته، وبل ناصره وأمده بالعدة المالية والبشرية، بعد أن تأكد من صدق نيته، واقتصاره على نصرة الدين دون الطمع وإبداء الرغبة في تقلد المناصب ومزاحمته في الإمارة، والكثير من الدعاة اليوم ممن يسر لهم الله السبل للوصول إلى مراكز عليا وإقامة علاقات متينة مع أولي الأمر، وذوي السلطان والحكم نراهم قد حادوا عن طريق الدعوة، وخارت عزائمهم في سبيل الإصلاح، وإن لم يفرض عليهم الحاكم التقيد بطرح المضامين الإسلامية التي توافق المبادئ السياسية التي تسير عليها دولته فإننا نرى الكثير منهم قد غرته ملذات الدنيا وأصابه العجب أثناء مجالسته لكبار المسؤولين، ولم يعد له متسع من الوقت للدعوة إلى الله، وهنا على الداعية أن يوازن بين الواجبات الشرعية المتمثلة في الاحتساب والدعوة إلى الله، وبين الواجبات الوطنية في حالة تبوئه مراكز هامة في السلطة، وأن يقوم بتقسيم أوقاته بين الدعوة إلى الله وبين الأعمال المنوط بها في

[1] من ذلك تعرضه لمحاولات الاغتيال ،والتهديد بالقتل،ينظر:ابن غنام،تاريخ ابن غنام،مرجع سابق،ص216

أجهزة الدولة، وأن يتجنب الحصول على الامتيازات والهدايا؛ كي لا يقع في حرج التنازل عن بعض المبادئ الدعوية في سبيل إرضاء ولي الأمر.

ثانيا:التوازن لا يعني المساواة:

ومع أن الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب شمل مختلف المجالات والمضامين إلا أن القسط الأوفر من هذا الخطاب قد حظي من المضمون العقدي، وتركيز ابن عبد الوهاب على هذا المضمون يرجع كما سبق الذكر إلى أهميته وخطورة الوقوع في محاذيره، فالعقيدة هي الفاصل في أمر الإنسان وهي التي تحدد إسلامه أو كفره ،فتبنى أفكار ورؤى معينة أو التكلم بمقالات تنافي مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية الصحيحة، وقد تدخل الرجل في دائرة الكفر وتحرمه من أخلاق الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالى مَا يُلقِي لهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجاتٍ، وَإِنَّ الْعبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعالى لا يُلْقي لهَا بَالًا يهوي بهَا في جَهَنَّم"[1].

وقد أقام محمد بن عبد الوهاب خاصة التوازن في عرض المسائل العقيدة من خلال دعوته إلى إقامة التوحيد ووضعه للشروط الواجب العمل بها لإحقاقه، فألّف الأصول الثلاثة والقواعد الأربع، وتطرق إلى أهمية التوحيد، أصوله، أركانه وعلاقته بالإيمان، كما تحدث عن ثماره وكيف للتوحيد أن يكون سببا في دخول العبد للجنة بغير حساب[2]، ووازن بين التحدث عن الدعوة إلى إقامة التوحيد، وعرض الأوامر الشرعية التي تلزم العبد بالانضباط بها فيما يتعلق بالتوحيد وبين التحذير من الوقوع في المخالفات العقدية التي تؤدي بالمرء إلى الوقوع في مهالك الشرك والكفر، كتعرضه لمسائل" نواقض

[1]- البخاري: صحيح البخاري، 1515/5.

[2]- محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد،تح:عبد العزيز السعيد وآخرون،المكتبة السعودية،المملكة العربية السعودية،ط1،د ت، ص15.

الإسلام"[1]، وعرضه للشبهات المخرجة عن الملة كدعاء الصالحين والاستغاثة بهم[2]، وشبهة الذبح لغير الله[3].

وخاصية التوازن كانت منذ البواكير الأولى للرسالة النبوية، فهاهم الصحابة رضوان الله تعالى وهم الأسوة والقدوة لمن بعدهم، كانوا على مناهج ومدارس مختلفة في الدعوة إلى الله وفي طرح الأسئلة على النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أعمال البر، وعن الأعمال التي تقربه إلى الله وترفع مقامه، وتعلي درجته كسؤال هم للنبي صلى الله عليه وسلم عن " أي الأعمال أفضل"[4] وأي " العمل أحب إلى الله"[5]، ومنهم من اتخذ منهجا يقابل هذا المنهج فكان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مواطن الشر خشية الوقوع فيها، كقول حذيفة بن اليمان* – رضي الله عنه – " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[6].

ومن العبر والفوائد الدعوية التي **تستخلص من** مواقف الصحابة ومواقف محمد بن عبد الوهاب في تحقيق التوازن بين الدعوة إلى فعل الخيرات، والنهي عن الوقوع في المنكرات والمحاذير الشرعية، هو أن الاختلاف الحاصل بين الناس في طبائعهم، ومداركهم وقناعاتهم أمر فطري، وسنني قضى به الله منذ خلق الخلائق، وهذا الاختلاف يفرض على الداعية التنويع في وضع المضامين

---

[1] – محمد بن عبد الوهاب: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد،تح:اسماعيل الأنصاري،المركز الإسلامي،مصر،ط1،دت، ص385

[2] – محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، 117/3

[3] – المصدر نفسه، ص15.

[4] – البخاري: صحيح البخاري، 1519.

[5] – المصدر نفسه، ص527.

* – حذيفة بن جابر العبسي: صاحب سرر رسول الله صلى الله عليه وسلم– أسر له النبي صلى الله عليه وسلم أسماء المنافقين وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، روى عدة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات بالمدائن، بعد خلافة عثمان بن عفان.ينظر:أسد الغابة في معرفة الصحابة،مصدر سابق،ص260

[6] – مسلم: صحيح مسلم، رقم1847.

والمناهج الدعوية الواردة في طرحها ، وهذا التنويع يجب أن يكون بشكل لا يسمح بترجيح منهج لوحده أو أسلوب خاص على حساب أساليب أخرى، وإنما يقتضي تحقيق التوازن وعدم إقصاء أي منهج، أو أسلوب أو مضمون، ولذلك أثر بالغ في استجابة المدعويين للخطاب الدعوي فثراء الخطاب الدعوي بالمضامين، والمناهج والأساليب، وكذا الاختلاف الواقع بين أنماط الناس يجعل من الداعية يتفرس للخطاب المناسب للمدعوين، وفي حالة تعذر ذلك فإنه يجمع ويوازن بين تلك المضامين والمناهج.

ثانيا: الترغيب والترهيب:

إن النفس البشرية فطرت على محبتها للخير والسعادة والنعيم والطيب من المأكولات والمشروبات والملبوسات وأنها إذا رغبت في أمر ما، وأحبته حاولت أن تتخطى جميع الصعاب وتتحمل جميع المشاق للوصول إلى ذلك المحبوب فيسهل عليها في سبيل ذلك كل عقبة تواجهها وأن النفس البشرية إذا كرهت أمرا ما وخافت منه، فإنها تعمل كل ما في وسعها للحيلولة دون ذلك الأمر فتحاول أن تضع حجابا بينها وبين ذلك الأمر المكروه أيا كان[1]، وقد تحدث القرآن الكريم عن مناهج النبوة وكيف أن رسل الله كانوا يدعون الله رغبا ورهبا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الأنبياء: **٩٠**، أي أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه رحمته وفضله، وخوفا من عذابه وعقابه"[2].

وإذا كانت عبادة الله ودعاؤه يقومان على هذه الخاصية، فإن الدعوة إلى الله حرية أن تكون كذلك، وقد جاء خطاب محمد بن عبد الوهاب جامعا لهذين الأمرين – الترغيب والترهيب – فكان تارة يرغب بالدعوة فيذكر الأحاديث والآثار التي تبشر المؤمن، والعبد الصالح بمكانته في الجنة وكذا حفاوة الاستقبال الذي يجده عند خروج روحه وصعودها إلى السماء، وهي أول البشارات التي

[1]– عبد العزيز المسعود: أساليب الدعوة ووسائلها في المرحلة المتوسطة رسالة ماجستير غير منشورة، 1405هـ، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الرياض، المملكة العربية السعودية،1405هـ، ص121.

[2]– محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط 1، القاهرة،، ط1 2001م، ج8، ص389.

يتلقاها المؤمن عند انقطاعه عن الدنيا وإقباله على الآخرة ،وقد أورد في ذلك ابن عبد الوهاب أحاديث كثيرة بل إنه خصص لها كتابا أسماه بـ – أحكام تمني الموت [1] –، وكذا كان ينتهج هذا المنهج، وتظهر أمارات هذه الخاصية واضحة في رسائله التي كان يكتبها إلى الأمراء والمشايخ، كما كان يرغب بالجنة ويبشر بها المسلم الذي يلتزم بأوامر الله وينتهي عند محارمه وحدوده، ويكثر من الطاعات والصدقات، وكان يدعو إلى كل هذا من خلال خطبه المنبرية التي وصلت إلينا.

وشمل الترغيب أيضاً معاهداته واتفاقياته، بل إن أول اتفاق حصل بينه وبين محمد بن مسعود كان يبشر فيه صاحب الدرعية بالنصر، والتمكين ويشير بأن الله سيغنيه من فضله، ويمن عليه بالغنائم والفتوحات،كما كان يرغب الجيوش أيضاً في الجهاد من خلال مناقب الجهاد وفضائله الدنيوية والأخروية.

وأما الترهيب في خطاب محمد بن عبد الوهاب فكان يرتكز على التحذير من الوقوع في الشرك، وعدم إكمال شروط التوحيد، وعاقبة ذلك كله، فذكر في إحدى رسائله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ النساء: ٤٨، والكفار الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم يقرون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له النافع الغبار، غير أنهم لا يقومون بتحقيق توحيد الألوهية"[2].

وفي هذا إشارة إلى الوعيد الذي ينتظر أولئك الذين تسمو باسم المسلمين إلا أنهم، وقعوا في محاذير عقدية أخرجتهم من دائرة الإسلام، وجعلت عاقبتهم السوأى في الآخرة، كما أدت إلى استحلال دمائهم وأموالهم، ووجب الجهاد فيهم لتصحيح مفاهيم ومعتقداتهم الشرعية.

[1] محمد ابن عبد الوهاب:أحكام تمني الموت"،تح عبد الرحمن السرحان وعبد الله الجبرين،المكتبة السعودية،الرياض،ط1،د ت، ص13.

[2] – محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية، مصدر سابق،ص45.

كما شمل الترهيب أيضاً التفصيل في هذه القضايا المؤدية إلى الوقوع في الشرك وعنونها بـ " الخوف من الشرك[1]" عن كتاب التوحيد، ومن مظاهر الترهيب في الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب أيضاً ذكر الوعيد فيما جاء في " من أكثر الحلف"[2]، وفي " منكر القدر"[3] وكذا التحذير من الوقوع في البدع " وأنها أكثر مفسدة وأشد خطرا من الوقوع في الكبائر"[4]، وما جاء في الترهيب في خطاب ابن عبد الوهاب الدعوي أيضاً كتابه " الكبائر" والذي ذكر فيه جملة من المعاصي التي قد يستهين بها المسلم ويحتقرها غير أن إثمها أعظم وأخطر مما قد يتوهمه كثير من المسلمين، وخص في ذلك بالذكر " كبائر القلب[5]: كالعجب[6] والفرح[7]، واليأس من روح الله[8]، ثم كبائر اللسان وباب الحسد[9]، وسوء الظن بالمسلمين[10]، وغيرها من الكبائر التي يقع فيها الكثير من المسلمين ولا يستعمرون في ذلك خطرها وأورد في ذلك جملة من الأحاديث، والآيات الدالة على عظمها عند الله تعالى .

ثالثا: بين الإتباع والتجديد:

ويقصد به السير على ما كان عليه نهج السابقين، والاقتداء بأفعالهم، وإتباع أقوالهم وأثارهم وتجديد الخطاب الدعوي يشمل التجديد في الجوانب الاتصالية كمراعاة أحوال الجمهور وحسن الاهتمام بإعداد الدعاة، والبحث في أسس التخطيط الجيد والتقويم والمتابعة ..." والتجديد لا يعني

---

[1] محمد بن عبد الوهاب:كتاب التوحيد،ص18.

[2]- المصدر نفسه، ص140.

[3]- المصدر نفسه، ص135.

[4]- المصدر نفسه:ص140.

[5]- المصدر نفسه، ص215.

[6]- محمد بن عبد الوهاب: الكبائر،مصدر سابق، ص4.

[7]- المصدر نفسه، ص5.

[8]- المصدر نفسه، ص7.

[9]- المصدر نفسه، ص5.

[10]- المصدر نفسه،ص8.

الانسلاخ عن روح الشريعة أو الابتداع في الدين، بل هو إنه يمثل جانب الحياة في الدين والديناميكية التي تجعل من الإسلام والدعوة صالحة لكل زمان ومكان قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا "[1].

وقد أدرك محمد بن عبد الوهاب أهمية الاجتهاد، والتجديد الديني وعرف خطورة التقليد، ونقصد بالتقليد الإتباع في كل الأحوال والاجتهادات السابقة، خاصة تلك التي تفتقر إلى الحجة والبيان أو تتصف بضعف الحجة، وهو ضرب من ضروب تعطيل ملكات العقل التي وهبها الله للإنسان ليستخدمها في أمور دينه ودنياه، فذكر قائلا:" فلست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2]، وقد تصدى ابن عبد الوهاب لإبطال التقليد في عصر ساد فيه التقليد واستحكم حتى تهيب العلماء من التعرض بمشروعيته واستسلم أغلبهم لسيادة التقليد والأخذ به، ولكن ذلك لم يمنع محمد بن عبد الوهاب من أن يهاجم التقليد، ويكشف القناع عن قضية جوهرية تفيض بها آيات القرآن الكريم"[3] كآيات ذم التقليد، واعتباره سببا في تعنت كفار قريش وتمسكهم بعقائد آبائهم، وحتى الأمم السابقة لم يكن ردها على أنبيائها إلا بحجة أن دين الله جاء بخلاف ما تلقوه عن آبائهم وأجدادهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ **لقمان:** ٢١، وقوله أيضاً **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الزخرف: ٢٣

[1]- سليمان بن الأشعث أبي داود: صحيح سنن أبي داود، تح: ناصر الألباني، مكتبة المعارف، ط 1، الرياض، 1998م، ج3، رقم: 4291.

[2]- ابن غنام: تاريخ ابن غنام،مصدر سابق، ص247.

[3]- المصدر نفسه:ص275.

وكان لابن عبد الوهاب حظ وافر من الاجتهاد والتجديد في الخطاب الدعوي، ومن مظاهر التجديد والاجتهاد في خطابه الدعوي ما يلي:

1) تجديد أحكام التكفير والوقوع في الشرك:

وقد تجلى ذلك من خلال ملاحظته لبعض السلوكيات التي تنافي إقامة التوحيد، وقد جاء هذا الاجتهاد بناءً على استنباطٍ وقراءةٍ لبعض الأحكام الشرعية السابقة الواردة في الكتاب والسنة، ومن أمثلة تلك السلوكيات التي جاءت كرد فعل لبعض الممارسات والسلوكيات الشرعية: " هدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه وأمره بقطع بعض الأشجار التي كانت تعظم وتبجل"[1]، وكذا إنكاره لاتخاذ بعض المعالم في مختلف البلدان الإسلامية كمزارات وأماكن تخص بالتقديس، وكانت تلك الأشجار والمعالم تحظى بالتبجيل، ويرجى طلب الشفاعة منها ويظن منها دفع الضرر وجلب النفع، وكان استناد ابن عبد الوهاب في هذا الاجتهاد من موقف النبي صلى الله عليه وسلم في إنكاره لفهم بعض الصحابة، واعتقادهم بقدرة بعض الرموز والأشياء كالأشجار–شجرة ذات الأنواط– بجلب الحظ كما كان يعتقد ذلك كفار قريش، ثم أغلظ النبي صلى الله عليه وسلم الخطاب مع أصحابه واعتبر ذلك الاعتقاد شرك وأن فعل ذلك الأمر هو فعل مماثل لما فعله قوم بني إسرائيل[2] ،وتلا عليهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ الأعراف: ١٣٨

2) تجديد تطبيق بعض الحدود:

ومن أمثلة الحدود التي قام بها ابن عبد الوهاب تجديد تطبيقها " حد رجم الزانية" وهذا الحد هو من الحدود التي أثارت جدلا كبيرا في وسط المشككين في صحة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المنقولة إلينا * غير أن تطبيق هذا الحكم كان معطلا لأزمنة طويلة بحجج مختلفة ،ولما قامت

---

[1]– عثمان بن عبد الله ابن بشر: مرجع سابق،ص38.

[2]– الترميذي: سنن *الترميذي،مصدر سابق،، 2180.*

*– ينظر: أحاديث الرجم: صحيح البخاري، 186، و 113.

دعوة ابن عبد الوهاب وهيأ الله لها أميرا يناصرها، فإنه – أي ابن عبد الوهاب– دعا الأمير ابن عثمان إلى إقامة حد الزنا على المرأة التي اعترفت وأقرت بفعلها، وبعد أن ثبت أنها محصنة، وتم التأكد من سلامة عقلها، وأنها غير مكرهة في هذا الإقرار أمر بإقامة الحد عليها بمعية أمير الدرعية وتم تطبيق الحكم الشرعي [1]، وكذلك ترك تمجيد السلطان في خطبة يوم الجمعة، واعتبره من البدع المحدثة وقد كره جمع من المالكية ذلك، وغيرهم ،وقالوا إنه من البدع المنكرة [2]؛ على خلاف المذهب الحنبلي.

أما منهج الإتباع الذي سلكه ابن عبد الوهاب فهو المحافظة على الموروث الديني من الثوابت التي لا يجوز لأحد التصرف فيها، أو إنكارها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦، فقال ابن عبد الوهاب: " وذلك أن مذهب الإمام أحمد، ومذهبنا أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم الله به ورسوله، فما أثبت لنفسه أو أثبته رسوله أثبتوه وأثبتناه؛ مثل الفوقية، الاستواء والكلام...، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عن رسوله نفوه ونفيناه مثل المثل، النّد والشبيه وغير ذلك"[3].

إن الالتزام في التقليد عند ابن عبد الوهاب يكون بما يعتقده إنه الحق دون أن ينتقل من قول إلى قول بمجرد أنه على دراية بأكثر من قول" [4]، بل إنه كان يقر بأنه على منهج السلف الصالح في بعض المسائل التي توجب الإتباع، والابتعاد عن الابتداع.فقال: " وإنا على ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتابعين وأتباعهم والأئمة؛ كالشافعي وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل

[1]– ينظر: ابن بشر: عنوان المجد، مرجع سابق،ص40.

[2]–ابن غنام، تاريخ ابن غنام، مرجع سابق،ص378.

[3]– .المصدر نفسه:ص380.

[4]– ينظر: ابن غنام: مرجع ابن غنام، ص322

الحق على هدايتهم، وكذلك ما درج عليه من سبق له من الله الحسنى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم عن الحوادث"[1].

ومن خلال عرض الأمرين- الاجتهاد والإتباع- فإنه يتبين لنا أن مسلك محمد ابن عبد الوهاب قد كان موازنا بين الأمرين وجمع بين شيئين يكونان متعارضين للكثيرين، وللجمع بين المسلكين فإننا نرى أن ابن عبد الوهاب قد كان متبعا، ومقلدا للنصوص القطعية، القرآن والسنة وكان يقرّ بإجماع السلف كونهم عاصروا أزمنة العلم والعلماء، كونهم أيضاً اتصفوا بالهدى بسيرهم على الحق بإجماع الكثير من أهل العلم من بعدهم.

وأما الاجتهاد الذي كان يدعو إليه ابن عبد الوهاب فهو الاجتهاد في ما دون هذه النصوص القطعية وكذلك الاجتهاد في المسائل الخلافية، وإعمال الرأي والعقل فيها هو من التجديد في الدين شرط عدم الانحراف عن الأصول الشرعية، أو القول في أحكام قد فصل فيها القرآن أو الحديث.

3) النصح لولي الأمر:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2]، وقد جعل الإسلام النصيحة لولي الأمر من الدين بل اعتبرها هي الدين، ذلك أن أحوال الرعية ودينهم مرتهن إلى حد بعيد بأحوال ودين ولي الأمر، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في كتابه – مجموع فتاوى شيخ الإسلام- بقوله: " إن ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين، بل إنه لا قيام للدين إلا بها، وأن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض"[3].

---

[1]- محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية" مصدر سابق، ص250- 267.

[2]- مسلم: صحيح مسلم،مصدر سابق، 55.

[3]- ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج28، مرجع سابق،ص398.

ولعظم شأن ولي الأمر فإنه من الضروري تقديم النصح والمشورة له، كما أن ولي الأمر يحتاج إلى وزراء ومجالس يستشير فيها أصحاب الرأي والعقل في تسيير شؤون دولته، فإن شؤون الدين أحرى وأولى بطلب المشورة والدعاة والعلماء أولى بالنصح من الوزراء ،والداعية الحق والعالم الصدق، هو من يحمل على عاتقه ثقل هذه المسؤولية رغم أنها محفوفة بالمهالك، ذلك أن ولي الأمر قد يعتريه شيء من العناد والاستكبار ويرفض النصيحة والناصح وهو الذي بيده السيف وبأمره يفتح السحب، وبمقابل هذا الخطر فإن مصير الأمة، وصلاحها يتوقف على الدعوة والنصح لولي الأمر، فلا بد إذن مِمَنْ يعرض نفسه للهلاك والضرر في سبيل الدعوة والدين، وقد كان محمد بن عبد الوهاب من أولئك الذين تصدوا لهذه الدعوة، وحملوا لواء النصح لولي الأمر، فشمل خطابه الدعوي الاهتمام بصلاح ولي الأمر، وكان ذلك حتى قبل عقد اتفاقه مع الأمير محمد بن سعود، ففي العيينة، وعند اتفاقه مع أميرها عثمان بن معمر، فإنه كان يقوم بواجب الدعوة تجاه بن معمر؛ " وكان يبين له الأحكام الشرعية ويدعوه إلى تطبيقها، وإنفاذ أمر الله ورسوله بتطبيق الحدود الشرعية، وإزالة معالم ومظاهر الشرك وكان يدعوه إلى نصرة دين الله[1].

وبعد تراجع عثمان بن معمر عن نصرة دعوة ابن عبد الوهاب، وخوفه من بطش بعض القبائل، فإن ابن عبد الوهاب لم يتوقف عن واجب الدعوة لولي الأمر تجاه بن معمر، فكان يذكره بأن هذا من الابتلاء، والامتحان الذي قد يمر به أي إنسان، وأن النصر والتمكين لا يأتي إلا بنصرة دين الله[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ محمد: ٧

، وكذلك الشأن مع أمير الدرعية – محمد بن سعود- فإنه كان لا يبخل عليه بالنصح والتوجيه، فبعد أن عرض عليه أصول دعوته، وشرح له معنى التوحيد قال له: "وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلها فمن استمسك بها وعمل بها، ونصرها، ملك بها العباد والبلاد"[3].

---

[1]- عثمان بن بشر:عنوان المجد،مرجع سابق ، ص40.

[2]-نفس المرجع و الصفحة. بتصرف

[3]- نفس المرجع، ص42.

وجعل يشرح له الإسلام وشرائعه، وما يحل وما يحرم وما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدعوة إلى التوحيد والقيام في نصرته والقتال عليه"[1].

ولم تتوقف دعوة ابن عبد الوهاب لولاة الأمر عند حد دعوته الأمير ابن سعود، بل إنها شملت أيضا مشايخ وأمراء القبائل النجدية"مثل أمير ثرمداء" [2] والرياض[3]، وكذا خارج نجد رسالته إلى رئيس بادية الشام[4]، وإلى صاحب اليمن[5]، وكانت مضامين تلك الرسائل تعبر عن شعور ابن عبد الوهاب بمسؤوليته تجاه الأمة الإسلامية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإشفاقه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وخوفه على المسلمين من الوقوع فيما ينقض إسلامهم، وأن السبيل إلى إرشادهم، ووعظهم لا يتأتى إلا بدعوة أولي الأمر في تلك البقاع فخصهم بالنصح والتوجيه.

المطلب الثاني: خصائص متعلقة بصاحب الخطاب الدعوي – المرسل–:

عرف عن محمد بن عبد الوهاب مجموعة من الشمائل والصفات التي كانت عوامل هامة في تفعيل خطابه الدعوي ومنها:

1) قوة الشخصية:

كان محمد بن عبد الوهاب يتصف بالرصانة والصلابة، فكان ذو شخصية قوية" [6]، رغم الصعوبات الجمة، والمواقف الحرجة التي كانت تمر بها منطقة نجد في عصره، ورغم الخطر الذي كان يحدق به وبدعوته إلا أنه اتصف برباطة الجأش، والثبات على مبادئ دعوته فلم تخوفه تهديدا

[1]– نفس المرجع، ص43.

[2]– محمد بن عبد الوهاب: الرسائل الشخصية،مصدر سابق، ص8.

[3]– المصدر نفسه، ص32.

[4]– المصدر نفسه، ص62.

[5]– المصدر نفسه، ص94.

[6]– حسين خلف خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرجع سابق،ص338.

الخصوم، ولم تغره عروض بعض المشايخ – مثل دعوة عثمان بن معمر له بالعودة إليه بعد أن اتفق مع ابن سعود ووعده بأشياء كثيرة-.

2) الحوار:

إن للحوار أهمية بالغة في استدراج المدعويين، وإقناعهم للامتثال للحق، وهو وسيلة من وسائل إقامة الحجة بالأدلة العقلية والقلبية والحسية، وكان ابن عبد الوهاب يتمتع بحسن الحوار وساعده في ذلك فصاحته وبيانه، وقد استخدم الحوار في مواضع كثيرة، حتى أصبح الحوار سمة بارزة من سمات ابن عبد الوهاب، فكان محاورا ناجحا ومقنعا في طرحه لمضامين دعوته ، ومناقشته لكل المدعويين الذين أجرى معهم الحوار سواء كانوا علماء، أم أمراء أم من عامة الناس.

وهو الذي كان يقول: " كل إنسان أجادله بمذهبه" [1]، بل إنه كان يلقن طلبته وتلاميذه لفنيات الحوار حتى تصبح ملكة عنده، وتكون سببا في هداية الناس وإقناعهم فكان يقول: " ... واعرض هذا عليه، وأطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء، فاكتبه وإن عرفت باطلا وإلا راجعني فيه أبينه لك" [2]، واتسم الحوار عند عبد الوهاب بالأدلة القطعية المفعمة للمحاور من جهة، واللينة الرفيقة فجمع في حواره بين الحجة واللين والرفق والمدعو، ونادرا ما كان يقسو ويغلظ الكلام في حواره مع المدعويين واللذين كانوا في العادة من المتعصبين للباطل والرافضين للدعوة على أسس القبلية والجهوية ولا مرجع ديني يستندون إليه غير أنهم وجدوا آباءهم على غير المنهج الذي دعا إليه ابن عبد الوهاب.

2) الحوار:

كان محمد بن عبد الوهاب كريما، جوادا، لا ينهر سائلا، ولا يبخل مما أفاء الله عليه وكان عطاؤه من يثق بالله ولا يخش الفقر فقد كان كثير العطايا ويهب حقه من الزكاة والغنيمة في موضع

[1] – محمد بن عبد الوهاب، مجموع الرسائل الشخصية، ص80.

[2] – المصدر نفسه، ص88.

واحد، لا يقوم إلا وليس معه منه شيء، كان يقري الضيف ويكرم الوفود"[1]، وكان من دلائل سخائه وتطليقه لملذات الدنيا وزينتها أنه لم يترك لورثته شيئا، لا دينارا ولا درهما [2]، بل إنه أنفق كل ثروته وممتلكاته في سبيل الله.

[1]- حسين خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرجع سابق بتصرف، ص348.

[2]- عبد الله الصالح العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره،مرجع سابق، ص 22. وحسين خزعل:حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرجع سابق،ص342.

المبحث الثالث: المقارنة بين خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس وعند محمد بن عبد الوهاب:

المطلب الأول: أوجه التشابه

أولا: التوازن :

يلاحظ من خلال ما سبق أن كلا من الخطابين قد حققا ميزة التوازن، فالخطاب الدعوي لابن باديس عرض جملة من المضامين المتنوعة والمختلفة، والتي عالجت واقع الجزائر في فترة ابن باديس، وكانت هذه المضامين تشمل مجالات متعددة، دينية، سياسية واجتماعية، وكذلك نجد أن الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب كان ثريا، ولم يرتكز على مجال واحد فكانت مضامينه سياسية، عقدية، فقهية، عقلية، وقد حقق ابن عبد الوهاب كما فعل ابن باديس مبدأ التوازن، ولم يعتمد على خطاب دعوي يشمل مجالا واحدا، بل إنه قام بالموازنة، وتغيير أساليب ومناهج ووسائل خطابه الدعوي.

ثانيا: الجمع بين التجديد والتمسك بالثوابت:

لقد كان خطاب ابن باديس الدعوي يذم وينكر التقليد الأعمى، وتكرار ما تعاهده الأولون السابقون، وكان منهجه الدعوي قائما على الاجتهاد، والدعوة إلى إعمال العقل، ومع ذلك فإنه كان متمسكا بالكتاب، والسنة وكذلك الحال بالنسبة للخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب الذي أبان عن اجتهاده، وتجديده للخطاب الدعوي من خلال مخالفة رأي الحنابلة في بعض المسائل الفقهية، وذهابه إلى غيرهم من الآراء والأقوال، وقد سبق التفصيل في ذلك وإقراره بكراهيته للتقليد الأعمى، وأما مذهبه في إتباع الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة فقد كان واضحا شأنه شأن غيره من السلف وهو الوقوف، وإتباع كل ما جاءت به المصادر الأصلية في الشريعة من القرآن والسنة وإجماع الصحابة، دون الاجتهاد في المسائل التي تم الفصل فيها من قبل تلك المصادر.

ثالثا: الزهد:

إن العامل المشترك، والخاصية التي تقاطعت فيها شخصية ابن عبد الوهاب وابن باديس هي زهدهما، وإعراضهما عن الدنيا التي فتحت أذرعها إليهما، فابن باديس ورث الأموال والضياع والجاه والسؤدد من عند أبيه، إلا أنه رفض الانغماس في تلك التركة، وآثر حياة الزهد في كنف الدعوة إلى الله.

أما ابن عبد الوهاب فقد فتح الله له الأمصار، وأفاء عليه من الغنائم والأموال الكثير لكنه هو الآخر أبى إلا أن ينذر حياته كلها لله وللدعوة إلى دينه، ولم يبق لأهله شيئا فكان يتصدق بكل أمواله في سبيل الله وفي سبيل الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف:

رغم وجود نقاط التقاء بين خصائص الخطاب الدعوي عند ابن باديس، وخصائص الخطاب الدعوي عند ابن عبد الوهاب؛ إلا أن هذا لم يمنع من وجود نقاط افتراق بين الخطابين، جعلت لكل خطاب خصوصيته، وميزته التي تفرد بها، ومن أهم أوجه الاختلاف في خصائص الخطابين ما يلي:

-التوازن:

رغم أننا سلمنا بأن الخطابين الدعويين تميزا بإحداث التوازن في مضامينهما ومناهجهما؛ إلا أنه هناك فوارق في تفعيل خاصية التوازن للخطابين لا يمكن إنكارها وهي:

تميز الخطاب الدعوي لابن باديس بالتوازن في المضامين، وكذا الآليات فقد استخدم ابن باديس الوسائل العصرية المتاحة في زمنه كالسياسة، الأحزاب، المذاهب، الجمعيات والإعلام مثل: الصحف والمجلات، ومضامين خطابه الدعوي أيضا اتصفت بالتوازن في الطرح فابن باديس كان يغير من المضامين فتارة يطرح قضايا سياسية تخص أوضاع بلاده مع الاستعمار، وتارة أخرى يطرح قضايا اجتماعية من خلال عرضه لقضايا مجتمعه مثل قضية الخلافات الحاصلة في جنوب الجزائري بين الإباضية والمالكية، وكذا طرحه للقضايا الثقافية المختلفة فضلا عن القضايا الدينية المتعددة، وأما

الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب فإنه اقتصر على محورين فقط هما: المحور الديني والمرتكز أساسا على الجانب العقدي، وكذا المحور السياسي الذي ارتكز هو الآخر على نصح ولي الأمر وطاعته والالتفاف حول إمام واحد، فالخطاب الدعوي لابن باديس كان متسع والتوازن الحاصل في خطابه شمل مجالات أكثر اتساعا عن مجالات الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب.

-العلاقة مع ولي الأمر:

تدعم الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب بالسلطة، بل إنها كانت السبب المباشر في ذيوع وانتشار دعوى ابن عبد الوهاب بخلاف الخطاب الدعوي لابن باديس الذي عانى الويلات بسبب الضغوطات والعراقيل التي كانت تضعها السلطات الفرنسية في بلاده المحتلة.

خلاصة:

إن التنوع الكائن في خصائص الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب يعبر عن ثراء الخطاب الدعوي الإسلامي، وصلاحيته لكل الأزمنة العصور، ونجاعته في كل الأماكن والبقاع، كما أنه يعبر أيضا عن تمسكه بالثوابت، والمصادر الأصلية، والأصلية في الشريعة الإسلامية، فإنه يعبر كذلك عن حيويته، ودعوته للتجديد والإبداع في مواطن الاجتهاد وإعمال العقل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

الخاتمة:

بعد أن تم وبحمد الله وبعونه إنهاء مضامين هذه الدراسة؛ فإنه من الواجب أن نبرز أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة وهي كالتالي:

- ❖ أن الخطاب الدعوي هو تلك الآلية التواصلية؛ كلام، كتابة، إيحاء ورمز...، والتي تحمل في طياتها دعوة الناس إلى الالتفاف حول الدين الإسلامي والالتزام بما جاء به من تعاليم وسلوكات للمسلمين أو ضبط وتحديد العلاقة مع غير المسلمين.
- ❖ ساهمت البيئة الجغرافية والفترة التاريخية والزمنية في تشكيل وتحديد قالب الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب، كما ساهم التكوين العلمي والدعوي في نضوج الخطاب الدعوي وتطوره عند كل من الشخصيتين.
- ❖ تنوع وتعدد مضامين الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس مع اعتماد هذا الأخير على المضامين الأخلاقية والتربوية وبدرجة أقل على المضامين السياسية ثم العقدية، بينما كانت تجربة الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب تقوم على التركيز على المضامين العقدية، وجعلها الركيزة الأساسية في الإصلاح والدعوة عند ابن عبد الوهاب وتليها المضامين السياسية والفقهية.
- ❖ تميز الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس بتوظيفه لمجموعة من الآليات الحديثة؛ كالصحافة، النوادي، تأسيس الجمعيات، المجلات والمشاركة السياسية، فضلا على استخدامه للآليات التقليدية كالدروس المسجدية والخطب المنبرية فيما اقتصر الخطاب الدعوي على استخدام الآليات التقليدية مثل: كتابة الرسائل الدعوية، إقامة الدروس الوعظية، الخطب المنبرية والاستعانة بنفوذ السلطان في نشر الدعوة.
- ❖ تميز الخطاب الدعوي لكل من ابن باديس ومحمد بن عبد الوهاب بتعدد المناهج الدعوية وتحقيق نوع من التوازن في تطبيق تلك المناهج على مضامين الرسالة الدعوية.
- ❖ اتسم الخطاب الدعوي لابن باديس وابن عبد الوهاب بجملة من الخصائص المستمدة من خصائص الخطاب الإسلامي مثل: التوازن، التجديد، التمسك بالثوابت الشرعية

واتصاف كل من ابن باديس وابن عبد الوهاب بجملة عن الصفات التي ساهمت في نشر الدعوة كالزهد، الفطنة والفقه.

- ❖ استقلالية الخطاب الدعوي لعبد الحميد بن باديس عن الخطاب الدعوي لمحمد بن عبد الوهاب، فرغم وجود نقاط تقاطع والتقاء بين الخطابين، إلا أن الخطاب الدعوي الباديسي قد تفرد بجملة من الخصائص والمناهج والآليات، وكذا المضامين التي جعلت من الخطاب الدعوي مستقلا عن غيره، وقائما بذاته،فخطاب عبد الحميد بن باديس ليس كما ادعى حوله الكثيرون بقولهم أنه تقليد للخطاب الوهابي،وأنه صورة مماثلة لمنهج محمد بن عبد الوهاب الدعوي،بل إن خطاب ابن باديس الدعوي مستقل بذاته،وإن لكل خطاب دعوي من خطاب الشخصيتين متميز عن الآخر،من حيث المضامين والمناهج والآليات،والخصائص،وحتى وإن حصل تلاقي وتماثل بين الخطابين الدعويين في أجزاء من خطاب كل واحد منهما إلا أن هذا لا يمنع تأسيس كل واحد منهما لخطاب دعوي منفرد عن الآخر،وهذا الأمر مجسد في سنة الله في خلقه،وهي سنة الاختلاف والتنوع..."ولايزالون مختلفين ولذلك خلقهم"وهو يخدم كذلك الدعوة من حيث تجسيد التنوع والسعة في الطرح الدعوي.
- ❖ أفرز الخطاب الدعوي لابن باديس عن ثروة علمية ودعوية تمثلت في جملة من المبادئ والمؤلفات والمقالات العلمية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي استفادت منها الأمة في عصر ابن باديس ومن بعده .وأفرز الخطاب الدعوي لابن عبد الوهاب عن ثروة عقدية وسلوكية تمثلت في ضبط مفاهيم التوحيد والشرك والمسائل والقضايا المستحدثة المتعلقة بها لتكوّن تركة شرعية وعقدية استفادت منها الأمة الإسلامية في زمن ابن عبد الوهاب وحتى من بعده.

التوصيات:

- ❖ الاهتمام أكثر بأدبيات الخطاب الدعوي وإدراجه ضمن المناهج والمقررات التعليمية في جميع المستويات الدراسية وبالأخص من مرحلة التعليم الثانوي فضلا عن التعليم الجامعي.
- ❖ إعطاء القيمة العلمية الحقيقية لهاتين الشخصيتين- عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب- من خلال إبراز أعمالهما وجهودهما الدعوية، والتعريف بهما من خلال عقد المؤتمرات والملتقيات العلمية الوطنية والدولية.
- ❖ إنشاء مخابر علمية تعنى بتطوير الخطاب الإسلامي والدعوي والاستفادة من تجارب الدعاة والمصلحين،وعلى رأسهم ابن باديس وابن عبد الوهاب.
- ❖ إنشاء مواقع إلكترونية رسمية تحت إشراف جهات علمية مختصة تتناول وتهتم بقضايا الخطاب الدعوي، وآليات النهوض بالخطاب الإسلامي والاستفادة من تراث ابن باديس وابن عبد الوهاب الدعوي.

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية.
فهرس الأحاديث النبوية .
فهرس الأعلام.
فهرس البلدان.
فهرس المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ ﴾	البقرة	80	116
وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾	البقرة	83	155
﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ	البقرة	102	157

بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾			
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾	البقرة	143	266
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾	البقرة	155 – 156	42
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾	البقرة	163	254
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾	آل عمران	85	3
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	آل عمران	106	243
﴿ * لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ	آل عمران	113	112

ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ۞			
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ ﴾	179	آل عمران	256
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾	7	آل عمران	98
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾	48	النساء	286
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ النساء: ١١٣	113	النساء	164
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ	171	النساء	266

وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾			
مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾	المائدة	6	268
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾	المائدة	15، 16	102
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾	المائدة	47	116
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ	المائدة	47	18

﴿يَحۡكُمُ بِهَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾			
قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾	الأنعام	17	174
قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾	الأنعام	99	177
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾	الأعراف	138	189
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾	الأنفال	60	232
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾	التوبة	108	195
قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ	التوبة	122	215

مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾			
قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾	يونس	31	170
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾	هود	118	151
قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾	يوسف	108	49
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾﴾	الرعد	11	133
﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾	الرعد	14	15
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾	الحجر	9	3
قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾	الحجر	57	8

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾	النحل	89	263
قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾	النحل	125	229
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾	الإسراء	9	98
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾	الإسراء	12	103
قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾	الإسراء	18	103
قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾	الإسراء	23	157

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾	الإسراء	57	174
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾	الأنبياء	25	69
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾	الأنبياء	90	285

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ	النور	31	106
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾	الفرقان	100	103
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾	الفرقان	67	267

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قَالَ تَعَالَى: ﴿*قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾	الشعراء	111	246
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾	القصص	23	8
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾	القصص	34	279
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١﴾	القصص	41	15
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾	الروم	22	151
قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾	الروم	29	246
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾	لقمان	21	288
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ	الأحزاب	21	224

﴿اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾			
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾	الأحزاب	36	290
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾	الأحزاب	59	105
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾	سورة ص	20	8
قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾	الزمر	3	171
قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾	غافر	75	266
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾	فصلت	37	173

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾	الزخرف	23	288
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾	الزخرف	83	266
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾	الجاثية	18	255
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩﴾	الأحقاف	29	3
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾	محمد	7	291
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾	محمد	19	253
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ	الذاريات	47-51	105

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾			
قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	المجادلة	185
قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾	1	الجن	3
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾	18	الجن	173
قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾	9، 10	الشمس	133

فهرس الآحاديث النبوية:

طرف الحديث	الصفحة

الألف

«أخبرهم بما يجب عليهم »	163
« إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا »	129
«أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي:نصرت بالرعب مسيرة شهر...»	2
«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ...»	174
«اكْلُفوا مِن الأعمالِ ما تُطيقونَ؛ فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا...»	266
«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ »	232
« أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، .....»	168
«إِنَّالدِّينَيُسْرٌ،ولنْيشادَّالدِّينُإلاَّغَلَبهفسدِّدُواوقَارِبُواوَأَبْشِرُوا...»	268
«إِنَّالْعَبْدَلَيَتَكَلَّمُبِالكَلِمةِمِنْرِضْوَانِاللَّهِتَعَالىمَايُلقِيلهَابَالًا يَرْفَعُهُاللَّه...»	282
«إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم... »	127
«إناللهلميبعثنيمعنِّتاًولامتعنتاً،ولكنبعثنيمعلماًمُيسراً »	268
«إِنَّاللَّهَيَبْعَثُلِهَذِهِالْأُمَّةِعَلَىرَأْسِكُلِّمِائَةِسَنَةٍمَنْيُجَدِّدُلَهَادِينَهَا »	287

الباء

«بعثت بجوامع الكلم »	10

الخاء

«خذوا عني مناسككم »	10
« خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم: فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهل له »	9
«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم... »	272

الدال

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، لِلَّهِ ولِكِتَابِهِ... » 239

الراء

«رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ... » 238

الفاء

«فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم » 252

اللام

« لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...» 164
«لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » 266

الميم

«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى...» 263
«مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ...» 232

النون

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ » 128

الهاء

«هلك الناس فهو أهلكهم » 108

الواو

« وصلوا كما رأيتموني أصلي » 9

الياء

«يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَواءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ... » 153

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام:

العلم	رقم الصفحة
الإبراهيمي	59،48
أفلاطون	13
الأمين العمودي	215
إبراهيم بيوض	215
ابن تيمية	16
محمد صالح بن جلول	210
جورج كليمانصو	52
المولود الحافظي	215
حسن البك	199
محمد العيد آل خليفة	223
رينيه ديكارت	13
عمر راسم	221
محمد صادق الرافعي	225
محمد رشيد رضا	225
محمد سعيد الزاهري	221
الزواوي الحاج	208
الزواوي الفتى	225
محمد السنوسي	223
سهل بن سعد بن مالك	164
مولاي بن شريف	215
بوشمال محمد	222
ابن عباس	107
العربي تبسي	219
عبد القادر القاسمي	215

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عمر بن قدور	221
العقيد لطفي	219
مارسيل	146
الإمام مالك	109
مبارك الميلي	215
عثمان بن معمر	88
الحباب بن المنذر	144
ميشل فوكو	13
عبد الحفيظ الهاشمي	222

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان والمناطق:

اسم البلد	الصفحة
الأحساء	70
الأردن	68
الأفلاج	85
الإمارات	68
البحر الأحمر	68
البحرين	68
البرتغال	81
بريدة	71
تندوف	39
تونس	39
التويم	71- 85
ثرمداء	85
جبل شمر	70
الجزائر	39
جلاجل	74
جنوب الأحقاف	70
حائل	84
حريملاء	71
حضرموت	75
الدرعية	71
روضة	70
الرياض	70
سدير	70
السودان	30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشام	70
شعيب غبيراء	75
الصحراء الغربية	39
صنعاء	75
العارض	85
عدن	75
العراق	68
العمارية	86
عمان	68
عنيزة	84
العيينة	73
غدامس	39
الفدا	75
القصيم	71
قطر	68
قفار	84
الكويت	68
ليبيا	39
المملكة العربية السعودية	68
المملكة المغربية	39
نجد	68
الهند	65
وادي الرمة	69
وادي حنيفة	69
الوشم	70
اليمامة	70

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اليمن	68

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع:

أولا:المصادر والمراجع باللغة العربية:

الألف

1-ابن الأثير ،أسد الغابة في معرفة الصحابة،دار ابن حزم،بيروت،ط1 ،2012م.

2-ابن باديس عبد الحميد:مجالس التذكير من حديث البشير النذير، دار البعث لمطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر،ط1 ، 1403 هـ 1983م ،

3-ابن باديس عبد الحميد:أصول الهداية ،تعليق:علي بن حسن ،دار الريان، الامارات العربية المتحدة، 1432هـ،، ط1 ، 1992 م.

4-ابن باديس عبد الحميد:أصول الفقه:آيات وأحاديث الأحكام من أمالي الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس ، تحقيق : محمد حسن فضلاء ، دار البعث ،قسنطينة،الجزائر ، 1405 هـ، 1985 م

5-إبن باديس عبد الحميد ،العقائد الإسلامية،تعليق:محمد الصالح رمضان ،دار الفتح،الشارقة،ط1، 1416 هـ 995 م .

6- ابن باديس عبد الحميد:مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية،الجزائر ،ط1 ،1982م.

7-ابن باديس عبد الحميد: ثلاث رسائل نادرة للإمام عبد الحميد بن باديس ، تحقيق : لحسن بن علجية ، دار الهدى ، الجزائر ، د.ط.

8- ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارة الثقافة الجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج1

9- ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارة الثقافةالجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج2

10- ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارةالثقافةالجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج3

11- ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارةالثقافةالجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج4

12 ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارة الثقافة الجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج5

13-ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارة الثقافةالجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج6

14- ابن باديس:اثار الإمام عبد الحميد بن باديس،وزارة الثقافة الجزائرية،الجزائر،2007م،ط1،ج1

15-ابن تيمية أحمد:مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،تحقيق عبد الرحمن بن محمد الحنبلي،مطابع الرياض،الرياض،1385هـ،ج15.

16-ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي،جدة، ط1، 1429هـ.

17-ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون،تحقيق:خليل شحادة،دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت،2001م.

18-ابن فارس أحمد:مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،مؤسسة الرسالة ،لبنان،ط1986،2م،ج1.

19-ابن عبد الوهاب:فضائل القرءان الكريم،تر:عبد العزيز زيد الرومي،المركز الإسلامي،مصر،ط1،دت

20-ابن عبد الوهاب:تفسير ءايات من القرءان الكريم،تح:محمد البلتاجي،المركز الإسلامي،مصر،ط1393،1هـ.

21-ابن عبد الوهاب:مختصر تفسير سورة الأنفال،تح ناصر الرشيد،المركز الإسلامي،مصرط1398،1هـ.

22-ابن عبد الوهاب:مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،تح:عبد الرحمن بن ناصر،دار الشؤون الإسلامية والأوقاف،المملكة العربية السعودية،ط1418،1هـ.

23-ابن عبد الوهاب:كتاب التوحيد،تح عبد العزيز الرومي،ط1،دت.

24-ابن عبد الوهاب:مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب،تح عبد العزيز الرومي،المركز الإسلامي،مصر،ط1398،1هـ.

25-ابن عبد الوهاب:أربع قواعد تدور عليها الأحكام،تح:عبد العزيز الرومي،المملكة العربية السعوديةط1،دت.

26-ابن عبد الوهاب:مختصر الإنصاف والشرح الكبير،تح:عبد الرحمان بن محمد السرحان،المملكة العربية السعودية،ط1،دت.

27- ابن عبد الوهاب:مبحث الاجتهاد،تح:عبد الرحمان بن محمد السرحان،المملكة العربية السعودية،ط1،دت.

28- ابن عبد الوهاب: كتاب الطهارة،تح:صالح الأطرم،المركز الإسلامي،مصر،ط1398،1هـ.

29- ابن عبد الوهاب:شروط الصلاة،تح:عبد العزيز الرومي،القاهرة،ط1398،1هـ.

30- ابن عبد الوهاب:الأصول الثلاثة،مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية،المملكة العربية السعودية،ط1420،1هـ

31-ابن عبد الوهاب:فتاوى ومسائل،جمع صالح الأطرم،المركز الإسلامي،المملكة العربية السعودية،ط1،دت.

32-ابن عبد الوهاب:أصول الإيمان،تح:عبد العزيز الفريح،المركز الإسلامي العربي،مصر،ط1398،1هـ.

33-ابن عبد الوهاب:الخطب المنبرية،تح:عبد الرزاق الدويش،المركز الإسلامي،السعودية،ط1،دت.

34-ابن عبد الوهاب:رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية، تح عبد العزيز الرومي،المركز الإسلامي،مصر،

35-ابن ماجة ،سنن ابن ماجة ،ت فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،

36- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب،دار صادر ،لبنان،ط1 ،2000م ،ج.5

37-ابن النعمان أحمد ،فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف،الوسائل والبدائل،دار الأئمة،الجزائر،ط1 ،1998م.

38-ابن هشام: السيرة النبوية ،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1410هـ،،ج.4

39-ابن هشام:السيرة النبوية،تعليق:عمر تدمري ،دار الناشر،لبنان ،ط3 ،1990،ج.2

40- أبو البقاء الكفوي أيوب: الكليات،مؤسسة الرسالة،تحقيق: عدنان دروش ومحمد المصري ، لبنان، دط، 1998م.

41-أبو داود سليمان:صحيح سنن أبي داود،تح ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف للنشر،ط1، الرياض،1998م، ،4839، ج.1

42-أبو داوود: صحيح سنن أبي داوود،تحقيق:ناصر الألباني،مكتبة المعارف،الرياض،ط1 ،1997م.

43-أبو عبد الله ياقوت الحموي شهاب الدين:معجم البلدان،دار صادر،بيروت،ط5 ،1977م.

44-أبو الفتح البيانوني، محمد:المدخل إلى علم الدعوة،مؤسسة الرسالة ،لبنان،ط3 ،1995م.

45-أبو هلال العسكري الحسين ، جمهرة الأمثال، دار الجبل ، بيروت، ط2 ، 1988 ،ج 2 .

46-أحمد بن عبد العزيز بن محمد البسام: الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية، دارة الملك عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005م.

47-أحمد درويش مديحة:تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين،دارالشروق،المملكة السعودية،ط1980،1م.

48-أسكوت الكولونيل:من مذكرات العقيد اسكوت من إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م،ترجمة -إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والإشهار،الجزائر،1981م.

49- آل خليفة محمد العيد: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى ، الجزائر، ط1، 2010م.

50-الألوسي أبوالفضل:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي،بيروت،دت، ج 5.

51-الألوسي محمود شكري:تاريخ نجد،تحقيق:محمد بهجة الأثري،الوراق للنشر ،بغداد،ط1 ،2007م.

52-الآمدي سيف الدين ،الإحكام في أصول الأحكام،،تحقيق: إبراهيم العجوز،دار الكتب العلمية،القاهرة ،دت،ج1 .

الباء

53-برغوث،الطيب:الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه،دار الامتياز،الجزائر،ط1 ،1990م.

54-برغوث الطيب:منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،أمريكا ، ط1 ، 1996 م.

55–البشير الإبراهيمي محمد ،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،مرجع سابق،ج.2

56–البشير الإبراهيمي محمد: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم:أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1997،1م ج5 .

57-البغدادي الألوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي،لبنان،دط،دت،ج .23

58- البغوي الحسن ابن الفراء:شرح السنة ، تحقيق: شعيب الأرناؤط،المكتب الإسلامي للنشر،ط 2، دمشق 1983 م.

59–بغورة الزواوي:مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكوياما،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة ،ط1 ،1999م.

60–بكر علاء: ثلاثة قرون هجرية على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار الخلفاء الراشدين،الإسكندرية، ط1، 2007م.

61–بلاح بشير:تاريخ الجزائر المعاصر،دار المعرفة ،الجزائر،ط1 ،2006م،ج1.

بن أبي بكر ابن غنام حسين:روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام–المعروف بتاريخ ابن غنام–،تح:سليمان بن صالح الخراشي،دار الثلوثية، ،المملكة العربية السعودية، ط1431،1هـ–2010م.

62–بن إسماعيل البخاري أحمد:صحيح البخاري،تح مصطفى ديب،،دار التراث ،بيروت،ط1987،3م،ج.4

63– بن براهيم طيب ، الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامها خاصة بالجزائر، دار المنابع للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004 م.

64–بن حسين المكي عبد المالك:سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،تحقيق:محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ،القاهرة،د.ت،ج.4

65– بن رحال الزبير:الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية–1940–1989م،دار الهدى،قسنطينة، الجزائر.

66–بن الصالح ناصر محمد:الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، الصنوبر البحري ،الجزائر،ط2، 2006م.

67-بن عبد الرحمان الحقيل سليمان ،حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وحقيقة دعوته،مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر،المملكة العربية السعودية ،ط1 ،1999م.

68-بن عبد الرحمن العبود صالح:عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،ط1،المملكة العربية السعودية، 1413هـ،ج1.

69-بن عبد العزيز بن مبارك برغوث:المنهج النبوي والتغيير الحضاري،مطبوعات وزارة الأوقاف القطرية ،قطر،دط ،1995م.

70-بن عبد الله ابن بشر عثمان:عنوان المجد في تاريخ نجد،تحقيق:عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ،مطبوعات دار الملك عبد العزيز ،الرياض ،ط4 ،1983م،ج.2

71-بن عبد الله بن يوسف محمد:تاريخ بن يوسف،تحقيق:بن متريك الجهني،مكتبة الملك فهد،المملكة العربية السعودية ،دط،1999م.

72- بن عبد الوهاب سليمان: الصواعق الإلاهية في الرد على الوهابية، مكتبةايشيق ، تركيا، ط3، 1979م.

73-بن عثمان خوجة حمدان ،المرأة،تحقيق:محمد العربي الزبيري،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،دط ،2006م.

74-بن عمر الفاخري محمد:تاريخ الفاخري،تحقيق:عبد الله الشبل،مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر،المملكة العربية السعودية،،ط1 ،1999م.

75-بن عيسى إبراهيم: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد،دار اليمامة ،المملكة السعودية،ط1 ،1386هـ.

76-بن متريك الجهني عويضة:نجد قبل حركة الاصلاح السلفية ،ترجمة:إحسان زكي،إثكا برس ،بيروت،دط ،2015م.

77-بن محمد بن خميس عبد الله:المعجم الجغرافي للملكة العربية السعودية،مطابع الفرزدق، ط2،الرياض،1980م

78-بن محمد الفرج خالد:الخبر والعيان في تاريخ نجد،تحقيق:عبد الرحمن بن عبد الله الشقير،مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية،ط1 ،1421هـ.

79-بن محمد الفيومي أحمد:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،تحقيق عبد العظيم الشناوي ،دار المعارف،القاهرة، ط2 ،1977م،ج.1

80-بهي الدين سالم محمد:ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير،دار الشروق ،القاهرة،ط1 ،1999م.

81-بوحوش عمار :التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1 ،1997م .

82-بوصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931- 1945م، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.

83-بوالصفصاف عبد الكريم:جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م،عالم المعرفة،الجزائر،ط1 ،2008م.

84-بوالصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية، 1931- 1945م، عالم المعرفة، الجزائر ،دط، ،2008م.

85-بوالصفصاف عبد الكريم ، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا،دار مداد،فسنطينة،الجزائر،ط1 ،2009م،ج.1

86-بوعزيز يحي: المساجد العتيقة في الغرب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1 ، 2009م.

87-بوقرة ،نعمان:المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للنشر والتوزيع ،الأردن،ط1 ،2009م.

88-بهي الدين سالم محمد: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق ، القاهرة، ط1، 1968م

89-بن يزيد بن جرير الطبري محمد ، جامع البيان في تأويل أي القرآن تفسير الطبري،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر،القاهرة،ط1 ،دت،ج5 .

التاء

90-توفيق المدني أحمد: حياة كفاح –مذكرات–،دار البصائر ،الجزائر ،2007م.

91-توفيق المدني أحمد:كتاب الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،ط1 ،1984م.

الجيم
92–جاد الرب حسام:جغرافية العالم العربي،جامعة أسيوط،مصر ،دط ،2005م.
93– جمعية العلماء المسلمين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر، دار الكتب، الجزائر ، ط1 ، 1982م
الحاء
94–حبيلة،الشريف،الخطاب الديني و إشكاليات المفهوم،مجلة الآداب و اللغات،إصدار جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، ع1 جوان 2015م.
95–حسن أبو عيلة عبد الفتاح:محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى،دار المريخ ،المملكة العربية السعودية،ط1411،2هـ–1999م.
96–الحقيل سليمان:حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته–الدعوة الاصلاحية في الجزيرة العربية،الأسس التي قامت عليها–غايتها وأهدافها،وحقيقة الشبهات المثارةحولها،نتائجها وأثارها،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض،ط1 ،1999م.
97–حماني أحمد: صراع بين السنة والبدعة ، دار البعث،،قسنطينة الجزائر، ط1، دت، ،ج1.
98–حماني أحمد : صراع بين السنة والبدعة – أو القصة الكاملة للسطو على الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس ،دار البعث، د.ط، د.ت ، الجزائر ، ج1.
الخاء
99–الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ط1، 1985م.
100-خلف الشيخ خزعل حسين:تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب،دار الكتب،دط،بيروت،د.ت.
100-خلف الشيخ خزعل حسين ،حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،دار الكتب ،بيروت،ط1،1968م.
101–خليل هراس محمد:الحركة الوهابية،مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،المملكة العربية السعودية،دط ،1396هـ.

الدال

102–الدراجي محمد : الإمام ابن باديس السلفية والتجديد، دار الهدى،قسنطينة ،الجزائر ، ط1، 2012 .

الذال

103– الذهبي شمس الدين ،سير أعلام النبلاء ،تحقيق :حسان عبد المنان،بيت الأفكار الدولية،الرياض ،ط1 ،2009 م.

الراء

104–رابح تركي ،التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط2 ، 1976م.

104–رابح تركي:الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربيةوالإسلامية،دار موفم للنشر،الجزائر،دط،2003م

105–رابح تركي:الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر،دط ،1974م.

106–رابح تركي:الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم،الشركة الوطنية للنشر،د.ط،الجزائر،د.ت.

107–الراوي،محمد:الدعوة الإسلامية دعوة عالمية،مكتبة الرشد للنشر ،الرياض،ط3 ،1991م.

108–الريحاني أمين: تاريخ نجد الحديث وملحقاته،المطبعة العلمية صادر،بيروت،ط1 ،1928م.

109–روبير روجير شارل:تاريخ الجزائر المعاصر،ترجمة عيسى عصفور،منشورات عويدات،بيروت،ط1 ،1982م.

110–الريس محمد ضياء الدين:تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية،مكتبة نهضة مصر ،القاهرة،1950م،ج1.

الزاي

111–زبيري العربي :تاريخ الجزائر المعاصر،منشورات ألفاللكتاب العربي،الجزائر،ج1 ،1999م.

112–زهير إحدادن: مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1، 1993م.

السين

113–سعد الله أبو القاسم:تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،ط1 ،1998م، ج3 .

114–سعد الله أبو القاسم:الحركة الوطنية الجزائرية،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1 ،1992م،ج1.

115–سعيد الباروي، محمد:الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان،دار الوفاء ،جدة،ط 1،1987م.

116–سيف الإسلام الزبير: تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر ، ط1، الجزائر،ج1 ،1982م.

117– السيوطي جلال الدين:معترك الأقران في علوم القرآن، تح: أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1988م،ج1 .

الشين

118–شمال ،محمود:خطاب الأزمة ومحنة الآخر،دار الآفاق العربية، القاهرة ،ط1 ،2006م.

119–الشوكاني:إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،تحقيق: أحمد عزو عناية ، دار الكتاب الغربي ،مصر،ط1 ،1419هـ،ج.1

120– الشويعر محمد :نجد قبل 250 سنة ، النخيل للنشر و التوزيع ،المملكة العربية السعودية،دط، 1992م.

121–الشيخ رأفت:تاريخ العرب الحديث،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،مصر،1996م.

الصاد

122–الصالح العثيمين عبد الله:الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره،دار العلوم ،السعودية،د.ط ،1993م.

123–الصالح العثيمين عبد الله:نجد قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،مكتبة الرشد،الرياض،ط1 ،.2010

124– الصعيدي عبد المتعال: المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر هجري،100هـ إلى 1370هـ ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1996م.

125– الصيد سليمان: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من أخبار، المطبعة الجزائرية،الجزائر،ط1، 1994م،

الطاء

126–الطيب العلوي محمد: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1836 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث ، الجزائر، ط1، 1985م.

العين

127–عبد الرحمان ،طه:اللسان والميزان،المركز الثقافي العربي،المغرب ،ط1 ،.1998

128– عبد الرحمان بن قاسم: الدرر السنية، ج12.

129– عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان:إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس،دار الأمة،الجزائر،ط1 ،1998م.

130–عبد اللطيف،كمال، محمد عارف، نصر:إشكاليات الخطاب العربي المعاصر في ابستيمولوجيا الخطاب المعاصر،دار الفكر المعاصر ،بيروت،ط1 ، 2001م.

131–العجلاني منير:تاريخ البلاد العربية السعودية،دار الشبل ،المملكة العربية السعودية،ط2 ،1993م،ج.1

132–العثمان القاضي صالح:تاريخ عبد الرحمن الصالح البسام،دار العاصمة ،المملكة السعودية،ط1419،1هـ،ج.1

133–العقون عبد الرحمان:الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر–الفترة الأولى من1920إلى1936،المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط،الجزائر،1984،ج1 .

134– عمارة محمد: الصحوة الإسلامية و التصدي الحضاري، دار الشروق ، مصر، ط2 ، 1997م.

135–عمر سليمان الأشقر: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب باني دولة ومنشئ أمة،دار النفائس،الأردن،ط2009،1م.

136– العمودي محمد الأمين ، السطو،الشهاب،مج11 ،ع75 ،جمادى الآخرة، 16 ديسمبر 1926 .

137– علي دبوز محمد: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، عالم المعرفة، الجزائر،ج1،، ط2، 2013م.

138– عويس عبد الحليم:أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر، دار الصّحوة، القاهرة،ط1، 1405هـ.

139–عياض القاضي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تحقيق: عبده علي كوشك ، وحدة البحوث والدراسات ، الإمارات، ط1، 2013م .

الغين

140– الغزالي ،محمد:مع الله دراسات في الدعوة والدعاة،دار الهدى،قسنطينة ،الجزائر،ط5 ،1981م.

141– غلوش أحمد:الدعوة الإسلامية،أصولها ووسائلها،دار الكتاب المصري ،القاهرة،د.ط،1987.

القاف

142–القاسمي جمال الدين : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ،دار الرسالة، بيروت،ط1 ، 1425 هـ، 2004م.

143–القاضي صالح:تاريخ سليمان الصالح البسام،دار العاصمة ،المملكة العربية السعودية،ط1 ،1419 هـ، ج.4

144– قداش محفوظ ،جيلالي صاري،الجزائر صمود ومقاومات –من 1830م إلى1962م– ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ط، ،2012م.

145– قشي فاطمة الزهراء: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ع09، 2013م.

146–القرضاوي، يوسف:خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق ،القاهرة،ط1 ،2004م.

147–القرضاوي يوسف : موجبات تغير الفتوى في عصرنا ، نشر الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، القاهرة ،ط6 ،دت

148–قلعجي قدوري:الخليج العربي،دار الكتاب العربي ،بيروت،د.ط ،1385هـ.

اللام

149–لعروق محمد الهادي:أطلس الجزائر،دار الهدى ،الجزائر،د.ط ،دت.

الميم

150–محفوظ،علي:هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة،دار الكتاب العربي ،القاهرة،ط1952،5م.

151–محمد المغذوي عبد الرحمان: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية– دراسة تأملية على ضوء الواقع المعاصر–، دار المقدمة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط3، 1430هـ، ج1..

152–محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين ، المؤسسة الوطنية للكتب الجزائرية،د ط،دت، ج.1

153–محمد يعقوب الفيروز أبادي ،مجد الدين:القاموس المحيط،تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط3 ،1310هـ،ج.1

154–محمود ابراهيم ،رزان ،خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة ،دار الشروق،القاهرة ،ط1 ،2003م.

155–محمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، مصر، 1986م.

156–مسلم ،صحيح مسلم، تحقيق:محمد الفارابي ،طيبة ، السعودية، ط1 ، 1427 هـ، 2006م.

157– مصطفى وآخرون، إبراهيم:المعجم الوسيط،دار الشروق ،القاهرة،ط5 ،2011م.

158–مفتشية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة : " قسنطينة ومساجدها وعلماؤها"، جريدة العصر، ع39، 11 ربيع الأول 1402هـ، 7 جانفي 1982م.
159–مرتاض عبد الملك: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2، 1983م.
160–مرتاض عبد الملك:الصراع بين العربية والفرنسية في نهضة الأدب العربي المعاصر، الجزائر ش ، و ، ن ،ط1 ،1981 .21
161–مقلاتي عبد الله:المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،دط ،2013م،ص.107
162–مهساس أحمد: الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة،دار القصبة،الجزائر،ط1 ،2003م، ص.403
163–ميلز،سارة:الخطاب،ترجمة:عبد الوهاب علون،المركز القومي للترجمة،القاهرة،ط1 ،2015م.
164–الميلي محمد: ابن باديس و عروبة الجزائر،منشورات وزارة الثقافة ،الجزائر،2007م.
النون
165–ناصر الألباني محمد:صحيح الجامع،المكتب الإسلامي،عمان،2006م.
166– نجادي بوعلام:الجلادون من 1830إلى1962م،ترجمة محمد العراجي،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار،الجزائر،2007م.
167–الندوي مسعود:محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،تقد:محمد تقي الدين الهلالي،شؤون المطبوعات بوزارة الشؤون الإسلامية ، المملكة العربية السعودية،ط1 ،1420هـ.
168–نويهض عادل ،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية،بيروت،ط2 ،1980م.
الهاء
169– العيسى محمد الفهد:الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى،تقد:حمد الجاسر،مكتبة العبيكان ،المملكة العربية السعودية،ط1425،1هـ/1995م.
الواو

170- الورثيلاني الفضيل:الجزائر الثائرة،دار الهدى،قسنطينة ،الجزائر،دط،2009م.
171- الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الجزائرية 1927- 1954م، كنوز الحكمة،الجزائر،ط1، 2012م.
172-ونيسي زهور ،الإمام عبد الحميد ابن باديس و نهضة أمة ،منشورات ألف ،الجزائر،ط1 ،2015م.

الياء

173- يحي جلال:السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830إلى 1960،مطبعة المعرفة ،القاهرة،د.ط ، د.ت.
174- يقطين،سعيد،تحليل الخطاب الروائي،المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر والتوزيع،بيروت ،ط1، 1989م.
175- يونس، محمد:الخطاب الإسلامي،دار الأرقم،الإمارات ،ط1 ،دت.

مواقع الكترونية

176-حداد عبد المالك:نصوص ووثائق في تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة، موقع:ben badis net/archives/6633 .،تاريخ الدخول: 10 مارس 2021م.
177- سعد علي محمد، السر: الخطاب الدعوي في القنوات التلفزيزنية :دراسة تقويمية لبعض البرامج الدعوية بتلفزيون السودان 2015 –2016 ،موقع :
https://www.researchgate.net/ ،تاريخ الدخول: 2019/5/14م.
178-الطالبي عمار ،النهضة العلمية والفكرية في الجزائر 1940- 1989م،موقع:
www.senbadir.net،تاريخ الدخول: 12 أكتوبر 2018.

ثانيا:رسائل جامعية

179-حشا عباس: الخطاب الحجاجي من أدب العلامة ابن باديس،رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

180–بن عطية عبد الرحمن أحمد:دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،–رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الدعوة و أصول الدين،جامعة أم القرى،،المملكة العربية السعودية،1402ه /1982م.

181–بن كامل مرفت:احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله،رسالة ماجستيرغير منشورة،كلية الدعوة والاصلاح،جامعة الامام محمد بن سعود،المملكة العربية السعودية.

182–بوطبة عمار: المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919– 1956، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الاجتماعية جامعة منتوري، 2009–2010م

183–عابد بن مسفر العقيلي: الأمن الفكري في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وآثاره، دراسة عقدية، دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، 1435هـ، 1436هـ، ص.326

184–عبد اللطيف عادل:خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة مراكش، المغرب، 2005–2004م.

185– العرابي عامر: الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة السعودية.

186–علواش،علي حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية،رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية بالخروبة ، جامعة الجزائر ،1983/.1984

187– قاسي فريدة ، الصحافة الجزائرية وقضايا الوطن العربي 1939 –1947 م ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب و الحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر ،2018–2019م.

188– مسعود الندوي: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، تر: عبد العليم السبتوي ومحمد تقي الهلالي، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1986م.

189–معيوش إبراهيم :التأثير الثقافي للنخبة الدينية في الجزائر بين العطالة والفاعلية ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا (1937 –1956)،رسالة دكتوراه علوم غير منشورة،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 ، 2016 – 2017 م.

190– معيوش إبراهيم:التأثير الثقافي للنخبة الدينية في الجزائر بين الكفالة و الفاعلية ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذج (1941 –1956)،رسالة دكتوراه علوم غير منشورة، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية، جامعة الجزائر ،2017م،ص 260 .

ثالثا:المراجع بالأجنبية

–191Manfred Frank . Sur le Concept de Discours chez Foucault.1989 .p125.

192– André Julien , wistose d'Algérie, Contemporaine , Conquete et les Debuts de la Colonisation (1827–1871)Edition , Alger , 2005 ,

193– Earnest Mercien, Constantine au X VI Siecle, Paris, 1878.

194–Paul–Emile Viard,les Droits Politique des Indigenes Dalgeier,Libraire de Recuil Sirey,Paris1937.

رابعا:الجرائد

195– ابن باديس عبد الحميد:الانتخابات وتمثيل الأمة ،المنتقد ، ع16، س1، الخميس 26ربيع الأول 134هـ/ 15أكتوبر 1925م.

196–ابن باديس عبد الحميد: الشهاب،غرة جمادى الأولى1356هـ/جويلية1937م ،م13،،ج5 .

197–ابن باديس عبد الحميد: الصحة والفراغ: استغلالهما والاستفادة منهما ، الشهاب،ج2 ،م7 ، غرة شوال 1349 هـ.

198– عبد الحميد ابن باديس، الافتتاحية، الشهاب ،ع3 ، 9 ذي الحجة 1345هـ،جوان 1927م..

199– ينظر: عبد الحميد بن باديس: حول خطاب سمو الوالي العم ،الشهاب ،ع21– 25 رمضان، 1344، 8 أفريل 1926م.

200–عبد الحميد ابن باديس: حول خطاب سمو الوالي العام،الشهاب ع23 " "، شوال 1344هـ– 22 أفريل 1926م.

201–ابن باديس عبد الحميد ،تبليغ الرسالة ، الشهاب،ج9 ،م6 ، جمادى الثانية 1348 هـ – نوفمبر 1929 .

202–ابن باديس عبد الحميد: ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان، الشهاب،ج5 ،م8 ،غرة محرم 1351هـ ،ماي 1932م.

203–ابن باديس عبد الحميد: رجال السلف و نساؤه ،الشهاب، ج1 ،م 10 ، غزة رمضان 1362 هـ ،جانفي 1932 م.

204–ابن باديس عبد الحميد:على رسلكما إنها صفية،الشهاب،ج2 ،م10 ،غرة شوال 1352هـ–جانفي 1934م.

205–ابن باديس عبد الحميد:جمعية التربية و التعليم، الشهاب، ج12، م10، شعبان 1353هـ، نوفمبر 1934م.

206– ابن باديس عبد الحميد: بعد عقد من السنين، الشهاب ،ج1، م11، محرم 1345هـ– أفريل 1935م.

207–ابن باديس عبد الحميد: الوطن والوطنية:الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيئ، الشهاب،ج7، م13،سبتمبر 1937 م.

208– ابن باديس عبد الحميد ،ندامة الظالم على تركه السبيل القويم واتباعه لصحبة المضلين،الشهاب ،ج11 ،م 11 ، غرة ذي القعدة 1354 هـ، فيفري 1935.

209– ابن باديس عبد الحميد:بعد مصر والعراق ، الشهاب،ج3 ،م12، غزة ربيع الأول 1355هـ، جوان .1936

210– ابن باديس عبد الحميد: فلسطين الشهيدة، الشهاب، ج6، م14، جمادى الثانية 1357هـ، 1938م.

211– ابن باديس عبد الحميد:العرب في القرآن الكريم، الشهاب،ج11، م13، غزة ذي القعدة 1356هـ، جانفي.1938

212–ابن باديس عبد الحميد: كلمة المحتفل به، الشهاب، ج4، م14، ربيع الثاني – جمادى الأولى1357هـ–جوان، جويلية 1938م.

213– ابن باديس عبد الحميد: حق النساء في التعلم ،الشهاب، ج2،م15،صفر 1358هـ– مارس 1939م.

214– ابن باديس عبد الحميد: الدروس العلمية بقسنطينة ،الصراط السوي، ع4،س1،الاثنين 19 جمادى الثانية 1352هـ، 9 أكتوبر .1933

215– ابن باديس عبد الحميد: الدروس العلمية الإسلامية بقسنطينة، الصراط السوي،ج4، 2 رجب 1352هـ/ 21 أكتوبر 1933م.

216-ابن باديس عبد الحميد ،الصوفي السني بين الحكومة السنية و الحكومة الطرقية،جريدة السنة ،السنة الأولى،ع6 ، 20 محرم 1362 ، 1 ماي 1936

217–ابن باديس عبد الحميد: مجلة الشهاب ومقاومة الاندماج، البصائر ، ع66،س2 ، صفر 1356هـ، 7ماي 1937م.

218–عبد الحميد ابن باديس: البصائر، عدد 95، سلسلة 3 من السنة الأولى، 14 جانفي 1938.

219– ابن باديس عبد الحميد:جريدة البصائر، ع16،الجمعة 2صفر 1355هـ،24أفريل1932م،الجزائر.

220–ابن باديس عبد الحميد البصائر:السنة الاولى،عدد16،الجمعة 2صفر 1355هـ،أفريل1936م.

221–البشير الإبراهيمي محمد: الدعوة العامة، البصائر ، ع80، س2 ، الجمعة 2 رجب 1356 / 17 ديسمبر 1937م.

222– ابن باديس عبد الحميد: خطرات الأسبوع، جريدة النجاح. الجزائر، العدد 172، يوم 12 سبتمبر 1924م.

223–البشير الإبراهيمي محمد: كلمة عن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين إلى كتاب البصائر الكرام، جريدة البصائر، ع2، 10 جانفي 1939م.

خامسا:المجلات

224– توفيق محمد مقبول، فهمي، عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة رائد الإصلاح و النهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1940–1989)،مجلة الدرعية،السعودية، ع20 ،س5 ،مارس 2003م.

225–سعد الله أبو القاسم: قراءة في كتاب الشيخ الطيب العقبي لأحمد مريوش – مجلة المصادر–،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية،الجزائر، ع12، 2006م.

226– شريط عبد الله:منهجية في بحث الفكر السياسي عند ابن باديس ومحمد عبده،مجلة حوليات الجزائر،جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر مجلد1، عدد1986،1م.

سادسا:المؤتمرات:

227-الصالح العثيمين عبد الله: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"،بحث مقدم ضمن مؤتمر أسبوع بحوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،المملكة العربية السعودية،ط1،1983م

228– دون اسم المؤلف: كيف كان ظهور سيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق: عبد الله الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود ،المملكة العربية السعودية،ط1، 1982..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات:

مقدمة	أ
الفصل الأول: موضوع البحث وإجراءاته المنهجية	
المبحث الأول: موضوع البحث وإجراءاته المنهجية	2
المشكلة البحثية	5
أهمية البحث	5

أسباب اختيار الموضوع	**6**
ضبط المفاهيم	**7**
الدراسات السابقة	**20**
المنهج المستخدم	**35**
حدود البحث	**35**
خطوات منهجية في البحث	**36**
الفصل الثاني: عصر وحياة الشخصيتين	
المبحث الأول: عصر وحياة عبد الحميد بن باديس	**38**
المطلب الأول: الأوضاع العامة في الجزائر	**38**
المطلب الثاني: حياة عبد الحميد بن باديس	**55**
: المبحث الثاني : عصر وحياة محمد بن عبد الوهاب	**64**
. المطلب الأول :الأوضاع العامة في نجد والحجاز	**64**
. المطلب الثاني : حياة محمد بن عبد الوهاب	**86**
المبحث الثالث: المقارنة بين عصر وحياة عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب .	**93**
. المطلب الأول : أوجه التشابه	**93**
. المطلب الثاني : أوجه الإختلاف	**93**
خلاصة	**96**
الفصل الثالث: مضامين الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس	**97**
. المطلب الأول: المضامين الدينية والعقدية	**97**
المطلب الثاني: المضامين الأخلاقية والتربوية	**133**
.المطلب الثالث : المضامين السياسية	**139**
: المبحث الثاني : مضامين الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب	**150**
. المطلب الأول : المضامين الدينية والعقدية	**150**
. المطلب الثاني : المضامين الأخلاقية والتربوية	**175**
. المطلب الثالث : المضامين السياسية	**180**
المبحث الثالث: المقارنة بين مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب .	**188**
. المطلب الأول : أوجه التشابه	**188**
. المطلب الثاني : أوجه الإختلاف	**190**
خلاصة .	**192**
الفصل الرابع:آليات ومناهج الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب	
المبحث الأول: آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس	**195**
المطلب الأول: المساجد والمدارس ودورهما التعليمي والإصلاحي	**195**
المطلب الثاني: النوادي والمؤتمرات ودورها الدعوي	**205**
المطلب الثالث: جمعية العلماء المسلمين	**211**
المطلب الرابع: الجرائد والمجلات	**218**

المطلب الخامس:مناهج الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس	**227**
المبحث الثاني: آليات ومناهج الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب	**231**
الخطط الحربية والمشاركة السياسية.:المطلب الأول	**231**
الرسائل والمكاتبات:المطلب الثاني	**239**
مجالس العلم:المطلب الثالث	**248**
المناهج الدعوية المستخدمة في خطاب محمد بن عبد الوهاب	**253**
المبحث الثالث: المقارنة بين آليات الخطاب عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب	**257**
المطلب الأول: أوجه التشابه	**257**
المطلب الثاني: أوجه الاختلاف	**258**
خاتمة الفصل	**260**
الفصل الخامس: خصائص الخطاب الدعوي بين عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب	
المبحث الأوّل: خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس	**262**
المطلب الأوّل: خصائص متعلقة بمضمون الخطاب الدعوي – الرسالة الدعوية-	**276**
المطلب الثاني: خصائص متعلقة بصاحب الخطاب – المرسل الدعوي-	**281**
المبحث الثاني: خصائص الخطاب الدعوي عند محمد بن عبد الوهاب	**283**
المطلب الأوّل: خصائص متعلقة بمضمون الخطاب الدعوي – الرسالة الدعوية-	**283**

المطلب الثاني: خصائص متعلقة بصاحب الخطاب – المرسل الدعوي-	**293**
المبحث الثالث: المقارنة بين خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب	**295**
المطلب الأول: أوجه التشابه	**295**
المطلب الثاني: أوجه الاختلاف	**296**
خلاصة	**297**
الخاتمة	
الخاتمة	**304**
الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية	**308**
فهرس الأحاديث النبوية	**321**
فهرس الأعلام	**324**
فهرس البلدان	**326**
والمراجع فهرس المصادر	**329**
فهرس الموضوعات	**349**
الملخص	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

تمثل تجربة الخطاب الدعوي لكل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب نموذجا في وضع المعالم الرئيسية، والأركان الشديدة لإنتاج الخطاب الدعوي المعاصر، واحتوت ما بين التجربتين مجموعة من المضامين كان أبرزها مضامين القرآن الكريم وما تدرج تحته من علوم ومعارف؛ كعلم التفسير وعلم القراءات ومضامين السنة النبوية، والمرتكزة أساسا على إدراج أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب الدعوي لكل منهما، ثم باقي العلوم الشرعية مثل: الفقه، العقيدة...

وظف كل من عبد الحميد بن باديس ومحمد بن عبد الوهاب كذلك العلوم الدنيوية مثل العلوم السياسية وعلوم الإعلام، الجرائد والمجلات. مع اشتراك كل من الخطابين الدعويين في بعض المضامين إلا أنهما افترقا في استخدام الآليات والوسائل لإعداد الخطاب الدعوي لكل منهما.

وهذا الاختلاف راجع بطبيعة الحال إلى الاختلاف الزماني والمكاني الذي شهده ميلاد الخطاب الدعوي لكل منهما؛ هذا الاختلاف الزمكاني جعل من بعض الوسائل متاحة لشخصية دون أخرى.

إن تواجد بعض الفوارق في المضامين والآليات الدعوية المختلفة بالخطاب الذي أنشأه كل من ابن باديس وابن عبد الوهاب حدد معالم وخصائص الخطاب على حدة، مع الحفاظ على الثوابت التي اشترك فيها كل واحد منهما.

: Summary

The Islamic mission (Dawah) speech experience is represented by :AbdElhamidIbnBadis and MouhamedIbnAbdElwahab as a model in setting the main features and the most strict corners to produce the contemporary Islamic mission (dawah) speech. These two experiences contained a set of contents.

The most notable were: _the content of the holy qur'an with all its sciences and knowledge, such as the science of change and the science of reading _the content of the prophetic sunnah mainly based on the inclusion of the hadith of the prophet peace be upon him in the Islamic mission speech for both _ then the rest of the legal sciences : jurisprudence (Fik'h), beliefs (A'akidah) Both IbnBadis and AbdElwahab added the worldly sciences such as political and media sciences (newspapers, magazines...) Even though their collaboration on some contents, they still differed in the use of mechanisms and means for preparing the speech. These differences are, of course, due to the temporospatial difference that made the means available for one person over another.

The distinctions in the contents and mechanisms which were created by both speakers define the features and the characteristics of each speech separately, while preserving the common constants between them.

Sommaire

L'expérience du discours du plaidoyer menée par Abdelhamid Ben Badis et Mohamed Ben Abdelouab a mis en place les bases du discours du plaidoyer contemporain. Les deux expériences mettent en oeuvre maintes contenus tels que les contenus du Coran sacré et ses différentes sciences: science de l'interprétation, science des lectures,la Sunah renfermant les Hadith du prophète Mohamed - que le salut et la prière soient sur lui - et toutes les autres sciences del'Islam comme le fiqh.

Ils se sont référés également aux sciences laïques: sciences politiques, l'information et la communication,... Malgré que les deux savants traitent les mêmes contenus mais chacun a opté pour ses propres moyens et processus d'élaboration du discours du plaidoyer.

Cette différence est dûe principalement au contexte spatio-temporel dans lequel est né le discours en question. e différence est dûe principalement au contexte spatio-temporel dans lequel est né le discours en question.

C'est justement cette divergence entre les deux discours qui détermine les caractéristiques et les particularités de chacun d'eux